

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية

رئاسة الجمهورية



مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء الخامس

2021

• كتاب: مناسبة وكلمة
(الجزء الخامس)

- إعداد: المجلس الأعلى للغة العربية
- قياس الصفحة: 23/15.5
- عدد الصفحات: 664

منشورات المجلس

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2021
ردمك: 978-9931-681-86-1

المجلس الأعلى للغة العربية
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: +213 21 23 07 16/17
الناسوخ: +213 21 23 07 07
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



الفهرس

الصفحة	العنوان	
18 - 7	مجامع اللغة العربية: ضرورة أم ترف؟ - شعاري الميزان -	01
28 - 19	كلمات في المناسبة اليوم العالمي للغة العربية 18 ديسمبر	02
36 - 29	تأثير اللغة على فعل التنشيط الثقافي	03
42 - 37	حماية ذاكرة الشهداء	04
48 - 43	المعجم التاريخي للغة العربية: الخصائص والوظائف	05
54 - 49	أمانة الشهداء: وحدة ووحمة	06
60 - 55	كلمة 1 مارس حول لغة الضاد	07
68 - 61	حوسبة اللغة العربية في ظل العولمة الرقمية: تحديات راهنة	08
72 - 69	كلمة إلى بيت الشعر الجزائري	09
132 - 73	اللغة العربية وتحديات العصر وضرورة الاستثمار بها وفيها	10
144 - 133	الترجمة والأزمة	11
154 - 145	العربية ومقامها في السوق اللغوية	12
160 - 155	مفدي زكرياء	13

170 -161	تعليمية اللغة العربية في ظلّ التكنولوجيات الحديثة	
174 -171	الكبار لا يموتون	15
182 -175	اليوم العالمي للكتاب	16
192 -183	اليوم العالمي لحرية الصحافة	17
202 -193	نريده إعلماً خارقاً لا مُخترقاً	18
208 -203	اليوم الدراسي حول التّصوّف	19
214 -209	فلسطين ما ضاع حقٌّ وراءه طالبٌ	20
226 -215	منبر التّرجمة للمجلس الأعلى للغة العربيّة	21
236 -227	النّصوص التّرائيّة في المناهج الدّراسيّة	22
248 -237	النّص التّعليمي في المدرسة الجزائرية محطّات تقييميّة لقواعد: الانتقاء والبناء وآليات الإقراء	23
262 -249	اقتراح استراتيجيّة موحّدة للمصطلحات العلميّة العربيّة	24
286 -263	الخَطّ العربيّ والكتابة وضرورات مُسايرة نمطيات الرّقمنة	25
298 -287	البحث اللساني العربي بين الأصالة والحداثة	26
306 -299	الاتّصال المؤسّساتي: الواقع، التّحدّيات، الآفاق	27
316 -307	الوفاء لرموز الجزائر	28
324 -317	كلمات في المعجم الطّوبونيميّ الجزائريّ الجزء الأوّل	29
358 -325	تقهقر وهج الفرنسيّة، وتشبّث النّخبة الفرنكفونيّة	30

366 - 359	أحمي وطني	31
382 - 367	اليوم العالمي للترجمة	32
390 - 383	من الآلام إلى الآمال	33
404 - 391	أسئلة صحافية	34
416 - 405	استثمار اللسانيات الحاسوبية في صناعة المعاجم الإلكترونية	35
422 - 417	سلطان القاسمي حامل همّ الأمة العربية	36
438 - 423	حوار مقدم لجريدة (صوت الأزهر)	37
448 - 439	أثر تكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغات وتعلمها	38
454 - 449	قراءة النص، الإشكاليات والمناهج	39
466 - 455	التطوع اللغوي	40
472 - 467	دور أمحمد الصافي في بعث المعجم التاريخي	41
476 - 473	كلمة في عبد الملك مرتاض	42
482 - 477	كلمة في الشيخ أحمد حماني	43
502 - 483	اللغة العربية: العولمة والرّهانات	44
512 - 503	أهمية اللغة العربية في البحث العلمي	45
528 - 513	اللغة العربية والتواصل الحضاري	46
554 - 529	اللغة الوطنية المشتركة والتنمية الشاملة المستدامة	47

566 - 555	أفكار للصحافيين حول حسن استعمال اللغة العربية	48
606 - 567	العربية في شمال أفريقيا قبل الفتح الإسلامي	49
660 - 607	المازيغية / تمزيغت والعربية في الجزائر	50

مجامع اللّغة العربيّة: ضرورة أم ترف؟

شعار في الميزان ♡-

- **الدّيباجة:** درجت اليونسكو / UNESCO في كلّ سنة اقتراح شعار يتعلّق بالاحتفائيات السنويّة التي تقوم بها اللّغات الستّ المعتمدة في هيئة الأمم المتّحدة، وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) والمنتشرة عالمياً، ويكون ذلك الشّعار حاملاً لثقافة اللّغة المُحتفى بها، أو يكون مُعبّراً عن خاصيّة من الخصائص، ولا مشاحة في ذلك، بقدر ما يهمننا هذا الاهتمام باللّغات الحضاريّة التي أفادت العالم. رغم أنّ نصيب الإنكليزيّة ينال الزيادة والريادة في اهتمامات اليونسكو أكثر من اللّغات الخمس الباقية: الفرنسيّة والصينيّة والإسبانيّة والرّوسيّة والعربيّة. ولقد عشنا شعارات ثقافيّة في هذا المجال بخصوص العربيّة بدءاً من سنة 2012م، وكانت مُلفتة للنّظر وفي غالبها تعطي القيمة المُضافة للعربيّة، ونعتمدها سنوياً بحكم عضويّة دولنا ومؤسّساتنا العلميّة واللّغويّة والمجالس العلميّة وما يلحقها من مؤسّسات ثقافيّة، وكان شعار احتفائيّة سنة 2018م (تحديّ الرّقمنة) وشعار السنة الفارطة 2019م (الدّكاء الاصطناعي) وجسّدناها في رحاب المجلس الأعلى للّغة العربيّة خير تجسيد ببرامج علميّة في ذات العناوين.

♡ - أُنجزت الكلمة لصالح الإيسيسكو، بمناسبة للردّ على الشّعار الذي قدّمته منظمة اليونسكو للاحتفاء باليوم العالميّ للّغة العربيّة. (مجامع اللّغة العربيّة: ضرورة أم ترف؟) ألقيت عبر وسائل الرّوم بتاريخ 21 ديسمبر 2020م.

1- شعار هذه السنة 2020م: مجامع اللغة العربية: ضرورة أم ترف؟ شعار يحمل علامة الاستفهام؛ علامة فارقة تعرف التضاد؛ فالضرورة تستدعي الوجود، والترف لا يأتي إلا من تحقيق الضرورات والكماليات ونحن لم نُحقق الضروريات، فلا يمكن أن نعيش الرفاهية اللغوية، والكثير من القضايا اللغوية في العربية مُعلّقة. ويمكن أن نقول إننا حققنا الضرورة الشعرية ولكن الشعر يتطور، كما أن اللغة تتطور، فلا يمكن تحقيق هذه المعادلة إلا إذا تمّ التكامل بين أمراء اللغة وحرفييها، كما قال سيبويه: "الشعراء أمراء اللغة والتحاة واللغويون هم مثل الحرفيين الذين يقومون على صيانة اللغة، ولا بدّ للمبتكر أن يكون له قدر من الصيانة إن لم يزد عليه". ولهذا رأيت أن تكون كلمتي متبوعة بـ (شعار في الميزان). إذاً هي علامة التأكيد إلا إذا أبانت عن عكسها، فكأنّ هذه المجامع لا تشتغل ووجودها غير ضروري، بل היאكل من التباهي في إقامة وتضخيم حجم المؤسسات، وإذا اشتغلت فهي تعيش الرفاهية؛ لأنّ الضرورة متفاهة. هو سؤال يحتاج إلى معاينة نوعيّة، وإلى إجابة موضوعيّة، على غرار فعل الإيسيسكوك / (ICESCO) (منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة) التي اتّصلت بأهل الاختصاص لبحث الأمر، والردّ العلمي، وها نحن في هذا المحفل الافتراضي نقول كلمتنا.

لقد نال هذا الشعار بعض التقدير، كما شجبه بعض التقدر الذين يحملون الغيرة على اللغة العربية بدعوى أنّ مجامع اللغة العربية تقوم بوظيفتها وما الداعي لتحويل الأمر بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية لهذه السنة 2020م بهذا الشعار المخيف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تقبله البعض بقبول حسن بدعوى تقول: ما الفائدة من أن يكون الهيكل ظاهراً والمخبر

مُحيراً ومُخيباً؟ ما الفائدة من مؤسسات لا تؤكل الخبز؟ ما الجدوى من مجامع لغوية لا تحلّ قضايا العربية التي لا تزال مُعلّقة منذ ما ينيف عن سبعين (70) سنة؟ ما الفائدة من مؤتمرات مَجْمَعِيَّة لا تلقى التَّنْفِيذ؟... ويبدو لي بأنّ شعار هذه السَّنة هو وخز لضمير مُسَيَّرِي مجامع اللغة العربية في إعادة النَّظَر في أداء واجباتها اللغوية قبل المطالبة بالحقوق الماديَّة، وأن يحصل تغيير في منهجيات التعامل مع العربية التي لا تعرف الانجذاب اللغويّ في بلدانها كونها لغةً رسميَّة في كلِّ الدَّول العربية حسب ما تنصّ عليه دساتيرهم في ظلّ ضعف تعميم استعمالها إلى جانب إعادة النَّظَر في منهجية تعاملها مع اللغة العربية الرسميَّة كلغة وظيفية ضرورية لا كمالية؛ ولكتّها تُستحضر في مواسم العبادات لا في مواسم المعاملات، وهذا بالنَّظر إلى تلك الكتلة الماديَّة التي تقدّمها الدَّول العربية للمجامع اللغوية، وهي لا تؤمّن الأمن اللغويّ للمواطن العربي. ومن حقّ اليونسكو أن تطرح علينا هذا الشعار، وهو حقّ في جانب، وليس من الحقّ في جانب. وبصفتي مجمعيّاً، أقول: إنّ هذا الشعار ينشطر إلى شقين يحتاجان إلى طرح، وأضعهما في خانة التَّقَد.

2- **حقّ النقد:** في بلادنا العربية أكثر من اثني عشر (12) مجمعا لغويا عربيا بعضها يشتغل وبعضها افتراضي، وبعضها مشروع على ورق وبعضها يعيش التَّراوح، وبعضها دون أعضاء منذ التأسيس، وبعضها يستهلك فقط وبعضها هيكل بلا روح، وبعضها يعيش القهقري وبعضها أسند لغير الاختصاص، وبعضها يتألّق... والمشكلة تساوت المجمع اللغوية بين الواقفة والخاملة ويضاف إليها (اتحاد المجمع اللغوية العربية) الذي تحدّدت مهامه منذ سنة 1956م؛ ولكنه بدأ عمله سنة 1971م، ضمن مُعطى مُعاكس

للمطلوب، فبقي شبه جامد إلى بداية 2012م دون الحديث عن مؤسّسات إضافية أخرى؛ تؤدّي بعض الوظائف التي تقوم بها الجامعات، فما الفائدة منها إذا كانت تقوم بمهامّ مجامع اللغة العربيّة؟

هي كلمة حقّ نقدية، يجب قولها بأنّ مجامع اللغة العربيّة تحتاج إلى تنسيق مجهودها للخروج بنمطية موحّدة، وكان هذا من القوّة وليس من الفعل ولكن لم يحصل. كيف لهذه الجامعات، وما يلحقها من مؤسّسات ثقافية، والتي يُنفق عليها من ضريبة المواطن العربي، ولا تقدّم الحلول الإجرائية لازدهار لغته، أو لتعميم استعمالها، أو الإفادة منها في الترجمة؟ كيف يمكن لمجامع تعيش على نمطية قديمة لا تعرف التّحيين، ولا تساير العصر، وتعيش في الأبراج العاجية كما يقول البعض، وهم يعيشون واقعاً لغوياً يبعد عن الاستعمال اليوميّ. ويكفي أن نأخذ قول رئيس مجمع اللغة العربيّة (صلاح فضل) في جريدة (المصري اليوم) بتاريخ 11 ديسمبر 2020م على المجمع المصري "... المجمع أصابته الشّيخوخة ... مجمع كان إنتاجه محصوراً في أصابيره، ومحبوساً في أدراجه ... انسداد شرايين المجمع بالمجتمع ... لم يتمكّن المجمع من أداء رسالته مع هذه المدة الزّمنية من التّأسيس ... كلمات مؤثرة من رجل مجمعيّ خبير المجمع اللغويّ المصريّ منذ سبع عشرة (17) سنة، وكان على دراية بوضعه خارج التّغطية. كيف لأعضاء خالدين كبار السنّ يُسيرون بدل أن يكونوا من المستشارين العلميين، ومن منتجي الأفكار من خلال تجاربهم العمرية. كيف نرى واقع الجوازات اللغوية للمجامع التي أباحت ما كان مغلقاً لدرجة أنّ بعضها غير مطابق للقاعدة، ولا يجوز فيها الترخيص كيف لمجمع يُشرّع لغوياً دون موافقة جماعية تخرج من أعضاء اتّحاد الجامعات.

أرمادة من السّلات المجمعّة للمصادقة على التّشريع اللغويّ، وما يتبع ذلك من مجلس الأمناء في اتّحاد المجمع، ويحضرون مرّة واحدة في الجمعية العامّة السنويّة، ويوافقون على منجزات الباحثين، وبعض ممثلي الدّول لا علاقة لهم بالاختصاص. أموال تضيع في الاستقبال فأين مقام البحث والتّحقيق والتّديق؟ بله الحديث عمّا يتبع ذلك من قوانين تخصّ العضويّة، والإدارة ومن انتماء إدارة المجمع إلى وزارة/ رئاسة/ ديوان ملكي... كيف لا يتأسّف له ونحن لم نحلّ مشكلة تعدّد المصطلحات منذ سبعين (70) سنة، كيف نقبل بأنّ مشكلة التّحو العربي لا تزال عالقة كيف لا نقول الحقيقة بأننا لا نعيش رهان استعمال وسائل التّقانات المعاصرة... مضايقات جمّة تعيشها العربيّة في مجال الأتمتة، ولا نزال نستهلك ما يقدمه الذكاء الصّناعي للغات الأجنبيّة... هي حقائق لا بدّ أن نذكرها، ونضعها في الميزان، ومن حقّ المسؤول عن هذه المجمع أن يدافع ويردّ على ما ليس من الاختصاص، وعلى المضايقات التي يعيشها مع الأطراف التي لها سلطة التّنفيذ.

2- **حق الردّ على النّقد/ الدّفاع:** يجب الوعي بالمسألة اللغويّة بأننا بحاجة إلى مؤسسات تعمل على تطوير اللغة العربيّة، ويكفي أن نعرف أنّ فرنسا رخصت لأكثر من اثنين وخمسين (52) جمعية للدّفاع عن اللغة الفرنسيّة في أرضها وخارج أراضيها، وهناك أرمادة من القوانين والمؤسسات الإعلاميّة المجدّدة لإشعاع الفرنسيّة في الدّاخل وفي ما وراء البحار. إذا إقامة المجمع ضرورة حضاريّة بغية الإشعاع اللغويّ، ولم نصل بعد إلى التّرف اللغويّ، ولا توجد لغة بلغت المنتهى. كما يجب العلم بأنّ التّصوص المنشئة لهذه المجمع في أصلها نصوص سياسيّة أكثر منها علميّة، وشعارها في ذلك أنّ كلّ الدّول

تضع المؤسسات اللغوية والعلمية وهي استشارية، بقدر ما تضعها في جناح اقتراح الأفكار، دون متابعة التنفيذ، إضافة إلى غياب سلطة التنسيق بين المؤسسات ذات العلاقة من مثل وزارات: التربية/ الثقافة/ التعليم العالي/ التكوين المهني/ الداخلية/ المالية... وقلّة التفقة على المشاريع المطلوب إنجازها، وذلك ما يعمل على التعطيل. أقول: ربّ ضرة نافعة، فقد سعدت بهذا الشعار (مجامع اللغة العربية: ضرورة أم ترف؟) الذي أيقض فينا ضمير إعادة النظر في أنّ بيتاً لا يأويني يحتاج إلى غلق أو بيع، ولهذا نبارك للإيسكو مناقشة هذا الشعار الذي يجعلنا نُعيد النظر في فاعلية تأسيس مجامع جديدة، أو اتحاد المجامع ربّما جهوية. شعار يتركنا نحو منحى آخر في إنجاز خريطة طريق تناسب مُعطيات الرّاهن، والعمل بالمشاريع الكبرى التي تعيد التّضارة للعربية، وتعمل على الحدّ من الدّوارج، وهي مسألة خطيرة جداً لأنّ ما تزرعه المدرسة من تفصيح يهاجم من الاستعمال في الشّارع وهذه المسألة لا بدّ أن تُعالج بقوة، وبخاصّة في لغة الإعلام، وقد حدّثنا منها (أحمد شوقي) منذ ما يقرب من قرن؛ قائلاً: "لستُ أخاف على الفصحى إلّا من عامية بيرم التّونسي". وهنا لا أنكر المستوى اللغويّ الثّاني للعربية، بل أنكر المستوى السّوقي الهجين، وهذا هو الأخطر، فأين موقع مجامع اللغة العربية من هذا التّلهيج الذي يتنامى في كلّ البلاد العربية؟ وأين تأثير مجامع اللغة العربية في مؤسسات ذات العلاقة؟

لستُ من المنادين إلى وضع العربية في القفص، وجعلها رهان قرون التّقييد، ولا أن نخصّص لها شرطة لغوية؛ تفرع الخارجين عن العرف اللغويّ، ولا من الذين يقولون "قل ولا تقل" أو من الذين يفرضونها بالقوّة

بالاستناد إلى الدساتير، ومن ثمّ إنزال العقوبات على المخالفين... نريد من مجامع اللغة العربية أن توجد آليات الاستعمال العفويّ الطبيعيّ، فالعربية لا تُفرض بعقوبات، ولا بإكراهات، بل بترغيبها وتيسير استعمالها وتجيّبها للفطريين ولغير الفطريين، وجعل أهلها يعتزّون باستعمالها الجميل؛ وهم ينافحون من أجلها بعلمية دقيقة، وبمحنة دامغة، فهي لغتنا ومصيرنا وحرّيّ بنا تطويعها وتطويرها والدفاع عنها في بلداننا. وهذا من عمل مجامع اللغة العربية والمؤسّسات العاملة على التطوير العلمي والتكنولوجي، وما يتبع ذلك من مُخصّصات البحوث الدّكية في التّانوتكنولوجي.

3- **اتحاد المجامع ما له وما عليه**: تأسّس اتحاد المجامع كشخصية معنوية مُستقلّة، ومقرّه مدينة القاهرة، ومن ثمّ انتقل إلى مدينة ستّ (6) أكتوبر في سنة 2019م، ويدير مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ويتألّف من عضوين من كلّ مجمع لغويّ، يختارهما مجمعها لمدة أربع سنوات، ويبتخبون من بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين عامين مساعدين لمدة أربع سنوات قابلة للتّجديد. ويجتمع مجلس الاتحاد في دورة عادية مرّة على الأقلّ في كلّ سنة من المجامع الثلاثة في: دمشق والقاهرة وبغداد، وكلّ مجمع لغويّ علميّ تنشئه دولة عربية مستقلة يوافق مجلس الاتحاد على قبوله. ومن أهدافه:

- تنظيم الاتّصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية، وتنسيق جهودها في الأمور المتّصلة باللغة العربية وبتراثها اللغويّ والعلميّ؛
- العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنيّة والحضارية العربية

ونشره؛

• وضع معجمات لغوية محررة على التمث الحديث والإسهام فى إحياء التراث العربى، ودراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها؛ دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمى، ودراسة قضايا الأدب ونقده، وتشجيع الإنتاج الأدبى، وإصدار مجلات أو نشرات أو كتب تحوى قرارات المجمع وأعماله، وبحوث أعضائه وغيرهم، مما يتصل بأغراض المجمع وتوصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهى إليه المجمع لخدمة سلامة اللغة، والدعوة إلى عقد المؤتمرات والتدوات التى تتصل بأغراض المجمع وتوثيق الصّلات بالمجامع والهيآت اللغوية؛

• العمل على الإسهام فى إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

ومن خلال هذه المهام الكبرى؛ تحدّدت أعماله بشكل واضح فى مجموعة من اللوائح التى تلاحقت بعد ذلك، وتتمثل فى:

أولها: تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية العربية بغرض تنظيم الاتصال بينها، وتنسيق أعمالها، ويكون المرجع الذى يوحد المصطلحات التى تضعها المجامع والمؤسّسات العلمية والعلماء.

الثاني: تقديم وسائل ترقية اللغة العربية.

الثالث: تشجيع التّأليف والتّرجمة.

الرابع: وضع المصطلحات العلمية.

الخامس: تحقيق المخطوطات ونشرها.

وعندما ننظر في هذه المهام الكبرى، والمدة الزمانيّة الكبيرة والتي أوجد لتحقيقها، وما قدّمه خلالها، نرى البونَ شاسعاً بين الزّمان، والكتلة الماديّة والمتوج، والنشاط المطلوب وما هو من المنجز البسيط. نرى ضعفاً كبيراً بين المخطّط له ونسبة المنجز، فما خُطّط له بعيد المنال، وقد توزّع دمه بين المجامع الجديدة، وبين التّسيير الذي اعتمده، فنرى هذا الاّتحاد في صورة يحتاج إلى رجّة، وإلى رجل رشيد؛ يعيد التّظر في سياسة التّسيير وفي جلب الاهتمام من أجل تغيير نمط التّفعليل. اتّحاد المجامع مُرتهن في نشاطه، وكنا نودّ أن يكون له الحضور في قرارات جامعة الدّول العربيّة بخصوص مهامه، وتكون له سلطة الرّقابة في الكتب المدرسيّة، وسلطة استخدام العربيّة، وحظر استعمال العاميّة في وسائل الإعلام، والتّدخل في وضع المعاجم المدرسيّة والعمل على تيسير تعليم التّحو في مراحل التّعليم العامّ، ومتابعة إخراج المعاجم المتخصّصة في مختلف الموضوعات العلميّة والفنيّة، والعمل على توحيد المصطلح العربيّ في مختلف الأقطار العربيّة والتّوسّع في ترجمة الكتب العلميّة المختلفة، وكُتب المعارف الإنسانيّة، ومتابعة صارمة لعمليّة تعميم استعمال العربيّة في مُختلف مناحي الحياة اليوميّة، ورفع المستوى التّعليميّ للخرّيجين واستيعاب الجديد في شتى العلوم وفنون المعرفة... ويؤسّف له أنّ هذه المهام التي وضع من أجل تجسيدها تمّت على بعض القطاعات فقط، وبنسبة مُحتمشة فما سبب وجوده إذا كان لا يعمل على تجسيد مهامه؟

- **الخاتمة:** أعرف أنّ مجامع اللغة العربيّة بها علماء أجلاء، وهم يحتاجون إلى قوّة التّفوذ للقرار، والضّغط لتجسيد قوانين حماية اللغة العربيّة، ومنهجية الوصول إلى المجالس المنتخبة لتجسيد فاعليّة التّأثير في القرار. ولكّني أقول كلمات حقّ أنتصر للصّواب، ولقد بصرتُ بأشياء تعانيتها العربيّة، وأريد من مجامع اللغة العربيّة تجسيد الأهداف التي أنشئت من أجلها، وتنتهي المشكلة بيسر وسهولة. ولهذا أريد من مجامع اللغة العربيّة أن تضع الدّواء على جراحات العربيّة، ولكن تبدو كأنّها بلا التّئام؛ هي جراحات أكثر إيلاماً في الآداب والفنون والعلوم وفي طرائق التّدريس. كيف نرفع من مستوى تعليمها لأطفالنا، وما السّبيل إلى العمل بمنهجية الوعي بأهميّة التّشويق والتّحبيب والتّقريب والتّسهيل، وكيف نسقي أطفالنا الفصحى مثلها مثل الشّراب السّائغ الجميل في أرقى نماذجه السّهلة الممتنعة. أريد من مجامع العربيّة الوعي بأهميّة تحريك دواليبها ليكون لها الحضور في المجتمع، وكم عزّ أقوامٌ بعزّ لغات. أريد منهم رفع ما يتداول العربيّة من أصعب اللغات، وأنّها لغة الماضي. وضرورة التّفكير في إيجاد سبيل الرّجوع إلى جوهر العربيّة وليس إلى قواعدها وإعرابها وتعقيداتها والمسائل الخلافية، ولو اتّخذنا الوسائل الحديثة في التّعليمات؛ لحذفنا من أذهان المشكّكين هذه المقولة وأمثالها. أريد من مجامع اللغة العربيّة ألا تنعي حظّها بين أهلها بما تقدّمها من وصفات علمية للشّباب في الاهتمام بلغتهم، وهي مجدهم، وكيف يرتفعون فيها، وبها يتوون العلوم الحديثة. أريد من المجمعين إيلاء القيمة الرّمزية للعربية قبل القيمة العلميّة، وأنّها عنصر جوهريّ، وقوّة كبرى في الثّقافة العربيّة الأصيلة والحديثة. وأخلص في التّهاية بأنّه من الضّروري التّناء على تلك المجمع

اللغوية العاملة وتحتاج إلى تعضيد، وإحداث رجّة في مجامع لا تستزيد، والقطيعة مع تلك التي تعيش شيخوختها بالعتيد وإلى غلق مجامع لا تُقدّم الجديد، فما الدّاعي لهيكل لا يُفيد؟

مقترحات: أفرح مجموعة من التّصوّرات في هذا المجال:

1- دمج المؤسّسات ذات العلاقة بمهامّ المجامع في ما بينها، وتقليص الموظفين.

2- ضرورة تفعيل مجامع اللغة، وإلاّ فالغلق أولى إذا كانت لا تخدم الوطن والمواطن في لغته.

3- المتابعة والإشراف الدّائم على المجامع من قبل السّلطة الوصيّة باعتماد التّقويم والتّقييم.

4- التّفقة على المجامع بحجم المشاريع المنجزة، وإنتاج الأفكار التّوعية القابلة للتّجسيد.

5- ضرورة التّنسيق العربيّ في مجال الاختصاص المجمعيّ؛ وكلّ فئة مجمعيّة تختصّ بمجال لغويّ تفرض أفكارها لتنال التّطبيق.

6- التّنسيق مع جامعة الدّول العربيّة في مسألة تنفيذ مقترحات المجامع وإعطاء السّلطة التّشريعيّة في اختصاصها.

7- مُطالبة المَجامع بإحجاز المشاريع الكبرى، ومُتابعة التّنفيذ من لجان غير مَجمعيّة، والعمل بنظام "خُذْ بقدر ما تُنتج". أو على التّعبير الاقتصادي "سَلِّم البضاعة وخُذْ الكاش".

كلمات في المناسبة[♥]

اليوم العالمي للغة العربية 18 ديسمبر

ـ **الديباجة:** بسم الله أبتدي، ومن خزائن علمه أستقي، وبرسوله أقتدي وبعده؛ ما أصعبَ الكلامُ عن اللغة العربية في هذه المناسبة العالمية الكبيرة ونحن نعيش احتفائيتها تحت طائلة جائحة الكوفيد، وترونا شذر مذر؛ كلٌّ في موقعه وبلده؛ نُحيي المناسبة عن بُعد، ومع ذلك تستمرّ الحياة بأعمالنا التي أقمناها عبر المنصّات، وتهون الأمور من أجل جلالة الملكة (اللغة العربية الماجدة). فهي دينٌ علينا، ولا نتنكر لها، وإذا تنكرنا لها فمن ذا يخدمها؟ ومن ذا يذود عن حماها؟ فهي التي تُعلي هممنا، وتشدُّ عزائمنا وإنّ كلَّ حديث عنها منكر يزيد لواعج الأسي، ويحرك مشاعر الشّجي ويؤرّز أولى النهى والحجى، ولكتنا لا نعدم المنجز فيها وبها، وكان مهوى كلِّ باحث أريب ومأمول كلِّ عاشق للغة الضّاد، فهناك المنجز الملموس في هذه السنّة 2020م وكان كبيراً وجباراً، يستحقّ تقديراً وجهداً لكلّ العاملين على نشر بريق العربية الذي له الإشعاع في مناحي تطويرها.

نبدأ من رحاب المجلس الأعلى للغة العربية الذي قام على إنجاز المجلّد الأوّل في الأعلام من الموسوعة الجزائرية التي لم ترَ التور منذ دولة الاستقلال ومعجم ألفاظ الحياة العامة في الجزائر، وهو عمل ضخم تحقّق جزؤه الأوّل بصورة ممتازة؛ جزء يحمل قضايا التواصل اليوميّ بلغة عربية سليمة، ويعمل على

♥ - أعدت الكلمة لثقتي في لقاء ثقافي في بلدية برهوم بولاية مسيلة، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية.

بتاريخ السّبت 8 جانفي 2021م.

تعميمها في مختلف المجالات، وهذا دلالة كبيرة على أن القضايا اللغوية تعرف الطريق السليم في تعميمها واستعمالها، فبوركت خطوات كل العاملين في مختلف مشاريع المجلس؛ وهم من المتطوعين الذين يخدمون الشأن العام والشكر إلى الخيرين الذين سخت أيادهم لتغطية نفقات الطبع، ورفضوا أن تُذكر أسماءهم، ولا تعرف شمالهم ما تنفقه يمينهم، ويمتد الشكر إلى مختلف وسائل الإعلام الوطنية والأجنبية التي تفاعلت بإيجابية مع نشاط المجلس في هذه المنجزات الكبيرة، ونراها تخصص حصصاً تواصلية لمقام العربية من خلال فواعل المجلس، وهذا ما تجسد اليوم رغم هذه الظروف، فأنعِم بها من وسائل خدمة الشأن العام! ونفخر أيما افتخار، ونحن طرف فاعل في المنجز الحلم الذي تحققت أولى مجلداته التجريبية الثمانيّة (المعجم التاريخي للغة العربية) ومعجم تاريخي كان منتظراً أن يكون فكان إنه المعجم التاريخي للغة العربية الذي تحقق بفضل المخلصين العاملين والذين يرثون الأرض، ألم يقل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء 105. فأنعِم بهم من صالحين! وكانت الانطلاقة من سخاء سمو أمير الشارقة الدكتور (سلطان القاسمي) الذي عاهد ووفى، وحمل الهم وأعطى وسهل الصعب المضنى. وبتجسيد علمي من اتحاد الجامعات الذي دبر الغاية العلمية من قبل الأستاذ الدكتور (مأمون وجيه) ومجمع اللغة العربية بالشارقة في التنفيذ ممثلاً في الأستاذ الدكتور (أحمد صافي المستغامي) ويرافق المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر اللجان في ملء المنصة، وقد جمع بين الشملين بعضويته في المجلس العلمي، ومجلس الأمناء، فكان الملموس خيراً شاهد على المنجزات التي تُنبئ عن تكامل القوة بالفعل، رغم مضايقات عظمة الموروث الذي تناهى في

القَدَم، وتواصلَ مع الحاضر، بالإضافة إلى ضخامة التمويل. إنه إنجاز أولي والقطر سوف ينهزمُ مدراراً، والطريقُ تصنعه الأقدام. وإنَّ إتمام هذا المشروع الذي سيحدث نقلةً نوعيّةً في العربيّة، وسيعود بها إلى أمجادها وفتوحاتها العولميّة، وإلى أيام عولة خطّها في أفريقيا، وكانت لغة العالم أيام مجدها في آسيا وكلّ بلاد السند وفي الفردوس المفقود وما عرفته من فتوحات عبر طريق الملح؛ من توّات الجزائر إلى القارة السّمراء التي استبدلت لغاتها واتخذت العربيّة وخطّها سبيلاً إلى نشدان العلم والعالميّة والعلميّة؛ بالإضافة إلى ما يضحّه هذا المعجم في روحها من دم جديد؛ ليكون حركة في عروقتها التي كادت أن تجفّ.

- عظمة اللغة العربيّة: لغة عربيّة عظيمة، وتكمن عظمتها في علوّها وقدمها؛ باعتبارها ذاكرة الأمة العربيّة وحاملةً لوحي السّماء، وسجلاً لأحاديث خاتم الأنبياء، وقد سارت بأخبار الشعراء والركبان والحِداء. إنَّها سجّلٌ لأعجاز العرب وللحضارة الإنسانيّة في محطاتها العامّة والخاصّة. سجّلٌ يؤرّخ خصيصاً لمتنديات العرب ومجامعها وتجاراتها وحروبها وغاراتها وأيامها ومجدها الأثيل، بما في همولتها لأحداث الشعوب التي تحدّثت بها عبر تاريخها الطويل. لغة بهذا البذخ من الجذور 16800 جذر لها من الانتشار ما لها ألا تستحقّ الدود عن حياضها بسُلطة العلم؟ إنه من الواجب أن يكون، وكان الدّفاع عنها من أقوال غير أهلها الذين تفاعلوا فيها وبها ومن خلالها، فنطقت محاسنُ الغربيين، إن لم نقل محاسنُ العربيّة التي تأتي من التزيهين الغربيين ومنهم الأمريكي (دفيد جستس / Davide Justes) الذي قال: إنَّ الجملة الألمانيّة عشرٌ من الصّناديق، والفرنسيّة تتابع من الموجات المتقلّبة أحياناً

والتلاطمة أحياناً، واللاتينية قطع مبعثرة محيرة والإنجليزية سيّارة لم تُجمع أجزاءها جمعاً كاملاً؛ وهي أجزاء طاغية وإن كانت متجانسة، وهي ملائمة لأن تكون لعبة لطفل إن كان لا يعرف كيف يُسيرها. والعربية لعبة قطار ملتزم بالسير على الشريط؛ وهو مُرتب ترتيباً دقيقاً في أجزائه، وقاطرائه المتشابهة حين تسير باطمئنان. ولكي تكتمل الاستعارة بهذه القاطرات ربّما تحمل جواهر ثمينة. إنها الصورة التي جاءت من غير الفطريين، وهذا العالم يُدرك مثل الفطريين تلك الدقائق العجيبة التي يجب أن تُستعمل بتمييز بين الكمامة التي لا يستعملها الإنسان والكمامة التي يحملها الإنسان؛ قياساً على العمامة واللباس والقناع والحجاب والخمار والعجار. لغة لها من التمييز الدقة التي تفرّق بين العقار؛ وتعني الممتلكات من البيوت والأراض وجمعها عقارات والعقار من الدواء وجمعها عقاقير. عربية لها من التمييز الدقيق ما لها: اليتيم من مات أبوه واللطيم من مات أبواه، والعجبي من ماتت أمّه. دون الحديث عن ديوان العرب الذي حملته في متنها، وأبدع بالشعر الصّانعون لحرفة الشعر وقالوا:

إنّ الذي ملأ اللغات محاسناً جعل الجمال وسره في الضّاد
لغة القرآن يا شمس الهدى صانك الرحمن من كيد العدى
هل على وجه الثرى من لغة أحدثت في مسمع الدهر صدى
وقال حمد أبو شهاب:

بك نحن الأمة المثلى التي تُوجز القول وتُرجي الجيّد
لغة إذا وقعت على أكبادنا كانت لها برداً على الأكباد
وقال حلیم دموس:

وتظلّ رابطة تُؤلف بيننا فهني الرجاء لناطق بالضّاد

ومن خلال هذا المسموع القليل من محيط العربية اللامتناهي، فهل أنصفتها الأقلام التي يجب أن تذود عنها، ونزلها مقامها، دون تشميط جماها، ولكتنا نعرف أن الأقلام تنوعت؛ فقلم يحرر، وقلم يقرر، وقلم يُبرر وقلم يحاول أن يُمرر. وقلم أمير، وقلم أجير، وقلم أسير، وقلم يستفز، وقلم يفرغ، وقلم يَعْرِف، وقلم مُدهش، وقلم مُنعش، وقلم ظاهر، وقلم قاهر، وقلم طاهر وقلم مُمتنع، وقلم ممتنع، وقلم حزين، وآخر يتألم وقلم يبعث الضوء وقلم ينفث السوء، تعددت الأقلام والحبر واحد. وتتوقف شهر زاد عن الكلام المباح ليدوق شهريار الارتياح.

- الأمن المعرفي: إنَّ العربية التي نحتفي بها هذا اليوم تحتاج إلى الأمن المعرفي؛ وهو مطلب شرعيّ وحياتيّ، ولا يمكن أن نُحقِّقه إلاّ بالعمل الذي يُخرجنا من إنتاج الكلام دون فعلٍ مُلام، نحتاج إلى أمنٍ لسانيّ؛ يُعلي شموخ العربية اعتزازاً ومواطنة؛ يشمل جوانبَ متعدّدة: علميّة وتربويّة ولغويّة وتنمويّة، فضلاً عن المُعدّات العسكريّة، نريد أمناً لغوياً يحفظ لمجتمعنا حاجاته التّواصلية، ويحافظ على ثقافته وتراثه وتحقيق العدالة اللغويّة الاجتماعيّة، نريد أمناً لغوياً يجمع بين الأمن الاقتصاديّ والثّقافي والعسكريّ. نريد أمناً علمياً في المحتوى الرّقميّ، ولن يكون إلاّ بجلد الدّات وهو طريق عمليات التّحسين وإيقاظ الضّمائر وحفز الهمم، والخروج من ارتهاك المشاريع التي لا تُنقل واقعتنا للأحسن، ولا تعمل على التّغيير. والمطلوب من النّخبة العاملة التّطوّر والإفتاء في هذه المسائل؛ لأنّ الوضع الحالي لا يقبل التّفوق على الدّات. وعليه من المفروض أن نخرج من صورة قُدّمي، ومن التّخلف المعاصر المعتمد على التّقل، إلى الإبداع والابتكار ونعمل على تطوير فكرٍ ثقافيٍّ مجتمعيٍّ آمنٍ وعلى

التخبة العربية أن تجعله محك إنتاج المعرفة، ووضع آليات نظرية تطبيقية للوصول إلى تناسق علمي جمعي، بدل الإخفاقات، وخلق القلاقل والتجاذبات السياسية والخروج من متاهات التفكير التجريدي بقبول أعمى بل لا بد من السماع إلى طرح إشكاليات لغوية حقيقية، والعمل على تقديم الحلول بدل التغاضي عنها. ولا بد من الجمع بين وحدة المصير والتقدم الذي لا يحصل مطلقاً إلا باللغات الوطنية، وما يتبع ذلك من القوة الاقتراحية، ومن الخطاب المناسب والحكامة الرشيدة.

إنّ العربية في واقعنا تحتاج إلى صناعة المستقبل، والتجّاح صناعة جماعية ويكمن التعامل بها في فقه الواقع ونقده، والتحلي باليقين والصبر والمصابرة وبطول النفس، وبالتخطيط والتدرّج في نيل اللغات الوطنية مكانها المطلوب وهو المحتوم المرغوب، وكان من حصافة الأجداد، بدل التّعطيل الذي يزيدنا وهناً على وهن. ولا بدّ من تدبير ثقافة الاختلاف العلمي في المناهج للوصول إلى هدف واحد من أبواب متفرقة، على أن تكون آنية جوائية، ولا تتأسس على آليات ثقافة الاستدمار الإلغائية، ولا على المناهج الغربية التّمطية التي لا تقرّ بثقافة الآخر؛ وإلا سنُضيعُ على أنفسنا المقاصد الثرائية التي تأسست بمرافقة واستراتيجية نوعية كان لها القبول الطوعي لدى الأجداد المؤسسين لقضايا العربية. وهنا لا نزيد الطنبور نعمةً، ولا نسيء الأثرة، علينا أن نعيش عصر النهضة، ونكوّن رجل الكبتار في عصر الحاسوب المنوار بخوض رهان المعرفة في اللغة العربية التي تعيش الازدهار، والذي يكمن في تشبيك المدونات اللغوية باستشعار، فهل نحن جاهزون وأوقدنا الأنوار؟

- **رهان المعرفة:** إنّ العربية التي نحتفي بها في يومها العالمي، تحتاج منا إلى الوعي بأهميتها التي تُكسبُ الحداثة، وتسيرُ إلى الأمام، وتُنشُدُ الأفضلَ وتعملُ على التطوير، وعلى اقتصاد المعرفة؛ ببيع الأفكار عن طريق سوق الثقافة المرتبط بالخلق والإبداع والتنافس. علينا الوعي برهانات جعل العربية تتطور عبر التشبيك الآلي، ووسيلة التطور اللغوي لا يكون إلاّ بناء المنصات الرقمية التي تُعطي للعربية نمطية التعامل مع الخوارزميات بصورة آلية ورهانات بناء النحو العالمي/ والعربية العالمية لتعليم وتعلم العربية للفطرين ولغير الفطرين بسهولة، ورهانات كسب قناتين (2) أساسيتين في البناء اللغوي القاعديّ هما: قناة المدرسة وقناة الإعلام، ورهانات الحداثة اللغوية التي تركز على اللغة العربية الحية التي تُستعمل في مجالات الحياة العامة ورهانات صنع المنصات بذكاء صناعي يُراعي خصوصيات اللغة العربية، بما لها من تشكيل وفقه اللغة ومراعاة هذه اللغة التي لها تراث طويل يمتدّ لأكثر من 17 قرناً. وفيها لغة القداسة ورهانات العيش ضمن الأعجوبة الثامنة (كلّ أشكال التواصل الاجتماعيّ) إلى جانب الرقمنة بما تعرفه اللسانيات من فتوحات في التشبيك الآلي ورهانات الأمتة التي تعمل على نقل العربية من لغة مُستقرّة إلى لغة مُتطوّرة سريعة، مليئة لكلّ الاحتياجات، لغة عربية تعيش التّقابل والتّبادل مع اللغات العلميّة في إطار المصالح المُرسلة. وكلّ هذا يتطلّب من الباحثين الوعي بميدان اللسانيات، وبخاصّة اللسانيات الحاسوبية، ولها مجال حديث في العلوم البيئية لا تُصّاله بفقهِ اللغة، وعلم الحاسوب، والترجمة الآلية وهذا كلّه لتعقيل وتحريك آليات العربية في: الصّوتيات الحاسوبية+ التحليل الصّرفي+ التحليل

التحويي+ التحليل الدلالي+ المدقق الإملائي. وكل هذا يؤدي بالعربية إلى اقتصاد المعرفة، فماذا نعني به؟

- اقتصاد المعرفة: إنَّ العربية التي تُقام لها اليوم مُتدياتٌ علميةٌ في كلِّ القارات تستحقُّ نقلَةً في اقتصاد المعرفة؛ مثل المال الذي يخضع للعرض والطلب وللميزان التجاري. وقدماً كانت الأمور التقديّة تُقدّم من عينات ملموسة: سلع مستهلكة تُقبض عليها الأثمان، وتتطلب جهداً جسدياً ونقلًا والآن هو اقتصادٌ طغا عليه الكبارُ في الاقتصاد والعلم؛ ويتمثل في بيع المعرفة وفي وضع البرمجيات+ إعداد الخطط الإنمائية+ بيع الخرائط+ بناء الطُّرق السيّارة+ إنتاج برامج تسيير المكيفات في المدن العالميّة الكبيرة+ خطوط الطيران العالمي في السّماء+ نقل الترامم الترامواي+ والقاطرات الطّائرة+ خرائط نقل السكك الحديدية+ بناء الروبوتات+ صنع المركّبات الدّقيقة+ تطوير الدّكاء الصّناعي في أقصر ما يمكن من التناهي في التّانوتكنولوجي، وفي أدقّ الشّعيرات الاستشعاريّة... فما موقف العربية في هذا الزّخم العولمي؟ نقرّ بأنّ كلّ البرمجيات تصلح لكلّ اللغات الطّبيعيّة وتحتاج إلى حرفين لتطوِّرها والعربية الآن تُستورد فقط وهي عالية على اللغات الأجنبيّة؛ لأننا لما نبن بعدُ البنوك الشّجريّة للنحو العربي؛ والنحو هو المسؤول الأساس لتوفير المعطيات الضّروريّة للتحليل اللغويّ الأعمق وهو الذي يستند إلى أسس المنطق الرّياضي في التّمثيل/ التجريد. ولهذا نحتاج إلى بناء وتوظيف تقنيّات الدّكاء الصّناعي، وإلى بناء مدوّنة مُوصّفة توصيفاً نحويّاً للغة العربيّة الفصحى المعاصرة، وإلى نشاط اللغة العربيّة الحيّة التي يكثر دورائها مثل لغة الإعلام. ولا بدّ من عربيّة علميّة، ووصفٍ جديدٍ للغة العربيّة الحيّة، والانطلاق من

نَمَطِيَّات اللِّغَات الأورِپِيَّة واعتماد القوائم المشتركة، وهذا لربح الوقت
وربما سيكون للحاق باللغات التي لها السبق التقني في هذا العلم المعاصر.
إنَّ العرَبِيَّة التي تحتفي بها الأمم عبر مراكز بحوثها وجامعاتها ومُحِبِّيها
والمُنافِحين عليها علمياً من غير العرب، وهم يذوبون في قوامها اللغويِّ
والعلميِّ، فهل أخطؤوا عندما اختاروا، وكان الاختيار طوعاً. وفي كلِّ هذا
بَصُرُوا بأنَّ الاهتمام بلسانيات المُدوَّنات، وبناء المشاريع المُتوسِّطة والطويلة
المُدَّة كفيلان بنيل العرَبِيَّة المقام التديُّ أمام لغات العلم، ويكون ذلك ببناء
لغويِّ وظيفيِّ في تطوير المادة العرَبِيَّة بما يتوافق وبرامج الذكاء الصنَّاعيِّ
والرهان على الآلة بما تُقدِّمه من مادة لتسهيل عمليَّات التحليل وبكلِّ ذلك
نُحِلُّ عدمَ أجرأة النَّحو العرَبِيِّ + مشاكل الكتابة + صعوبة تعرف OCR على
الكتابة العرَبِيَّة + رفع مُضايقات تحويل (PDF) إلى (Word) ...

فيا أيُّها الحضور، ويا أيُّها المتابعون لهذا المحفل العلميِّ عن بُعد، حُقَّ علينا
الدَّوْدُ عن لغتنا العرَبِيَّة التي تحتاج إلى اهتمام علميِّ، فاللغة تتطور بخدمتها
علمياً، والذي ينطلق في الأساس من خدمتها إبداعياً فاللغويِّ يضع القواعد
في الإضبار، والمبدع الشاعِر يعمل على تنويع أساليب الاختيار والإعلامي
يعمل على الانتشار، والباحث يقوم بتطوير الأفكار، والمُجتمع يساند كلَّ
تطوُّع لغويِّ ينقل اللغة من الكُمون إلى الإعمار، ومن الإهمال إلى الاستعمال
المُختار، فكلُّنا مسؤول عن تقديم الخِدْمات التي تُجَلِّي الغوامض وتُحرِّك
الرِّوايض، وعلينا اعتماداً حُسنِ الدِّفاع، للوصول إلى صواب الانتفاع. والله
المُوفِّق ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُّوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةُ
فِيَنشُكْرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة 105.

- المقترحات:

- 1- ضرورة الوعي باللغة العربية؛ فهي التراث، وهي الوجود، فلم يثبت أن أمة تقدّمت باللغة الأجنبية.
- 2- الاهتمام بالمدونات/ وبالتربية، فهي بناء مجتمع المعرفة.
- 3- مجتمع المعرفة يستثمر في المدونات الطيبة والبيئية...
- 4- مجتمع المعرفة يتطلب لغة وطنية عمادها العلم، وعماد العلم الآن الآلة التّقنيّة.
- 5- الإغداق الماديّ على العربيّة، وبناء المشاريع، وفتح المكانز والتنافس من يقدم الأفضل.
- 6- العمل على تطوير المبنى اللغويّ للعربيّة؛ ضمن منطلق اللّغات وخصوصيّة فقه اللغة العربيّة.
- 7- العمل الجماعيّ ضمن فرقٍ متعدّدة الاختصاصات.
- 8- بناء المشاريع ومتابعة مدخلاتها ومخرجاتها.
- 9- ضرورة إحداث رجّة كبيرة في المؤسسات الجمعيّة العاجزة عن مدّ العربيّة حتى في نموّها.
- 10- تخطيط السياسات اللغويّة والتربويّة، واستشراف المستقبل.
- 11- التخطيط على الآماد الثلاث لمشاريع مستعجلة، ومشاريع متوسّطة المدّة، ومشاريع طويلة المدّة.
- 12- التنسيق بين المؤسسات العاملة على خدمة التربيّة والتعليم.
- 13- السعي الجماعيّ لتجسيد مقولة "لا بدّ أن يأتي العلم على ظهر العربيّة".

تأثير اللغة

على فعل التنشيط الثقافي^٧

■ **الديباجة:** إذا جاز لنا أن نعرّف التنشيط / النشاط الثقافي ففيه نقول: إنّ التنشيط الثقافي عملية مركّبة، فهو لا ينفصل عن المجتمع الذي يقوم فيه ويعمل انطلاقاً من وعي الضّرورات والاحتياجات الخاصّة بالمجتمع. وبناءً على ذلك، فإنّ عملية التنشيط الثقافي تأتي عبر قراءة احتياجات المجتمع بمختلف شرائحه، ومن ثمّ وضع البرامج المناسبة لتلبية تلك الاحتياجات وفي هذا عملية مشاركة بين التنشيط الثقافي وبين الجمهور فالجمهور ليس متلقياً يأتي ليتابع، وإنّما هو شريك في تحديد العملية الثقافية، وبالتالي فإنّ وضع البرامج والفعاليات يأتي في سياق الحوار بين المؤسسة الثقافية، وبين الجمهور عبر القنوات المتاحة. ومع تسارع وتائر العولمة، وما فرضته من تطوّرات مذهلة في عالم التواصل عبر ثورة التقانة والاتّصالات، فإنّ مهامّ التنشيط الثقافي تكتسب أهميّة أكبر، بل ويصبح دور التنشيط الثقافي أصعب بكثير وخاصة أنّ وسائل التواصل قد أتاحت للفرد إمكانيّة الاطلاع والمعرفة والثقافة بشكل مدهل وهي من هذه الناحية قد وضعت العملية الثقافية أمام تحدّيات من نوع جديد، كي تتمكّن من تجديد أدوات التواصل مع الجمهور وبرمجة الفعاليات، واستقطاب الجمهور.

٧ — أُلقيت الكلمة بطريقة التّحاضر المرئي عن بعد بتاريخ: 13 جانفي 2021م، بخصوص موضوع (دور الفواعل الرّسميّة وغير الرّسميّة في التنشيط القرائي) بدعوة من مؤسّسة متسدى رُواد القراءة.

1- فواعل التنشيط الثقافي: هي كثيرة ومتعدّدة، بعضها محلّية وأخرى ولائيّة، وأخرى جهويّة، وهناك ما هو قومي أو عالمي، وكلّها عبارة عن مؤسّسات تابعة للدّولة، أو منتديات تابعة للخواص أو للمبادرات الفردية أو الجماعيّة، على غرار المدارس، والمناظرات والمحاضرات والمكتبات، ودور الثقافة، والمراكز الثقافيّة، والجمعيات الثقافيّة والمنتديات، والمواسم الثقافيّة والنوادي الثقافيّة، والمسارح، ودور الرّقص، والأماسي الشعريّة والصّالونات الأدبيّة، ومختلف أشكال اللقاءات التي يقوم بها بعض المبادرين الذين يقومون على قيام المشاهد الثقافيّة في الإطار المحليّ أو الولائيّ أو الجهويّ أو القوميّ أو خارج الجنس التّشاركي. وإنّ هذه الفواعل يزداد عملها في هذه المرحلة، فهي لا تسير المنظومات التّربويّة بقدر ما تسير الأوضاع الاجتماعيّة المتعدّدة الأفكار والمشارب. فهناك حاجات جديدة متلاحقة لا بدّ من التّعاطي معها بإيجابيّة متزايدة، تجعل من مسألة تعاطي الأنشطة الثقافيّة أمراً في غاية الأهميّة؛ لأنّ الأنشطة متعدّدة وهي كفيلة بتمكين القوى الجسميّة والتّفسيّة المنهكة، من استعادة حيويتها، والطّاقات الفكرية والإبداعيّة المعطلّة من تفجير قدراتها. فعبّر النّشاطات التّعبيرية الحرّة سيتمكّن الأفراد من الخروج من عالم الرّتابة والسّلبية، إلى عالم النّشاط المبدع والوعي والجماعة، وهو ما يسمح بنسج شبكة من العلاقات الشّخصية التي ستساعدهم على تحقيق ذواتهم وخلق حياة متناسقة. إنّ تعاطي هذه الأنشطة الثقافيّة والترفيهيّة ليس أمراً ضرورياً فقط، ولكنّه أصبح ممكناً بفضل ما تقوم به الدّول أو مبادرات الأفراد من إرساء لشبكة متراميّة الأطراف من الفضاءات الثقافيّة. ولهذا كان من الطّبيعيّ أن تسعى هذه الأنشطة لبعث

مجالات التفكير والإبداع والتكوين والاتصال والترفيه فإن المهمة الموكولة إليها في هذه المرحلة، هي العمل على تطوير القدرة على التفكير عند الجمهور في ذاته، وفي محيطه حتى يتمكن من التمرس على حق الاختيار والبحث والالتزام. وهو ما يفترض القطع مع الرداءة ويستوجب التحري في اختيار المنتجات الثقافية المتقاة للبرمجة الثقافية واختيار موضوع النشاط.

2_ التنشيط/ النشاط الثقافي في النوازل: لا شك أن الإنسان مجبول

على التحرك ضمن سيروراته العقلية والجسدية؛ لممارسة الخلافة في الأرض فهو يتأقلم والطبيعة وما يحيط بها من عوامل ومتغيرات، فتدلنا أمارت التاريخ كيف كان الإنسان يتكيف وفق المعطيات التي تحيط به. ولقد ميزه الله بخاصيتي: العقل واللغة؛ وجعلناه اجتماعياً بالغريزة والوعي، وهذا بسبب ما يملكه من حركة التألف والسعي للبقاء. وكل هذا هو نشاط حيوي تتركه يوجد وسائل تنشيط مختلف الأجهزة الجسدية للعيش ضمن كل المتغيرات. وهناك من يعرف التنشيط "... استحضار للعلاقات الإنسانية التي تيسر وتخلق التجاوب داخل المجموعات الإنسانية والإنسان مدني بطبعه، يسعى لتحريك أفعاله ضمن المعطى الجماعي؛ بأن يحدث الحركة الارتهازية أو البعدية لتفعيل نشاطه الاجتماعي. ومن هنا فإن كلمة (التنشيط) من جذر (نشط) تعني الحركة نحو التغيير. وتأتي من فرد أو أكثر من أجل التغيير. والتنشيط إجراء عقلي أو جسدي؛ يعني السعي / الحركة ضمن دائرة مُخطط نتائجها تكون في الصالح العام. وحسب ما تنصّ عليه معاجم اللغة، تعني كل إجراء عقلي/ جسدي يعمل على التغيير. فنقول: التنشيط / النشاط الثقافي/ الجمعي/ النشاط المدرسي/ النشاط الرياضي... وهناك فواعل كثيرة في

هذا الأمر تقوم بفعل التنشيط، وطبيعة النشاط، وما يحيط به من أجواء وأحوال.

بالنسبة لمثل هذه الحالة؛ حالة الجائحة/ الكوفيد/ مختلف التوازل تكون مستجدات تتعلق به، فيحدث مفهوم عملي في التنشيط، والحجة في هذا شرعية باستمرار الحياة. وهو تحدُّ جُبِل عليه البشر، كما جُبِل على التسيان ومن هنا يقوم الفاعل الثقافي بمراعاة المستجدات التي يضعها في تخطيطه لضمان النجاح، وحسن الوصول إلى هدف النشاط. وفي هذا المجال نربط التوازل بشكلها ومعطياتها للتعامل معها بما يتوافق ونوع الجائحة. ونزرع الأمل، ولولا الأمل لما علا بنيان، ولا اخضر الجنان ولا تسامت الأغصان ولا تمايلت الأفنان، ولا زوّجت التسوان، ولا اشتاقت أنثى إلى الرضعان ولا تاق إنسٌ إلى الرضوان ولا جان، وصار كل ما رأته العين وتراه في خبر كان، لا من نجم ولا شجر يسجدان، ولا من بشر وحشر يعبدان، وكما قال الشاعر أبو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي المتوفى سنة 514هـ في لاميته العجمية:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وقد علمتنا الحياة أنه بعد العسر يسراً، وعلمتنا أننا ننتصر بالإصرار كما وعدتنا أنه لا نطلب من الأشواك أن تفوح بالعطور، ولا من الصحراء أن تنبت الزهور، ولا من فاقد الإحساس أن يهتم بالشعور. والشاعر يقول:

ضائق فلما استحكمت حلقائها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

3- أساليب التنشيط: توصلت الأبحاث التجريبية حول أساليب التنشيط والتسيير من استخلاص ثلاثة أساليب كبرى للتنشيط، وهي: الأسلوب السلطوي + الأسلوب الديمقراطي + الأسلوب الفوضوي. ولا يمكن أن ينجح أي أسلوب إلا بتحقيق المهام التالية: حسن الاستقبال + التعرف على المشاركين + تحديد الأهداف + تحديد الأدوار + تقديم موضوع النشاط + العمل على الإثارة + الدفع إلى العمل + الاهتمام بحاجيات ورغبات المشاركين وجعلهم يحسّون أن الموضوع يستجيب لحاجياتهم ويرتبط باهتمامهم + المساعدة على توضيح الأفكار التي تبدو غامضة + بناء تصميم لمناقشة الموضوع وتمكينهم من التحليل الموضوعي واتخاذ القرار + حسن التلخيص + عدم الهذر وما يخلّ بمنطق الموضوع، أو الخروج عنه + التمكين من المعرفة + التكيف مع الوضعيات الجديدة + معالجة المشاكل التي لم تكن متوقعة بكل موضوعية.

4- استراتيجية التنشيط الثقافي: يبدو لي بأن نجاح أي عمل يحتاج إلى خطة منهجية مدخلات تدريجية للوصول إلى مخرجات ناجحة. ويمكن أن نسميها باستراتيجية مدروسة تراعي الآتي:

1/4- النسق العام للنشاط.

2/4- نوع التنشيط الثقافي.

3/4- الجمهور المستهدف.

4/4- الزمان والمكان.

5/4- طبيعة التكيف.

5- تأثير اللغة في التنشيط الثقافي: من المعروف أنّ اللغة كائن لا ينمو

ولا يتطور مع متطلبات الحياة إلا إذا تمّ استخدامه وتنميته؛ فهي كمجرى النهر إذا لم يكن له روافد تغذيه سيجفّ في يوم من الأيام، ومالم تدعّم اللغة بالمفردات والمصطلحات التي تستخدم في الحياة اليومية وستحلّ محلّها مفردات ومصطلحات بديلة مكتسبة من لغات أخرى، وهذا واقع حالياً. وإنّ الوعي بأهمية حسن استخدام اللغة ووعي جمعيّ، وبخاصّة في مناحي التنشيط، فهي غلاف ما تحمله من ثقافة دائمة، وليست موسميّة. ولا بدّ من عودة الوعي للمؤسّسات والأشخاص والمسؤولين للاهتمام باللغة العربيّة والتمكين لها في مختلف مناحي التّواصل، الأمر الذي يعدّ مؤشراً على تنامي الوعي الذي يجب أن يتمّ ترجمته لأعمال إجرائيّة بحيث يكون للغة دور مشهود في التّعليم وفي وسائل الاعلام وتعريب الكثير من النّظم في المناهج التّعليميّة لتكون العربيّة لغة التّخاطب الأولى. وهذه من مؤسّسات الفواعل القاعدية للغة، ولها حكم نافذ في مجال استخدامات اللغة، كما هو معمول به في بعض الدّول الغربيّة.

إنّ اللغة عنصر أساس للتّواصل الاجتماعيّ والفكريّ، كما أنّها الوعاء الحافظ للثقافة والهويّة وكلّها مكونات تكمل بعضها في الحفاظ على عناصر الهويّة، فكل ما أفرزته الحضارة العربيّة كانت اللغة هي الوعاء والنّاقل والمكوّن الأساس له. ولكن في النّشاط الثقافي نحتاج إلى لغة رصينة جميلة ملبّية لآليات التّواصل بشكل السهل الممتنع، وهل نملك مؤسّسات لقيام منشطين فاعلين ومؤثرين؟ إنّ ربط اللغة بالمنشط يعني خلق صناعة النّشاط الثقافيّ الذي يرتبط بالمعرفة والدراية والاستعداد والموهبة، وحسن التّحكم في

اللغة، وهذا ما يجعل المنشط يكتشف المواهب عندما يكون حاملاً لفن الخطابة أو الإلقاء، وله متوج ثقافي وفير، إضافة إلى مرافعاته ومنافحاته اللغوية التي تخلق منه قامة سامقة في التنشيط، ويطلب ودّه في مختلف المقامات التنشيطية. كما أنّ الفاعلين في أمر اللغة يجب أن يكونوا في المقام الأول من رجال الإعلام، وهم أولى الناس بتحقيق الأمن اللغوي الذي يأتي رصيناً جيداً مبنياً للغة ومضيفاً لجمالياتها التعبيرية.

وإنّه لا مندوحة من تأكيد حسن استعمال العربية أثناء التنشيط، فهي التي تعطيك الهيبة والاحترام وهي الألق والإجلال، وهي صورتك التي تكسبك الوقار، وكلّما ارتقى أسلوبك في إتقان اللغة علت شخصيتك، فاللغة هي التي تمدحك عندئذ، وكن دائماً حريصاً أن يكون لك مقام الدّوق عند الآخرين بفضل اللغة، وتمثّل روحك كحبّات السّكر حتى وإن اختفت تركت طعماً حلواً، وحتى إذا خانك التعبير فمستمعوك لا يخونهم التفسير. إنّ أناقة اللسان هي ترجمة لأناقة فكرك، فلا ترفع صوتك، بل ارفع مستوى كلماتك ولا تكن صفرأ على اليسار، فاللغة العربية تكره التكرات ولا تعتدّ إلاّ بالمعارف المضيفات، فكن مضيفاً لا تابعاً مردّداً، فأين مقامك من جلالة الملكة (العربية المقدّسة)؟

- مقترحات: أختم بالدّعاء لكلّ المتابعين لهذا المتدى حول التنشيط الثقافي الذي تقوم به مؤسّسة رواد القراءة الذين يتحدّون الصّعاب، وقد ركبوا المخاطر، فما استكانوا للجائحة، بل جعلتهم يبدعون وينشطون ويتألقون فنقول لهم: ظللكم الله بالورود، وسقاكم من نهر الخلود وعطر

حياتكم بالعنبر والعود، وأدخلكم وأهليكم جنّات الخلود، وصرف عنكم كلّ حاسد وحقود، إنّهُ لطيف ودود. وإليكم بعض المقترحات:

- 1- الحاجة القصوى إلى تكوين كوادر مؤهّلة ومتخصّصة في هذا المجال.
- 2- الحاجة الماسّة لتطوير البرامج والخطط والاستراتيجيات الثقافيّة.
- 3- تنمية الوعي العامّ بأهمية التّثنية الثقافيّة كجزء من التّثنية المستديمة.
- 4- إشراك الجمعيات الثقافيّة ذات العلاقة، وكذلك الفاعلين الاجتماعيين والمؤسّسات الاقتصاديّة التي يهّمها التّشاط.

حماية ذاكرة الشهداء^٧

- **الديباجة:** أيها المتدون، أجد نفسي أمامكم مسؤولاً للحديث عن مُشتملات هذا اللقاء، لقاء حول الذاكرة الوطنية، ولا بدّ من التعمق في المبادئ التي نكتنزها رسالة الشهداء ضمن النصّ الدستوريّ الخاصّ بالقيم الوطنيّة، والثوابت التاريخيّة، والمكونات الأساسيّة للهويّة المستمدّة من مبادئ أول نوفمبر 1954م، وتكريسها في النصّ الدستوريّ، بالنظر الى أهمّيّتها في ترسيخ مبادئ المواطنة الإيجابيّة، وشحذ العزم للتفاني في خدمة البلاد. وهذا ضمن العناية الكبيرة التي يوليها رئيس الجمهورية السيّد (عبد المجيد تبون) للمرجعيّة التوفمبريّة، والالتزام برسالة الشهداء. وكان من تعهدات الأربعة والخمسين (54) تأسيس 8 مايو يوماً وطنياً للذاكرة، وتمّ استرجاع جماجم ورفاة شهداء المقاومة الشعيبة في عيد الاستقلال 2020، وتعهّد بإنشاء القناة المتخصصة في التاريخ الوطنيّ وكان ذلك. وهي كلّها تعدّ من لبنات الجزائر الجديدة العاملة على حماية الموروث التاريخيّ والثقافيّ. ومن هنا أقول: إنّ حماية الذاكرة قضية جماعية؛ تبدأ من تربية أولادنا في المدارس على مآثر الأجداد، وهذا هو القاعدة التي تجعل أولادنا وشبابنا يتعلّقون بمفاخر ماضي أجدادهم، ومن ثمّ تأتي متعلّقات أخرى من مثل:

^٧- ألقى الكلمة في منتدى الذاكرة الذي أقام ندوة شعارها (معاً لحماية ذاكرة الشهداء) بالمخيم الدولي للكشافة الإسلاميّة، بسيدي فرج، بتاريخ 18 جانفي 2021م. تنظيم كل من: جمعية مشعل الشهيد+ جريدة المجاهد+ الكشافة الإسلاميّة.

1_ الاستثمار في مجال التاريخ في التربية والتعليم: فلا بدّ من تدريس التاريخ الوطني الصّحيح والتّنويه به؛ على أنّه يشكّل أحد العناصر الأساس للشخصيّة الوطنيّة، وسجّل لوحدّة الأمة. إنّ التاريخ هو العمق الوطنيّ للأمة يعلن عن أصالتها وإيّتها، فلا أصالة لأمة دون ماضٍ أثيل. لا بدّ أن نقرأ التاريخ بانتصاراته للاستفادة منها وتعزيزها، انتصارات الأجداد كثيرة ومتعدّدة وسواقيها حضاريّة قائمة، وفيها نتعرّف على أسباب نجاح الودّ والتعاون وشدّ العزيمة والاتّفاق والوحدّة، وفيها قراءة اعتبارية تجنّبنا لأسباب الانكسار وتجعلنا نحقق الاستخلاف في نقل أمانة العظماء. التاريخ عبرة وعظة وحكمة وبه نحقق أسباب الانتصار عبر تراكم العمليات الحضاريّة الزمانيّة التي عرفها سلفنا أثناء مسيرهم في الأرض وتعميرها بحسن التّعامل بموازين الانتصار وكيف تجنّبوا عوامل الانكسار التي هي من عوامل الخراب. ولا بدّ إذن من النّظر في سنن الأجداد وكيف حقّقوا تبادل المصالح المرسله عبر التّصاهر والتّساكن وما يجمعهم من تاريخ ودين ولغة وماضٍ ومستقبل.

2_ إقامة الجمعيات التي تهتمّ بالذاكرة، في الماضي والحاضر والغد: وكلّ جمعيّة تعمل على نشر الوعي بالتاريخ الجمعيّ الذي جعلنا أمة تفتخر بماضيها. تاريخنا كبير يحتاج إلى تدريس علميّ ينطلق من الوثائق والأحداث والسّجلات. ذلك التاريخ الذي عرفته الدّولة الجزائريّة من نواميديا وموريتانيا، مروراً بالفتح الإسلاميّ المجيد، وإلى ملوك البربر العتيد، وإلى الإسبان المستعمر العنيد ودولة الجزائر في العهد العثمانيّ المرید، إلى المستدمر الفرنسيّ الحقير، وإلى الاستقلال الوطنيّ الجدير فأنعّم به من دولة التاريخ الكبير!

3- لماذا العودة إلى سجلات التاريخ؟ لأنّ تاريخنا يحمل وصفات الأجداد اللامعة التي تُحيلنا إلى مرجعية عظيمة، وفيها نجد مواصفات تواصل الأجيال، والعمل على دوام الذاكرة، وتجديد معالمها حسب متوافقات الزمن الذي يستمرّ في التكامل المبني على قاعدتهم إنّ أحسنَ اللاحق إنّ الفضلَ للسابق. هي تأكيد لمقولة إنّ أمة بلا ذاكرة أمة بلا مستقبل. ولهذا لا بدّ من تواصل يقع على عاتق المؤرّخين والمعلّمين والسياسيين في الكتابة التزيهة والبحث في الأضابير، وتفعيل ذلك في التعليم.

4- تجسيد سياسية البلد الجزائري في تمجيد تاريخه عبر العصور بإقامة وزارة للذاكرة؛ كي لا ينسى هذا الجيل الجديد ماضيه، فلا يكون له حاضر ولا مستقبل. جيل يحتاج إلى مرافقة. جيل يريد أن يعرف مفاخر أجداده، ولا يكون إلّا بإطلاق أسماء الذين صنعوا المجد على المدارس والمتوسّطات والثانويات والجامعات ومراكز التكوين والأماكن العمومية والثكنات والشوارع والمطارات... ويجد ذلك في الكتاب المدرسيّ وفي الخطاب السياسيّ، وفي منابر المساجد، وفي مفاخر المناسبات الوطنية.

5- ضرورة تأكيد المشترك الجمعي الذي لا يمّسّ، ويكون من المقدّس من مثل: النظام الجمهوريّ+ قدسيّة العلم الوطنيّ+ قدسيّة التشيد الوطنيّ+ تعزيز وحدة الهوية اللغوية+ تميمين الذاكرة الوطنية ورموزها.

6- خصوصية الثورة التحريرية التي أنقذت البلد من سرطان التخريب تدمير للذات الوطنية التي عشش فيها مدداً، مرض ألم بالبلد عمداً، ولم يكن

سهلاً أن تندمل الجروح الغائرة؛ لولا تلك الدماء التي أريقَت على مذبح الحرية، فكان نوفمبرُ المجدِّ، وكان الانتصارُ الخُلدِ.

6/1- عظمة الشهداء الذين قالوا إذا ما استشهدنا دافعوا عن ذاكرتنا وهذا ما قاله البطل (ديدوش مراد) هي أيقونة خطابية لا تقدّر بثمن ولنمس فيها دعوة للاستلham من مسيرة الشهداء، وجعلها مرجعاً تنهل منه الأجيال الصاعدة عظمة الشهيد، والعبرة لحماية الذاكرة التاريخية، وكلّمهم قالوا: ارموا بالثورة إلى الشارع يلتقطها ويحميها. فالشارع كان من الشباب فرفعوا الراية وساروا على الدرب المضيء؛ باتباع قوافل الشهداء الذين ضحوا وسلكوا سبيل الكفاح من أجل استرجاع السيادة الوطنية والاستقلال. بتلك الخطابات والمقولات المسنودة بالأفعال ينتظر منّا الشهيد أن نكون قدوة لمشيختهم، ينتظر منّا وطناً يجمع أمةً مستقلة بقراراتها وسيّدة على أراضيها وخيراتها. ينتظر منّا الشهيد الأمة المتلاحمة المتآزرة من أجل الحفاظ على الاستقلال، والمضي بالوطن إلى محافل الدول الرائدة بھاكلها المبنية على العلم والعلماء، وبنظامها الناشر للعدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفرص في العلم والثراء والعمل والمسكن والمأكل والمشرب بين كل أفراد الأمة في أية جهة وُجدت. ينتظر منّا الشهيد الولاء للوطن الذي نعیش فيه جميعاً دون مقابل، وجعل عقولنا وقلوبنا مقاماً له ليعيش الوطن فيهما. ينتظر منّا الشهيد جبر الضرر للعيش معاً بسلام وضرورة التعامل مع ماضي الأجداد برفق من منظور الاستمرارية المتجددة.

2/6- إحياء الذكريات المخلّدة لصفحات تاريخ ثورة التحرير المجيدة وهو ما يجب أن يُرسخ في هذا الجيل لإعلاء مقام تحرير الوطن من هيمنة الاستعمار الفرنسيّ البغيض، وتبقى ممارسات التّنديد قائمة عبر تلك الأيام التّاريخيّة التي نُذكرنا بالوجه البشع لفرنسا التّخريبية.

3/6- إقامة المعالم التّذكريّة، وزخرفة مقابر الشّهداء؛ تذكيراً بما قدّمه هؤلاء الأبطال من أجل أن نعيش أحراراً، من أجل أن نتعلّم، من أجل أن نكون أسياداً؛ لنا كرامتنا التي جعلتنا نرتقي بين العالمين، ويكون لنا شأنٌ بتلك الثّورة التي غيرت مجرى التّاريخ. ثورة لا مثيل لها في ثورات العالم وقال فيها الجنرال (جياب) ثورتنا في الفيتنام مع نفس العدو، وتشبه ثورتكم في العظمة والانتصار ولكنّ ثورتكم أعظم؛ نحن نكافح الاستعمار الذي يأتينا على بُعد 5000 كلم، فبعده أثرٌ وانقلبَ عليه، وسهّلَ الانتصار. وأما أنتم فالعدو في بلدكم، وقريب منكم، فانتصرتم بجدارة.

4/6- ضرورة مواصلة المطالبة بالحقوق التي لا تموت بالتّقدم، أو بتغيّر المسؤولين؛ هناك ملفات عالقة لا بدّ من تسويتها من مثل: مسألة المفقودين+ استرجاع رفاة شهداء المقاومات الشّعبية+ استرجاع الأرشيف الوطني الخاصّ بالثّورة التّحريرية+ تعويض ضحايا التّجارب التّويّبة+ تعويض ضحايا الخلافات البيّنة التي كانت فرنسا سبباً فيها.

7- دور الإعلام في الذاكرة: إذا كانت المدرسة قاعدة تثبيت الذاكرة والهويّة، وبناء شخص الغدّ فإنّ الإعلام هو العامل على ترسيخ الذاكرة باعتباره يعمل على التّأثير الوطنيّ والخارجيّ، فهو الذي يحمل سلاح

الانتشار بما له من سلطة التأثير والتغيير. وبات حريّ بنا أن يكون رجلُ الإعلام جديراً بنشر أمانة الشهداء، أمانة نقل التاريخ إلى التاريخ، أمانة وعي الواقع بأحداثه الماضية في الانتصارات الكبرى لتكون في وسط أعمالها الباقية الخالدة. هذا هو الإعلام المطلوب، وإسهامه في اللحظات التي تشتدّ فيها الأزيمة أكبر وأعظم، وأن يكون عضواً في مجتمعه، فاعلاً في نشر أفكاره داعماً لقراراته، مؤثراً في محيطه وخارج محيطه. أن يكون لسان حاله، أن يكون عاملاً على التفعيل بما يحمله من وسائل معاصرة: إعلام مكتوب + مرئي + شبكات + فسبكة + توترة + إنستغرام + تلغرام + سيغنال + ناسوخ + واتساب... أرادة من المؤثرات الإعلامية ألا يكون له موقع في التأثير على حسن التدبير من أجل مواطنة فعلية لترسيخ رسالة الماضي بمعطيات الحاضر. يمكن، والعملية سهلة إذا كان الإعلامي عضواً في مجتمعه. يمكن، إذا كانت الكلمة تصدر من الإيمان والعمق ستنال التطبيق. يمكن، إذا تضافرت جهود المخلصين في كلمة سواء. إذا تعال نشدُّ الهمة؛ وصولاً إلى صنع قرار المهمة. تعال معاً لننقل رسالة الشهداء بنصوصها التامة، فهم قالوا لنا إخواني لا تنسوا شهداءكم" ونحن نقول لهم: أبأؤنا نحن على دريكم سائرون، ومن مآثركم مُستلهمون.

المعجم التاريخي للغة العربية[♥]:

الخصائص والوظائف والمحتوى.

- **الديباجة:** إنّ المعاجم أنواعٌ متعدّدة؛ فمنها المعاجم اللّغويّة العامّة وتفرّع إلى معاجم آنيّة ترصد ألفاظ اللّغة المستعملة في مرحلةٍ معيّنة من مراحل اللّغة، ومعاجم تاريخيّة ترصد ألفاظ اللّغة في مراحل استعمالها المختلفة. وإنّ المعجم التاريخي معجم يتضمّن هويّة/ تاريخ كلّ لفظٍ من ألفاظ تسجّل بتاريخ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخ تحولاته الدلاليّة والصّرفيّة، ومكان ظهوره، ومستعمليه في تطوّراته إن أمكن، مع توثيق تلك الهوية/ الذاكرة بالنّصوص التي تشهد على صحّة المعلومات الواردة فيها.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربية معجم الأمة، أو معجم قومي إسلامي له خاصيّتان لا توجد في المعاجم التاريخيّة للّغات التي أنتجت معاجمها التاريخيّة وتمثّل الخاصيّة الأولى في ذلك الزّخم الكبير من المتّوج والّتراث الذي خلفه علماء اللّغة العرب القدامى، وغير العرب، إضافة إلى جهود المحدثين في هذا المجال. وهذا الزّخم سيكون له تأخير في تدوين جبال من المتّوج في مختلف العلوم. والخاصيّة الثّانية في ميزة العربية عن باقي اللّغات في استوائها كاملة في العصر الجاهلي، وحصول شبه قطيعة بينها وبين باقي السّاميات. ولهذا ستحصل بعض المضايقات في أمر هاتين الخاصيّتين، ومهما حصل

♥ - أعدت الكلمة لصالح مكتب تنسيق التعريب في الرباط. ألقيت عبر تقنية Google Teames بتاريخ 23 جانفي 2021، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية.

الاستيعاب والسيطرة على المعجم التاريخي للغة العربية يبقى القصور على الإحاطة بكلّ مفردات اللغة العربية. ولكن ما لا يمكن السيطرة عليه كلية لا يترك جلّه، بل نعمل على أن يكون لنا معجماً تاريخياً كباقي دول العالم، وما الفائدة التي ضيعناها في معرفة لغتنا معرفة صحيحة، وما الثمار التي سنجنيها لو أُنجزنا أرّخنا للغتنا.

1- **معنى المعجم التاريخي للغة العربية:** هو ديوان العربية "... يجمع مفردات اللغة وفق نظام معيّن، مضبوطة ومشروحة مع مراعاة التطوّر الدلاليّ للفظ، بدءاً بالمعنى الحسيّ، وتدرّجاً معه عبر التاريخ، في ضوء الشواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التطوّر قدر الإمكان» (مصطفى يوسف عبد الحي، 2014، ص33). والشاهد فيه هو ذلك التطوّر الذي يلحق اللفظة من تاريخ ميلادها بدلالاتها الأولى، وتاريخ تحولاتها الدلالية والصرفيّة، ومكان ظهورها، ومستعملها في تطوّراتها دون أن يهمل الظروف المحيطة بها، والأسباب التي جعلت المعنى يتغيّر من زمن إلى آخر. إنّه ذاكرة اللغة الحية المستعملة في الكتب والإضبارات، أو المستعملة في الحياة اليومية.

وهناك نوعان من المعجم التاريخي: نوع يسمّى المعجم التاريخي العام ويهتمّ بالكلمات وتطوّرها من حيث المبنى / المعنى / طريقة الكتابة مع تسجيل أصولها الاشتقاقية، بداية دخولها للغة وصيرورتها، بعد فترات من التطوّر، ويمثّل هذا النوع من المعجمات معجم أوكسفورد في اللغة الإنكليزية. وهناك المعجم الاشتقاقي / التّأصيل، ويرتكز اهتمامه على أصول الكلمات، أو ما قبل تاريخها، وعلى أصولها الحديثة، ممّا يجعله مقتصرًا على شكل الكلمة دون معناها، وألفاظ اللّغة، فيدلّنا إن كانت الكلمة عربيّة

أم فارسيّة أم يونانيّة ...". (عمر أحمد مختار، 2009، ص56). وأهمّ مواصفات الاثنين تكمن في القواسم المشتركة التي تحدّث عنها (علي القاسمي) وهي:

1. تجنّب الوصف والتعليل في تقديمه لأصول الكلمات وتاريخها والالتزام بالردّ التاريخيّ.

2. يعتمد على شواهد تكون محدّدة بفترات معيّنة من حياة اللّغة.

3. ترتيب المعاني فيه يكون بطريقة تبيّن تطوّرهما وتوالدها بعضها عن البعض الآخر.

4. احتواؤه على ألفاظ ميّنة يكون قد استمدّها من مصادر تقوم على مواد وتسجيلات كتابيّة عائدة إلى فترات سابقة من حياة اللّغة وحتى أنّ معلوماته التي يقدمها.

والذي يهتّمنا من كلّ هذا ضرورة إنتاج المعجم التاريخي للغة العربيّة وقد تأخّر العمل فيه كثيراً، وقد خُطّط له سنة 1934م، ونعيش الآن تأخراً زمنياً كبيراً، علماً أنّ قياس تقدّم الأمم بمدى اهتمامها بلغتها، لأنّها عنوان حضارتها، وبوابة تاريخها، وما المعجمات إلا إحدى الوسائل التي ترفع أمة من الأمم إلى الدّرجات العليا في مضمار الحضارة، واللّغة العربيّة غنيّة بهذه الوسيلة في الشقّ اللّغويّ وفقيرة إليها في الشقّ التاريخيّ. وإنّ حاجة اللّغة العربيّة إلى المعجم التاريخيّ هي حاجتها إلى ذاكرة تخزّن التراث، وهو ضرورة علمية وحضاريّة وموجب قومي. ولا بدّ أن يكون بالرجوع إلى الواقع اللّغويّ المسجّل والمحدّد بعصور معيّنة، وإحصاء المعجم لكلّ الكلمات التي

استعملت في اللغة العربية وضرورة دراسة الكلمات من الجوانب: التاريخية الاشتقاقية، التصريفية، التعبيرية، النحوية البيانية، والأسلوبية. وهذا يحتاج إلى ذكاء صناعي رقمي في تسهيل الوصول إلى المدونات المطبوعة والمحقة والوثائق في صورة رقمية ربحاً للوقت، وهذا هو الرهان الذي نريد كسبه من خلال المنصة الذكية والعالية الجودة، والسريعة الاستجابة، والمراعية لخصائص العربية.

2 - **خصائص المعجم التاريخي:** ينطلق في المقام الأول من الهوية/ الوجود بأن يكون مبنياً على نظرية نسقية موثقة لغوياً. وهكذا نراه:

1 / 2 - اعتماد خاصية التأريخ؛ معجم تاريخي.

2 / 2 - مبني على نظرية لغوية.

3 / 2 - اعتماد خاصية الترتيب الألفبائي.

4 / 2 - اعتماد الجذور؛ الأصل، فالفرع، المجرد فالمزيد...

5 / 2 - اعتماد التعريفات.

6 / 2 - تحديد المصطلحات.

7 / 2 - استصحاب الشواهد.

3 - **وظائف المعجم التاريخي:** هناك مجموعة وهي:

1 / 3 - شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها، مع تتبع معناها أو معانيها

عبر العصور.

2/3- بيان كيفية نطق الكلمة.

3/3- بيان كيفية كتابة الكلمة.

4/3- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة.

5/3- بيان درجة اللفظ في الاستعمال، ومستواه في سلم التنوعات اللهجية.

6/3- تحديد مكان النبر في الكلمة.

4- **محتوى المعجم التاريخي:** إنَّ أهمَّ ما يقدمه المعجم التاريخي هو الحفر البعيد في الذاكرة اللغوية؛ بما في ذلك من كشف لبنائها وآليات تطورها. وهذا الأمر لا تقدمه إلاَّ المعاجم التاريخية، حيث تتيح مشهديات مختلفة لمكونات ثقافة اللغة، ولهذا يحمل محتواه ما يدور في عصور اللغة من مستويات الاستعمال، والوحدات المعجمية، والإتيان بالشواهد وترتيب المواد والمداخل والمعاني، وما يطرأ على معاني الألفاظ وتطور دلالاتها. ولهذا سيكون أمر إنجاز المعجم التاريخي محفوفاً بمحاذير كثيرة قد لا نقع في الخطأ. ونحتاج إلى انتقاء مصادر المدونة الحاسوبية، وإلى اعتماد الحزم الاشتقاقية التي توجد في المحلل الصرفي والنحوي، وإلى مراجعات دقيقة في التعريفات وتحديد المصطلحات، وما له علاقة بقواعد التوثيق، ومنهجية التحرير وضوابطها، باعتماد المعالجة الحاسوبية والفهرسة الآلية.

- **الخاتمة:** إن رِهان إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية يعود إلى كسب رهان استغلال الآلة في الأمتة التي تجعلنا نربح الكثير من الوقت بدل الضائع، ويحتاج إلى خطة علمية تحدّد بزمان، ويكون برعاية دول/ دولة تغدق عليه من أجل احترام الآجال، واستيفاء مشروع الأمة في ترميم حضارتها، وإكساب مجتمعا مفردات لغته بفضل ملكته اللغوية، وقدرته المعجمية خاصة. فلا يتصور أنّ أمة حققت معجمها التاريخي بسهولة، أو حصل دفعة واحدة، أو بدون إنفاق، ولا شك أنّ عملاً عظيماً من هذا القبيل يحتاج إلى تضافر الجهود، وتبادل الخبرات، والتعاون المستمرّ، مع طول نفس، وتدرّج في العمل. وتتضافر هذه الجهود ينجز المعجم التاريخي وتكبر لغة الأمة، وتزدهر وتتطور، والأجيال القادمة كفيلة باستحداث مفردات جديدة تقتضيها حاجاتها في التعبير أو بإهمال استعمال قسط من المفردات القديمة التي لم تعد تدعو الحاجة إلى استعمالها، وبذلك يصبح المعجم التاريخي ملكاً جماعياً للأمة مثله مثل الوطن؛ لجميع أبنائه دون أن يدعي أحد منهم ملكيته بمفرده.

المعجم التاريخي للغة العربية[♥]:

الخصائص والوظائف والمحتوى.

- **الديباجة:** إنّ المعاجم أنواعٌ متعدّدة؛ فمنها المعاجم اللّغويّة العامّة وتفرّع إلى معاجم آنيّة ترصد ألفاظ اللّغة المستعملة في مرحلةٍ معيّنة من مراحل اللّغة، ومعاجم تاريخيّة ترصد ألفاظ اللّغة في مراحل استعمالها المختلفة. وإنّ المعجم التاريخي معجم يتضمّن هويّة/ تاريخ كلّ لفظٍ من ألفاظ تسجّل بتاريخ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخ تحولاته الدلاليّة والصّرفيّة، ومكان ظهوره، ومستعمليه في تطوّراته إن أمكن، مع توثيق تلك الهوية/ الذاكرة بالنّصوص التي تشهد على صحّة المعلومات الواردة فيها.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربية معجم الأمة، أو معجم قومي إسلامي له خاصيّتان لا توجد في المعاجم التاريخيّة للّغات التي أنتجت معاجمها التاريخيّة وتمثّل الخاصيّة الأولى في ذلك الزّخم الكبير من المتنوع والتراث الذي خلفه علماء اللغة العرب القدامى، وغير العرب، إضافة إلى جهود المحدثين في هذا المجال. وهذا الزّخم سيكون له تأخير في تدوين جبال من المتنوع في مختلف العلوم. والخاصيّة الثّانية في ميزة العربية عن باقي اللّغات في استوائها كاملة في العصر الجاهلي، وحصول شبه قطيعة بينها وبين باقي السّاميات. ولهذا ستحصل بعض المضايقات في أمر هاتين الخاصيّتين، ومهما حصل

♥ - أعدت الكلمة لصالح مكتب تنسيق التعريب في الرباط. ألقيت عبر تقنية Google Teames بتاريخ 23 جانفي 2021، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية.

الاستيعاب والسيطرة على المعجم التاريخي للغة العربية يبقى القصور على الإحاطة بكلّ مفردات اللغة العربية. ولكن ما لا يمكن السيطرة عليه كلية لا يترك جلّه، بل نعمل على أن يكون لنا معجماً تاريخياً كباقي دول العالم، وما الفائدة التي ضيعناها في معرفة لغتنا معرفة صحيحة، وما الثمار التي سنجنيها لو أُنجزنا أرّخنا للغتنا.

1- **معنى المعجم التاريخي للغة العربية:** هو ديوان العربية "... يجمع مفردات اللغة وفق نظام معيّن، مضبوطة ومشروحة مع مراعاة التطوّر الدلاليّ للفظ، بدءاً بالمعنى الحسيّ، وتدرّجاً معه عبر التاريخ، في ضوء الشواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التطوّر قدر الإمكان» (مصطفى يوسف عبد الحفي، 2014، ص33). والشاهد فيه هو ذلك التطوّر الذي يلحق اللفظة من تاريخ ميلادها بدلالاتها الأولى، وتاريخ تحولاتها الدلالية والصرفية، ومكان ظهورها، ومستعملها في تطوّراتها دون أن يهمل الظروف المحيطة بها، والأسباب التي جعلت المعنى يتغيّر من زمن إلى آخر. إنّه ذاكرة اللغة الحية المستعملة في الكتب والإضرابات، أو المستعملة في الحياة اليومية.

وهناك نوعان من المعجم التاريخي: نوع يسمّى المعجم التاريخي العام ويهتمّ بالكلمات وتطوّرها من حيث المبنى / المعنى / طريقة الكتابة مع تسجيل أصولها الاشتقاقية، بداية دخولها للغة وصيرورتها، بعد فترات من التطوّر، ويمثّل هذا النوع من المعجمات معجم أوكسفورد في اللغة الإنكليزية. وهناك المعجم الاشتقاقي / التأصيل، ويرتكز اهتمامه على أصول الكلمات، أو ما قبل تاريخها، وعلى أصولها الحديثة، ممّا يجعله مقتصرًا على شكل الكلمة دون معناها، وألفاظ اللغة، فيدلّنا إن كانت الكلمة عربية

أم فارسيّة أم يونانيّة ... (عمر أحمد مختار، 2009، ص56). وأهمّ مواصفات الاثنين تكمن في القواسم المشتركة التي تحدّث عنها (علي القاسمي) وهي:

1. تجنّب الوصف والتعليل في تقديمه لأصول الكلمات وتاريخها والالتزام بالردّ التاريخيّ.

2. يعتمد على شواهد تكون محدّدة بفترات معيّنة من حياة اللّغة.

3. ترتيب المعاني فيه يكون بطريقة تبيّن تطوّرهما وتوالدها بعضها عن البعض الآخر.

4. احتواؤه على ألفاظ ميّنة يكون قد استمدّها من مصادر تقوم على مواد وتسجيلات كتابيّة عائدة إلى فترات سابقة من حياة اللّغة وحتى أنّ معلوماته التي يقدمها.

والذي يهتّمنا من كلّ هذا ضرورة إنتاج المعجم التاريخي للغة العربية وقد تأخّر العمل فيه كثيراً، وقد خُطّط له سنة 1934م، ونعيش الآن تأخراً زمنياً كبيراً، علماً أنّ قياس تقدّم الأمم بمدى اهتمامها بلغتها، لأنّها عنوان حضارتها، وبوابة تاريخها، وما المعجمات إلا إحدى الوسائل التي ترفع أمة من الأمم إلى الدّرجات العليا في مضمار الحضارة، واللّغة العربيّة غنيّة بهذه الوسيلة في الشقّ اللّغويّ وفقيرة إليها في الشقّ التاريخيّ. وإنّ حاجة اللّغة العربيّة إلى المعجم التاريخيّ هي حاجتها إلى ذاكرة تخزّن التراث، وهو ضرورة علمية وحضاريّة وموجب قومي. ولا بدّ أن يكون بالرجوع إلى الواقع اللّغويّ المسجّل والمحدّد بعصور معيّنة، وإحصاء المعجم لكلّ الكلمات التي

استعملت في اللغة العربية وضرورة دراسة الكلمات من الجوانب: التاريخية الاشتقاقية، التصريفية، التعبيرية، النحوية البيانية، والأسلوبية. وهذا يحتاج إلى ذكاء صناعي رقمي في تسهيل الوصول إلى المدونات المطبوعة والمحقة والوثائق في صورة رقمية ربحاً للوقت، وهذا هو الرهان الذي نريد كسبه من خلال المنصة الذكية والعالية الجودة، والسريعة الاستجابة، والمراعية لخصائص العربية.

2 - **خصائص المعجم التاريخي:** ينطلق في المقام الأول من الهوية/ الوجود بأن يكون مبنياً على نظرية نسقية موثقة لغوياً. وهكذا نراه:

1/2 - اعتماد خاصية التأريخ؛ معجم تاريخي.

2/2 - مبني على نظرية لغوية.

3/2 - اعتماد خاصية الترتيب الألفبائي.

4/2 - اعتماد الجذور؛ الأصل، الفرع، الجرد فالمزيد...

5/2 - اعتماد التعريفات.

6/2 - تحديد المصطلحات.

7/2 - استصحاب الشواهد.

3 - **وظائف المعجم التاريخي:** هناك مجموعة وهي:

1/3 - شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها، مع تتبع معناها أو معانيها

عبر العصور.

2/3- بيان كيفية نطق الكلمة.

3/3- بيان كيفية كتابة الكلمة.

4/3- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة.

5/3- بيان درجة اللفظ في الاستعمال، ومستواه في سلم التنوعات اللهجية.

6/3- تحديد مكان النبر في الكلمة.

4- **محتوى المعجم التاريخي:** إنَّ أهمَّ ما يقدمه المعجم التاريخي هو الحفر البعيد في الذاكرة اللغوية؛ بما في ذلك من كشف لبنائها وآليات تطورها. وهذا الأمر لا تقدمه إلاَّ المعاجم التاريخية، حيث تتيح مشهديات مختلفة لمكونات ثقافة اللغة، ولهذا يحمل محتواه ما يدور في عصور اللغة من مستويات الاستعمال، والوحدات المعجمية، والإتيان بالشواهد وترتيب المواد والمداخل والمعاني، وما يطرأ على معاني الألفاظ وتطور دلالاتها. ولهذا سيكون أمر إنجاز المعجم التاريخي محفوفاً بمحاذير كثيرة قد لا نقع في الخطأ. ونحتاج إلى انتقاء مصادر المدونة الحاسوبية، وإلى اعتماد الحزم الاشتقاقية التي توجد في المحلل الصرفي والنحوي، وإلى مراجعات دقيقة في التعريفات وتحديد المصطلحات، وما له علاقة بقواعد التوثيق، ومنهجية التحرير وضوابطها باعتماد المعالجة الحاسوبية والفهرسة الآلية.

- **الخاتمة:** إن رِهان إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية يعود إلى كسب رِهان استغلال الآلة في الأمتة التي تجعلنا نربح الكثير من الوقت بدل الضائع، ويحتاج إلى خطة علمية تحدّد بزمان، ويكون برعاية دول/ دولة تغدق عليه من أجل احترام الآجال، واستيفاء مشروع الأمة في ترميم حضارتها، وإكساب مجتمعا مفردات لغته بفضل ملكته اللغوية، وقدرته المعجمية خاصة. فلا يتصور أنّ أمة حققت معجمها التاريخي بسهولة، أو حصل دفعة واحدة، أو بدون إنفاق، ولا شك أنّ عملاً عظيماً من هذا القبيل يحتاج إلى تضافر الجهود، وتبادل الخبرات، والتعاون المستمرّ، مع طول نفس، وتدرّج في العمل. وتتضافر هذه الجهود ينجز المعجم التاريخي وتكبر لغة الأمة، وتزدهر وتتطور، والأجيال القادمة كفيلة باستحداث مفردات جديدة تقتضيها حاجاتها في التعبير أو بإهمال استعمال قسط من المفردات القديمة التي لم تعد تدعو الحاجة إلى استعمالها، وبذلك يصبح المعجم التاريخي ملكاً جماعياً للأمة مثله مثل الوطن؛ لجميع أبنائه دون أن يدعي أحد منهم ملكيته بمفرده.

كلمة 1 مارس حول لغة الضاد

تحايا المجلس الأعلى للغة العربية لكلّ المرابضين من أجل اللغة الجامعة من أجل البيت الكبير الذي يضمّ شملنا مهما اختلفت توجهاتنا ومنهجيات أعمالنا. فيا أيّها الحضور، ويا أيّها المتابعون، لكم كلّ الشكر والتقدير لما تقدّمونه من جهد وخدمات للغة العربية وللمجلس الأعلى، فهو منكم وبكم كائن ويكون، فأنعم بكم جميعاً!

(نتكلّم بالعربيّة... ونتعلّم جميع اللغات) شعار الألكسو / ALECSO لهذه السنّة 2021م؛ بمناسبة اليوم العربيّ للغة الضاد، شعار يحمل أكثر من دلالة وقراءة، شعار يحثّ على مواطنة العربيّة وتعميمها؛ باعتبارها لغة الهوية والتداول اليومي، وهذا لا يمنعنا من أخذ اللغات جميعاً تعلّماً واستفادة، لا تماهياً وتنافساً مكانياً/ مقاماً للغة الأجداد، فأجملُ بذلك الخيار الاستراتيجي الطّوعي الذي أنزلَ العربيّة المقامَ العليّ بما حملته من الذي يعلو ولا يُعلو عليه!

إنّها وصفةٌ مائزةٌ هي الفيصل لهذه اللغة التي نحتفي بها في يوم لغة الضاد فما لغة الضاد؟ في ما يروي الرواة ويُجمعون، أنّ حرف (الضاد) في أصله وكما سُمِعَ عن العرب الأقحاح ينطق من علوّ اللهاة، وغور قصبه الهواء وكان حرفاً بدوياً لا ينطق به إلا ساكنة أعالي السافلة في نجد وبصعوبة كبيرة كما سمع في بعض القراءات القرآنيّة. ونظراً لصعوبة نطقه استُغنيَ عنه وآخر

♥ — ألقيت الكلمة في الاحتفاء بمناسبة اليوم العربي للغة الضاد، بتاريخ 1 مارس 2021، في ملتقى حول (اللغات الوظيفيّة)، الجزائر.

من كان ينطقه صحيحاً يعود إلى القرن الثاني الهجري، وكان لا يمكن لأيّ مستعرب نطقه إلا لفطري العصور الجاهليّة الأولى، ولساكنة البوادي والآن لا يُنطق إلا بما يُدانيه واستُبدل بالضّاد الحاليّة التي تنطق بالإطباق وبذا شاعت الكُنيّة بذات الحرف كونها اللغة التي يوجد فيها هذا الحرف دون غيرها، وقال البلغاء: "الحمدُ لله مُنطقُ البلغاء، باللُغى في البوادي، باعثُ النَّبيِّ الهادي، مُفحماً بلسانِ الضّادِ". وقال الشّاعر:

إنّ الذي ملأ اللغاتِ محاسناً جعلَ الجمالَ وسرّه في الضّاد
وقال آخر:

ستظلّ رابطةٌ تؤلّف بيننا فهي الرّجاءُ لناطقٍ بالضّاد
إخواني، هذه هي لغة الضّاد التي تنتظرها رهانات العصر وتحدياته:

- رهان التّعميم وحسن الاستعمال؛

- رهان الرّقمنة والأتمتة؛

- رهان حيازة التراث العربي الضّخم والممتدّ في الزّمان والمكان؛

- رهان الدّكاء الصّناعي، ومعركة OCR؛

- رهان شفرة القراءة السّريعة؛

- رهان التّرجمة الآليّة بصفر خطأ.

فهل نحن مستعدّون لدخول الرّهان وكسب المنافسة؟ وهذا ما يقوم به المجلس الأعلى في استراتيجياته التي يعمل على تعميمها وعولمتها مع هذه المشاريع المنجزة والتي هي قيد الإنجاز:

1- المنجز والمطبوع

- 1- معجم المصطلحات الإدارية.
- 2- دليل وظيفي في التسيير المالي والمحاسبة. ثنائي اللغات.
- 3- دليل وظيفي في إدارة الموارد البشرية. ثنائي اللغات.
- 4- الدليل المدرسي في علوم الطبيعة والحياة. ثنائي اللغات.
- 5- دليل وظيفي في المعلومات. ثلاثي اللغات.
- 6- دليل المحادثة الطبية. ثنائي اللغات.
- 7- دليل مصطلحات البيئة. ثلاثي اللغات
- 8- دليل التمرّض.
- 9- القاموسي السياحي.
- 10- مدخل إلى المحادثة بالعربية.
- 11- حسن استعمال اللغة العربية في وسائل الإعلام.
- 12- مهارات حسن استعمال العربية الوظيفية.
- 13- إسعاف الطّوارئ.
- 14- اللغة الوظيفية باللغة العربية للدّرك الوطني.
- 15- الدليل التحوي للإعلاميين -قواعد وظيفية-.
- 16- أساسيات تكنولوجيا التّفط.

- 17- قاموس علوم التّربيّة.
- 18- الدليل المدرسي في مصطلحات العلوم الفيزيائية.
- 19- دليل وظيفي في تسيير الوسائل العامّة.
- 20- قاموس مصطلحات الفلاحة.
- 21- معجم ألفاظ الحياة العامّة في الجزائر. الجزء الأوّل.
- 22- اللغة الوظيفيّة في الدّيپلوماسيّة والسّيّاحة الفندقية والنّقل.

2- قيد الإنجاز

- 1- دليل مصطلحات البريد والمواصلات. ثنائي اللغات.
- 2- دليل مصطلحات الصّيّد البحري وتربيّة المائيات. ثلاثي اللغات.
- 3- قاموس موحد في ألفاظ الفهرسة والأرشفة. عمل مشترك مع الألكسو/ مكتب تنسيق التعريب. ثلاثي اللغات.
- 4- معجم ألفاظ الحياة العامّة في الجزائر. الجزء الثاني + الثالث.
- 5- المعجم الطّوبونيمي الإلكتروني للمجلس الأعلى للغة العربيّة.
- 5- معجم الثّباتات والحيوان. ثلاثي اللغات.
- 6- معجم الأشغال العموميّة. ثلاثي اللغات.
- 7- دليل لغة النّقل.
- 8- دليل لغة التّجارة. ثنائي اللغات.

9- دليل مصطلحات الإدارة. ثلاثي اللغات.

أيها الحضور، يدخل هذا الملتقى في تلك الاستراتيجية التي أعدها المجلس الأعلى للغة العربية ويُقفل بابها بشكل علمي مضمون مع نهاية 2024م بعولمة طبيعية للعربية دون ضجيج، وتكون للعربية المكانة الوظيفية في الاستعمال العفوي. وكما ترون فإنّ هذا العمل الذي نقدّمه لكم اليوم يمَسّ جانباً من جوانب المصالح المرسلّة التي يتواصل بها المواطن في مختلف مناحي حياته؛ ويتعلّق بجانب بديل للبتروول وثروة لا تزول، بل ثروة تتجدّد وتمتدّ هي ثروة الأرض التي تحتاج إلى تلميع وإعلام وإشهار، بلغة الوطن الذي يمَسّ مشاعر المحتاج إلى معرفة، بلغة راقية لا تعجزها مصطلحات السيّارات ولا لغة الإشارات أو آلات الطيّارات.

إنّ عملنا في هذا اليوم يدور حول المجالات الأربعة: الديبلوماسية السيّة السيّاحة، الفندقية، التّقل وتجودون عروضاً حولها، إلى جانب ما نسمعه من مداخلات إضافية لتعزيز اللغة الوظيفية؛ ونروم أن نكون قد أحسنّا الأداء في العمل باستعمال اللغة الوظيفية في صورتها الطّبيعية الوسطى، وتحمل المضمون الوطني الذي يحتاج إلى استثمار في لغة الهوية، وبالعربية السّليمة وهذا مبتغانا من كلّ اللقّاءات التي نُجمع أهل الاختصاص ليقدموا أفكارهم من أجل حسن استعمال العربية في أرقى تجلّياتها، وبحسب مقامات المتحدّث إليهم.

ونرفع آيات الشّكر والتّقدير وردّ الأفضال لكم ولصانعي الأفضال بما قدّموه من جهد في هذا المجال، وقد أفتنوا في لغة المحادثة الوظيفية في المجالات

المذكورة، بلغة الضاد العاملة، والشكر إلى الألكسو على اختيار شعار هذه السنة (نتكلم بالعربية... ونتعلم جميع اللغات) ونقول في المجلس: بالعربية نبدع، بالعربية نصنع، بالعربية نسمو، بالعربية نعلو. ويستدعي هذا اليوم العروج على بعض الشعر الذي نبغت فيه العربية، كما تستدعي المناسبة الحديث عن هذا العيد، وأردد ما قاله الشاعر:

أنا الضَّادُ التي أنتم بها سادة، والله بي أمسى حفيبا
لا تخافوا، لا تخافوا أبداً لن تروا حربي مدى الدهر شقياً
لا تخافوا من عقول جئدت كي ترى الضَّادَ بناءً هامشياً
كلُّما أبلبتم حرفاً أتى من يُعيد الحرفَ نهجاً أحمدياً
وبي التَّجديد ذاتي الدِّما ويعيد الحرفَ بعد الموت حياً
أكرمَ اللهُ الذي أكرمني ومشى في حاجتي يحنو علياً
سلف من سلف من سلف صالحٍ يرجو رضا الله جزيماً
ولكم في الكون من أهل النَّهي حفظوا وجهي نقياً وندياً
إنني ناديت حتَّى تسمعوا وأعلمُ أنني قد ناديت حياً

بوركت خطوات العاملين والصالحين والمنافسين والمتنافسين، وأعلنُ افتتاح مجريات هذا الملتقى، وعلى بركة الله هذا اللقاء، والسلام عليكم أيها الأصدقاء.

حوسبة اللغة العربية في ظلّ العولمة الرقمية:

تحديات راهنة^٥.

- **الديباجة:** لقد أسعدني المركز الجامعي (عبد الحفيظ بوصوف) بولاية ميلة بنشاطه العلمي المتواصل، وبخاصّة لاختيار هذه الموضوعات التي يدخل في الرقمنة وآفاق المستقبل، وفي رهانات الأتمتة، وهذا يعني اهتمام القائمين على فتح وخوض عالم التحوّل الشبكي المعاصر، في إطار الفتوحات اللسانية التي تعرف الحركة العلميّة يوماً نحو التانوتكنولوجي. وأسعد بإشكالية اليوم الدّراسي الذي يتناول واقع اللغة العربيّة ضمن هذه المنظومة الرقمية الحديثة وكيف يمكننا الاستفادة من النظريات اللسانية الحديثة لإدخال اللغة ضمن محتواها الحاسوبي (اللسانيات الحاسوبية) بأسس علميّة؟ وكيف يمكننا أن نُحدث تفاعلاً تقنياً بين المعلّم والمتعلّم في غياب التّعليم الحضوري الفعلي؟ تلكم إشكالية نروم تقديم كلمة في هذا اللقاء العلمي. وكان يجدر بي التّويه بما نراه من الاهتمام بخوض غمار الذكاء الصنّاعي والرقمنة في تعليميّة اللغة العربيّة، وما يُنجز في رهانات العربيّة رغم جراحات تقضي على موانعها ولكن وتستمرّ الحياة، رغم ما يُقال "لغتنا العربيّة إلى أين؟". وما يجب أن نعلمه في البداية أن انحذار الأمم يبدأ بالحدار مستوى قيمة لغتها بين أهلها والمتحدّثين بها. ويجب العلم بأنّ اللغة الوطنيّة مفتاح الهوية والعمود الفقري لكيثونة الأمة، وإحياء العمل من أجل لغة الأمة يعني البحث عن إكسير

^٥ - كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة عبر التّحاضر المرئي عن بُعد، لصالح المركز الجامعي (عبد الحفيظ بوصوف) ولاية ميلة، 3 مارس 2021.

الاستمرارية، وعندما نجد أمثالكم يبحثون عن هذا الإكسير؛ فإن الأمة ولغة الأمة بخير، فأنعم بكم يا أيها العاملون عن البقاء والتجدد!

أيها المنتدون والمُلتقون، أيها المتابعون، سعيد أن أكون معكم، وأحمل ما تحملون من هموم تطوير العربية، وجعلها وافيةً بمتطلبات العصر وأريد قول كلمة حق تكون منطلقنا، وهي أن نخرج من المراثيات، وغلق باب الاجتهادات، ومن التواكل الذي لا يأتي بالخيبة، وإلى التوكل الذي ينشط الهمة، ومن للعربية ربٌ يحميها، إلى للعربية رجال يطورونها ومن قول من يردّد ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر 9. إلى القول للعربية علماء يعملون على تطويرها، ومن زيادة تنصيب المؤسسات، إلى حسن تسيير المنشآت، ومن الانجذاب اللغوي، إلى الاقتداء الوطني.

مئة سنة ونحن نحتفي بلغة المنبّي، فلا تستجيب، فهل ننتظر من هذه اللغة أن تعود إلى الزمن التليد؟ وأين أنتم أيها الجامعيون، أستم من التليد فلا بدّ من رجال أوفياء لرجال صنعوا الإبداع بلغة الإمتاع، فهل لا يمكننا صناعة فتوحات الرقمنة ومتطلبات الفسبكة؟ يمكن إذا تعاضدت الجهود وتكاتف الحدود، وكثرت السدود، وسنصل إلى الرفع من سوية العربية في مجال الرقمنة، وما يتبعه من خدمات الأتمتة.

- المقدمة: كل ما يمكن أن يُقال عن العربية من شروط نهضتها قائمة لسبقها في ما مضى من الزمان؛ فموقعها التاريخي يشهد عليه حتى الجاحدون، من أقدم اللغات، متن لغوي يحوي مادةً واحد وعشرين قرناً من الاستعمال والإنتاج، ماضيها مُغدق، حاضرها مُتواصل مع غابرها تواصل

دينيّ لغويّ بامتياز، موقعها بين الحاميات، ثبات مثنها اللساني الاشتقاقات التي تحتكم إليها 12332912 كلمة، 16800 جذر، موقع أهلها الجغرافي لغة أمميّة، خامس لغة في أروقة الأمم المتّحدة وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) ستون (60) بلداً لغة رسميّة، لغة أفريقيّا في عصر عولمتها. موقعها الاقتصادي من حيث الپترول والغاز والسّياحة والديّن... موقعها المستقبلي: لغة لا تنقرض/ لغة تنال التصدّر. الأهميّة التي توليها الأمم الرّاقية: ترجمة التراث الألمانيّ لها+ الترجمة التّشيطة إلى العربيّة+ اهتمام كوريا الجنوبيّة+ اهتمام الصّين الشّعبيّة+ الاهتمامات الأوروبيّة+ الاهتمامات الآسيويّة في كل من: إيران+ تركيا+ الهند+ بنغلاديش+ باكستان+ أفغانستان... استعمالها والاستثمار فيها من قبل الشّركات المنتجة لآلات العملاقة في مجالات معاصرة مثل (IBM) / (Microsoft) ... عدد المواقع العاملة على الحياة: موقع التراث+ الغامدي+ مواقع الموسوعات الكبرى+ المكتبة الشّاملة+ المكتبات الرّقميّة+ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة+ المعجم الوسيط المرقمن...

- **أفاق التّطور:** ما يلاحظ أنّ المستقبل كفيّل بتغيير إيجابيّ نحو لغة الشّفرة لغة فكّ التّعميمات، لغة الرّقمنة في بعدها الصّناعي، لغة (OCR) Optical Characters Cognitions)، لغة البرمجيات الحاسوبية لتحويل صور التّصوص المكتوبة باليد/ بالآلة إلى نصوص يستطيع الحاسوب معالجتها. وهنا لا يمكننا أن نتحدّث عن هذه المشاريع التي تعيش التّطور دون الاستثمار فيها، ودون جعل العربيّة تعيش التّماهي فيها، ودون رميها في متعة رهانات الدّكاء

الصنّاعي. ولنجاح العربيّة في هذا المجال، كان يجدر بنا ربط القول بالفعل وكسب هذه الرّهانات:

1-رهان تعميم استعمالها في مناحي الحياة اليوميّة بجودة عالية.

2-رهان البحث فيها ولذاتها.

3-رهان الرّقمنة.

4-رهان الاستثمار في الدّكاء والصنّاعيّ.

5-رهان المنافسة العالميّة.

6-رهان الدّراسات المستقبلية.

- **مضايقات العربيّة الواقعيّة:** هي كثيرة؛ انطلاقاً من ضعف التّحكّم في مسألة الشّكل، وتعدّد المصطلحات، وعدم مواصلة تعميم التّدريس بها وفيها في المرحلة الجامعيّة، وفي عدم استصدار القرار السياسيّ... هي رهانات العصر؛ رهانات الحياة اللغويّة لتراثنا الكبير، رهان نقص السيّطرة على هذا الإرث الزّاهر، رهان عدم السيّطرة على الأنظمة الحاسوبية في المحلّل الصّرفي والتّحوي وفي التّرجمة الآليّة، وضعف نظام (OCR) في استغلاله في العربيّة التي تحيط بها كثيراً الخطوط الجماليّة، وبخاصّة في المخطوطات الكثيرة التي تزخر بها العربيّة... فهنا المشكلة القضيّة التي تحتاج من أولي الأمر، وهم أنتم أيّها الطّلبة لرفع المضايقات عن لغتكم، وبكم تكون، ولن تكونوا بدونها وأعلموا أنّه لم يثبّت أنّ أمة ارتقت باللّغة الأجنبيّة!

- كيف نعالج/ نحلّ هذه المضايقات؟ لا نقول يجب/ يجب الذي يجب
اعملوا إنّها هنا منتظرون... بل نقول على الجامعة أن تدخل بفرقها البحثيّة في هذا المجال الحيوي المعاصر، وبما لها من أرمادة من الطلّبة وبما تحملها من مشاريع كبرى. ويمتدّ ربح الرّهان إلى الاستثمار في التربيّة والتّعليم والإغداق على الباحثين، وضرورة الانطلاق من لغة أجنبيّة. وهذا مطمحننا ومن استراتيجيات الدّولة الجزائريّة في نشدان مجتمع المعرفة، فمن مجتمع الخروج من الرّيع، إلى بيع الأفكار والمنتوج الذهني. وهنا تُذكر الإخوة الزّملاء والزّميلات والطلّبة بأنّ الجامعة قاطرة البحث وخليّة الجودة، وقائدة المؤسّسات الناشئة، وقاعدة بيانات في الرّفع من سويّة اللغة الوطنيّة؛ اعتزازا وهويّة واستعمالاً ومجثاً. وهي قضايا جمعيّة وتعالج بالتّخطيط والمشاريع الكبرى، وبتوفير شروط التّجاح والعمل على مبدأ تحقيق الاستمراريّة وفق مُراتبات المناهج الغربيّة. ولكي يكون كلّ هذا؛ علينا كسب معركة تحديّ الرّهانات؛ وهي معركتكم القادمة أيّها الطالبات والطلّبة، فهل أنتم جاهزون للتحدي؟ أستم جديرون برهان البحث العلمي وفي جامعة البحث؟ بلى إنكم سوف تكسبون الرّهان بما لكم من إنتاج الأفكار، وبما تحملون من قوّة الدّهن، فأنعم بكم يا شباب الإبداع!

- رهان البحث العلمي في الجامعة الجزائريّة: إنّ الرّهان اليوم كيف نرفع من قيمة البحث العلمي في العربيّة وفي محيطها العلمي، وفي ميدان الرّقمنة وما يتبعها من الدّكاء الصّناعي؟ كيف نجعلها متماثلة للمواصفات العالميّة؟ أسئلة وجيهة في معياريّة المواصفات الدّولية التي لا لغة لها هناك لغة الإبداع والإبداع عبارة عن مُجسّم وتصور ذهنيّ، وتركيب وتداخل، ومن ثمّ تأتي

آية لغة لتخلده في أرقامها وحروفها وصورها. إن الفكر هو الذي يخلق الإبداع، والإبداع مثل الرياضيات والطب لا لغة له وكما نقول دائماً لا نخلق العجلة، ولكن يمكن جعلها سريعة، من خلال فكرة البكرة التي تطورت منذ سنة 1774م، وراها الآن في إبداع كل ما له علاقة بمنتوج الطيران، كما يمكن للعجلة أن نضبطها وإضافة ما يمكن أن يكون تابعا لها. ولهذا من البداية نركز على ما يلي:

- 1- ضرورة العيش مع الآلة، استعداداً للمرحلة القادمة؛ مرحلة الآلة.
- 2- إلزام الطلبة باستعمال الأدوات الحديثة في تلقي دروسهم.
- 3- ضرورة تفعيل الجامعات الوطنية في تعميم استعمال الإعلام الآلي في كل دروسها وخوض التطبيقات المعاصرة.
- 4- إلزام الأساتذة بتقديم دروسهم عبر الشبابة بعبء، وعبر عرض البيانات وجاهة، باستعمال آخر التطبيقات.
- 5- ضرورة الرهان على نقلة جديدة في التعليمات وفي الهندسة اللغوية.
- 6- إعطاء الأهمية للدّرس اللساني في المنظومة التعليمية، وضرورة تعميم تدريس مادة اللسانيات، فنحن نعيش عصرها.
- 7- اعتماد لغة أجنبية لها السبق التقني في الرقمنة.
- 8- اعتماد المنصات الذكيّة الغربيّة للإفادة منها في تطوير العربيّة.
- 9- العمل على ملأ فراغات الورد / (Word) بمتوافقات العربيّة.

10- ضرورة التّماهي مع نظام إكسل / (Excel) واستثماره في مجال التّظام الآلي للمعلومات.

- الخاتمة: إنّ موضوعكم المختار لهذه التّدوة، والعناوين التي تضمّنتها محاورها لجديرة بأن تُتابع، وتكون قاعدة بياناتٍ للجامعات الوطنيّة وللمؤسّسات العاملة على التّطوير اللغويّ. ونروم أن ترى الثّورَ في طبّعات ورقية، وتكون مفتوحة في مجال موقع المركز الجامعي لميلة وفي موقع وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، وهكذا ننشد الجامعة الجزائرية المعيارية التي سوف تكون بأمثال جهودكم، وليس من قبيل المحال، ولكن من قبيل الممكن المنال، وتكون للمركز الجامعي لميلة المقامة، وفي قيادة البحث العلميّ الرّيادة وفي استثمار في الدّكاء الصّناعي بزيادة. بوركت خطواتُ العاملين من أجل اللغة المشتركة، من أجل لغة السّيادة، بوركت أفكاركم العالمة؛ من أجل اللغة المائزة، وأنعمُ بكم من شباب الرّقمنة!

كلمة إلى بيت الشعر الجزائري^٧

يسعد المجلس الأعلى للغة العربية أن يكون في هذه التظاهرة الأدبية التي تتناول موضوع (الكتابة في وسط حضاري: المدينة فضاء للكتابة) وإنها لمبادرة مُشجعة تأتي من (بيت الشعر الجزائري) في هذا الوقت الذي نعرف ما جنته علينا الجائحة الجارحة التي شتت شمل الشعراء، وخلي بيت الشعر من اللقاء، ولكن ها هم الشعراء يلتقون بمبادرة (بيت الشعر الجزائري) وفي هذا المكان للوقوف على أطلالهم الشعرية، فنعم هذا اللقاء! كما يقف الباحثون على تقديم ما بصروا به من نظر جديد بخصوص أمر الحداثة في صيرورتها الزمانية والمكانية، وعلاقة ذلك بفعل المتغيرات التي يعرفها الراهن من خلال كل الوسائط التي تحملها الحضارة في تفعيل النشاط الثقافي رغم مضايقات التوازل.

أصحاب الفضل في بيت الشعر الجزائري، نشكر لكم فعلكم الثقافي هذا وفي هذا الوقت الذي نشد إليكم رحالنا، ونعزّد نشاطكم، ونقول لكم مزيداً من النشاطات التي تجعلنا نتقاسم الحركة الثقافية، نعال نرّم الخميرة لتفعل فعلها في الحراك الثقافي الذي ينتظر منا جميعاً الامتداد والتوسع ونيل مضارب البلاد. فالثقافة جوعى لمثل هذه اللقاءات. فيا (سليمان) أفعّلها

^٧ الكلمة التي أعدها رئيس المجلس لصالح (بيت الشعر الجزائري) بمناسبة انعقاد الملتقى الوطني حول (الكتابة في وسط حضاري: المدينة فضاء للكتابة) في المكتبة الوطنية بالحامة. 8 مارس 2021م.

ولك الرَّفقُ، وجُدْ علينا فلك السَّبْقُ، ومن خلالكم لكل بيت الشعر الجزائري نأملُ أن يبادروا بتنشيط الحياة الثقافيّة التي عمادها (وفي الحركة بركة).

- **في لب الموضوع:** نرى الملتقى يطرح إشكاليّة الحداثة، وهذه نقلة نوعيّة في أعمال هذا اللقاء؛ فمن البادية إلى الحضارة، والحضارة تُشير في أصلها إلى الأماكن المشهود لها بأنّها مولد الحضارة، واستخدمت للدلالة على الأماكن/ الطوبونيميّة التي بُنيت عليها حضاراتٌ بائدةٌ وبعضها قائمةٌ وتنتقل الكلمة اليوم إلى صورة المدينة بما لها من وسائلها الخاصّة، وصفاتها وما لها من حمولة ثقافيّة عمادها التّحضّر، ولها كتابتها الخاصّة التي تُجسّدُها في رمزيّتها، واستحضارُ معالم الماضي والحاضر والزّمان والمكان. وحسب هذه الإشكاليّة نقرأ تلاقي محاور خمسة في استحضار جملة الرموز الدّكريّة من الشّفويّة إلى الكتابيّة، وإلى الكتابة الشعريّة، وما يتبع ذلك من الرواية في الفضاء الحضريّ، يليه موضوع المدينة والكتابة الفلسفيّة، وكلّ ما يعلّق بفنون المدينة. إنّها لعميقة هذه الإشكاليّة، ولكن لها فحولها من الكتاب والباحثين الذين سوف يفتحون هذه المحاور التي لا تكون عصيّة على أهل الدّراية، فهم أنتم أيّها المُتدّون. ونجدّد القول إنّها لعميقة، ونروم أن تتناول قضايا المدينة من جانبها الفنّي وفي جملة المتغيّرات، من البداوة إلى القرية المتفتّحة، وإلى معالم الحداثة في صورة المدينة الكبرى، وما هي أوصافها في نمطيّة الكتابة عند المبدعين.

أيّها الباحثون، أيّها المبدعون، أيّها الشعراء، أجدني بينكم اليوم لأجدد ولاء المجلس الأعلى للغة العربيّة للشعر، فهو ديوان العربيّة والعرب وعليه

قامت قواعدُ العربيّة، ومنه دُوّنت الشّواهد التي أضحت قاعدةً فُحويّةً في التّوثيق اللغويّ. كما أنّ مملكةَ الشّعر مسّت وغطّت مختلف فُنون القول وأحدثت التّجسيرَ في حال اللغة العربيّة التي اغتنت بإبداع الشّعراء الذين رفعوا من قيمة العربيّة في المفاخرة والمباهاة، ونعمَ ذلك الشّعْرُ الذي كان يُعلّق في مكان مقدّس لعظمة ما تحويه كلماته من مدح وغلزٍ وتفاخُرٍ ووَصَفٍ كان سِمّةً ذلك العصر. لقد قال الشّعراء كلامهم بعفوية أصبحت نمطيّة في قوالبِ محورِ الشّعْرِ العربيّ، وأضحى الكثيرُ من المقول نماذجَ في تعالي الشّعْرِ لمقامات فنّ الكلام، وكذلك ارتقت لغةً (المتنبّي) بجودة ما يُنشد من حُسن المَقول. ومن ذلك نجد تنسيبَ اللغة للمبدعين الذين أعطوا للغات زَحْمَهَا في أعلى تجلياتها؛ فهذا أميرُ الشّعراء (بوشكين) تُنسب إليه اللغة الرّوسيّة، وهذا (شكسبير / Shakespeare) المسرحيّ المبدع تُنسب إليه اللغة الانكليزيّة، وهذا (سونج جين / Jin) Song الفئانُ المحترِف في الكتابة الصّينيّة تُنسب إليه لغةُ بيجين أو بكين / لغة الخان / الهان، وهذه اللغة الإسبانيّة تُنسب إلى الثّقافة الإسبانيّة فقط وما أدراكم ما الثّقافة، واللغة الفرنسيّة تُنسب إلى الفرنكفونيّة في توسّعها اللغويّ، وما أدراكم ما يعنيه التّوسّع اللغويّ في معناه الخارجيّ؛ لأنّ الفرنسيّة بما تناله من موقع ما وراء البحر... ألا ترون أنّ اللغة شعراً وإبداعاً وصناعةً، يصنعه أهل الشّعْرِ والإبداع. فأنعمْ بكم أيّها المبدعون!

وإنّه بكم نستنير أيّها المنتجون للأفكار، أيّها المحاضرون، ويا أيّها المبادرون لهذا الملتقى الوطني الذي يجمع نخبةً من الباحثين والمبدعين ونروم منكم تترك بصمتكم في تفعيل هذا النشاط الذي نأمل له الامتداد والتّوسّع

لجعل مُدُننا لا تنام، ويعلوها مختلفُ الأنشطة التي تتنافس على اختيار الزّبون. وإيها لبادرةُ حسنةٌ في ربيعِ الثقافةِ الوطنيّةِ الذي لا شكّ سيزدهرُ فأولُ المطرِ قطرةٌ، ثمّ ينهمرُ، كما أنّ الطّريقَ تصنعه الأقدامُ. فعليكمُ العولُ أيّها الحضور، وإليكم جميعاً تحايا المجلس الأعلى للغة العربيّة، وبوركت خطواتُ الفاعلين المخلصين أمثالكم، وإلى مزيدٍ من نيلِ المقاماتِ، يا أصحاب المبادرات، فأنتم رجالُ المهّماتِ، الذين لا تثنيهم الصّعوباتُ.

وفي هذا اليوم الخاصّ بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، يهدي المجلس كلّ التحايا والتّهاني والعرفان والتقدير لكلّ الشاعرات والمبدعات والباحثات اللاتي يُنافحن من أجل التّفنن في خدمة جلاله الملكة اللغة العربيّة، فأجمل بكنّ أيتها الجميلاتُ! وأنعم بكنّ فأنتنّ في كلّ يومٍ يومكُنّ! فإذا كان الشعراء والمبدعون الرّجالُ سدنتّها، فالنساءُ الشاعراتُ المبدعاتُ والباحثاتُ وصيفائها، فنعم الخادمةُ والمخدومةُ، وعلى رأسِ كليهما تاجُ السُلطانةِ المحترمة.

وإلى كلّ الحضور نهدي تحية الأمل التي يتبعها العمل ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیَ اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُونَ إِلَىٰ عَلِيِّ الْعَیْبِ وَالشَّهَدَةِ فَيُنشَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ والسّلام عليكم جميعاً.

اللغة العربية وتحديات العصر وضرورة الاستثمار بها وفيها[♥]

المقدمة: لقد بصرتُ ببعض الأفكار حول تحديات اللغة العربية في رايها، وهي من الأشياء التي تعيقها عن السير في ركب اللغات المنتجة للعلم، وأرى الكثير من التحديات يمكن رفعها باعتبارها تعلي من سويتها في ذاتها ولذاتها؛ لما لها من ثروة لغوية وأدبية وعلمية تجعلها لغةً مطلوبةً، بل يُنشد ودُّها في كلِّ الميادين، نظراً للخصوصيات التي تتوفر فيها، والموقع الجغرافي لأهل هذه اللغة. وإنَّ العربية لها خصوصيات وطاقه كبيرة لا تجدها مجتمعة في لغة واحدة؛ ففيها التقت وتكاملت. ولكن لماذا لم تكن هذه اللغة - التي تجتمع فيها هذه الخصوصيات- علميةً على غرار اللغات العلمية المعاصرة، ولا تجتمع فيها كلَّ الخصوصيات المذكورة في العربية؟ ولماذا لم تكن العربية لغةً اقتصاديةً يحصل فيها الاستثمار على غرار لغات الاقتصاد؟ هنا المشكلة؛ لأنَّ الوعي بهذه اللغة لم يحصل لدى أهلها، ولم يقع الاهتمام بها ولم تُستعمل من قبل أهلها في المصالح الحيوية، كما ضاقت فيها سبيل البحث في الأمور العلمية، ولذا لم تكن من لغات العلم في الوقت المعاصر، فتحوَّل عنها أصحابها لعدم الاستثمار فيها، ولم تُطلب من الأجانب لعدم استعمالها من أهلها.

♥ - أعدت الدراسة للملتقى الافتراضي الذي ينظمه اتحاد الجامعات العربية في 22 مارس 2021. المملكة الأردنية الهاشمية. الأردن.

وإنّ موضوعَ اللغة العربيّة وتحدّيات العصر، موضوع شائق يحتاج إلى الدّراية بمعطيات الاستثمار في هذه اللغة، وربّما يبدو للبعض بأنّ هذا الموضوع له بعد اقتصاديٌّ، نعم، ولكن بمنظور استراتيجيٍّ نفعيٍّ للرّفع من شأنها، وفي سرعة انتشارها، مثل العُملة القوية تُحقّق مكاسب اقتصاديةٍ وتجرّ معها لغتها، وهذا ما تفعله فرنسا وأمريكا في نشر لغاتهما في العالم ليتحقّق لهما المزيد من التّفوذ والطلب والمردود الماديّ. وكذلك كان العربُ في الجاهلية يلتزمون أسواقهم التجاريّة؛ وفيها يحصل التّباري في نسج الشّعر ذلك الشّعر الذي حقّق أموالاً كبيرة (ظاهرة التّكسّب بالشّعر) فتحوّلت القصيدة إلى حدّثٍ اقتصاديٍّ مطلوب، ومن ثمّ أصبحت صناعةً للارتزاق. وبذلك وصلت كلمات العربيّة إلى بورصة سوق عكاظ وذوي المجاز والمجّنة حتى أصبح غيرُ الشّعراء يصنعون الشّعر من أجل نيل الأموال، كما ارتقت العربيّة في تلك الأسواق التي تُعجّ بمختلف العروض، والعريّة وسيطة بين المتقايضين. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل إنّ قانون السّوق في الإسلام يخضع للحسبة، فله بنود في كُتب الفقه وُثراعي فيه سيرُ المصالح المُرسّلة للوصول إلى المعاملات التي يجب أن تكون في المُدن الإسلاميّة. وهذه المعاملات فيها الوجه القانوني؛ وهو استعمال اللغة الواضحة المؤدّية لغرض البيع والشّراء، والوجه الاقتصاديّ وهو التّنافس في الجودة وخفض السّعر فكان كلّ ذلك مسطرة مطاطية تُراعي تطوّرات العصر حتى نتج عن ذلك نظام المايجريات والوجه الأخلاقي بما حصل من الاستثمار في العربيّة التي قبلها غير العرب، وأحلّوها منزلة فوق لغاتهم، أحبّوها فأبدعوا فيها وبها واستثمروا في بناء المدارس والخُلوات، وأقاموا صرح المشيخات، ونتج عن

ذلك ثروة المعرفة التي قامت على تبادل الكلمات، ومن ورائها حصلت المنفعات، لما لها من استثمارات، في كلّ البلدات، وجاءت من ورائها العُمَلات.

وإنّه جاء وقت العودة إلى الاستثمار في اللغة العربيّة، بقياس هذا الحاضر على الحاضر؛ لأنّ عصرنا ليس بعصر بيع الشّعْر، بل بطرح لغة الشّعْر إلى التّداول، فهل يمكن أن تكون لغة الاقتصاد ويقبلها الآخرون ولذلك علينا الخروج من تقوقعنا، وفهم آليات التطوّر الحتمية والعودة إلى الماضي لا يكون إلاّ بما يحمل من حضور معاصر. ولهذا فالتّفكير في مشروع الاستثمار في العربيّة هو مشروع النهضة الثّانيّة واللغة العربيّة أدواته، وأنّ الاستثمار في تعليمها وتعلّمها وتوظيفها استثمار ذو مردودٍ ماديٍّ ومعنويٍّ، وذو حركة دائريّة تنتهي حيث تبدأ، واللغة مردودٌ أخلاقيٌّ وحضاريٌّ وثقافيٌّ وإنسانيٌّ ووجوديٌّ، وهذا ما لا يمكن وزنه بالمال. فلا أجملَ ولا أعظمَ من الاستثمار في هذا اللّسان الذي صنّف فيه الموالي روائع الكتب، وقال فيه المؤلّدون أغرّ الأشعار، وجالَ فيه اليهود في الطّب، وبرع فيه المازيغيّون في التّحو... ومن وراء ذلك يُلاحظ تلك العلاقة القوية التي ربطت قوّة الأمّة وتمكينها في الأرض بقوّة اللغة على ألسنة أبنائها والتّناطقين بها، وكان ذلك بمثابة الفتح للدين وللغة العربيّة. ولكن في وقتنا الحالي قد لا يصدق تمكين الأرض من قوّة اللغة وتمكين العربيّة قوّة لعودة مجد أهلها، ويصدق علينا قول الشّاعر الذي يقول:

ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريبُ الوجهِ واليدُ واللّسانِ

في وقتنا المعاصر مُعطيات جديدة، وأراها يمكن أن تكون من آليات التمكن للغة العربية، وهي قنوات كثيرات يمكن الاستثمار فيها، كما يمكن أن تتعاضد في مشاريع مُعاصرة، وبنظريات مُعاصرة، وبفكر مُعاصر بدءاً من رفع المضايقات التقنيّة التي تعيشها في بعض بُناها اللغويّة ووصولاً إلى دخول عالم التّقانة من منظور الأخذ، ثمّ الإضافة، وتسجيل بصمة الحضارة، وهذا ليس بالمستحيل أو بالمستبعد، وقد يحصل ببناء استراتيجيّة جماعيّة، وعن طريق مؤسّساتنا العربيّة التي تُدفع لها الأموال من ضرائبنا، فالأحرى بها أن تنهض وتقدّم علينا مشاريع التّهوض وتنجز استراتيجيات العمل العربيّ المشترك لجعل هذه اللغة مصدر الطّلب.

وسوف أقترح الخطوط العامّة لتلك الاستراتيجية عبر مباحث هذا العمل ولكيفيات استغلال مختلف القنوات؛ رفعاً من سويّة هذه اللغة وجعلها لغةً علميّة، فيستثمر فيها. ولا يحصل ذلك إلاّ بالاستثمار القويّ في تلك القنوات، وهذا ما قامت به اللغات التي كانت مُتخلّفة¹ مثل العربيّة ولكنها تقدّمت بفعل الاستثمار الجمعيّ في مختلف القنوات. وكان الحزمُ أوّل علامات الخروج من التّفق ثمّ ما تبعه من مُخطّطات تنموية؛ وفيها تنال اللغة العربيّة موقعها في مشاريع الاستثمار في البناء أو في الاقتصاد على اعتبار أنّ اللغة لها جانب الاقتصاد المعرفيّ الذي يُبنى على الاستثمار.

— المبحث الأول: معنى الاستثمار: يرتبط مصطلح الاستثمار/

(Investissement) بالجانب الاقتصادي؛ ويعني في ما يعنيه لغة واصطلاحاً أنّه من فعل (ثمّر) وهو شيء يتولّد عنه شيء مُتجمّعاً: ثمّر الرجلُ ماله = أي أحسن القيام عليه. ثمّر الله ماله = نماه. مالٌ ثمّرٌ = مبارك. أثمر القومُ = كثر

مأهم. اسْتَمَرَ = طلب التنمية والزيادة والكمية والتوعية، الاستثمار من فعل (ثَمَرَ) هو الطَّلَب وتوجيه المدخرات نحو استخدامات تؤدي إلى إشباع حاجة/ حاجات اقتصادية. ويؤكد هذا المجمعون بأن الكلمة من (ثَمَرَ) الشَّجَر - ثَموراً: ظهر ثمره. وثمر الشيء: نُضِجَ وكُمِلَ. ويقال: ثَمَرَ ماله: كَثُرَ. ثَمَرَ له: جمع له الثَّمَر. أثمر الشجر: بلغ أو ان الثمار. وأثمر الشيء: أتى بنتيجته. ويقال: أثمر ماله: كَثُرَ. وأثمر القوم: أطمعهم. ثَمَرَ الشجر ثَمَرَ وثمر اللب: بدا زيده. وثمر ماله: نماه. استثمار المال: ثَمَره. وأثمر الزيد: اجتمع عند مخض اللبن. ويقال: قد أثمر مخاضك. ثَمَرَ النبات: نفص نوره وعقد ثمره. ومن الشواهد: قال ابن الرومي:

لَكَ فِي تَدْبِيرِ، وَلله قَبْلَهُ سِيْثَمِر لِي مَا أَثْمَرَ الطَّلَع حَائِطُ
وقال ابن المعتز:

وغرس من الأحباب غُيِّتُ في الثرى فأستقيه أجناني بسياج وقاطر
فأثمر همّاً لا يبید وحسرةً لقلبي تجنيها بأيدي الخواطر
الاستثمار: استخدام الأموال في الإنتاج؛ إما مباشرة بشراء الآلات والمواد
الأولية، وإما بطريق غير مباشر كسواء الأسهم والسندات². وفي الفرنسية

Investissement. Emploi de capitaux visant à accroître la production d'une entreprise ou à améliorer sa rentabilité ; ensemble des capitaux, des biens, ainsi investis. Placement de fonds : un investissement rentabilité.

وعلى العموم، فإن الاستثمار يعني ذلك الجزء من الدخل المدخر الذي لا يُنفق على الاستهلاك يُحوّل إلى استثمار بُغية الإتيان بالفائدة والزيادة. أو هو

المبلغ الفائض من الاستثمار باعتباره الوفرة المدخرة التي تأتي بالربح الإضافي، كما يعني تحقيق التوسع والانتشار والسّمة العالمية. وفي عُرف المُختصّين الاقتصاديين هو "حيازة أملاك عقارية أو منقولة معنوية بهدف إنتاج أملاك أو خدمات أو إعادة بيعهم، وجني ربح مستقبلي منهم" والمستثمر (Investisseur): شخص مستقلّ يَستثمر أمواله في القيم المنقولة. وينبغي ألا نخلط بينه وبين المضارب الذي يُجري معاملات صغيرة، وحاصل سندات صغيرة. من بين المستثمرين الكبار الخواصّ يمكن تمييز المنتمين إلى فئة (المال القديم) والمنتمين إلى فئة (المال الجديد).

- المال القديم: مستثمرون تتفاوت ثروتهم الماليّة من ثلاثة ملايين إلى عشرات الملايين وانتقلت من جيل إلى جيل بنية التوظيف.

- المال الجديد: مستثمرون تتفاوت ثروتهم المالية من واحد إلى ثلاثة ملايين أورو، جاءت من عمل جيلهم فقط³. وفي الجانب الاقتصاديّ فالاستثمار ضمان استخدام الأموال ذات الصّفة الاقتصاديّة في عملية إنتاجية تؤدّي إلى زيادة في الإنتاج وحصول الأرباح. والاستثمار في نظام العولمة يعني العُلبّة والقوّة، وقوّة الدول تُقاس بقدرتها على الاستثمار. الاستثمار مصطلح ماليّ يتعلّق باستخدام الأموال في الإنتاج، إما بشكل مباشر = بيع وقبض. وإما عن طريق الأسهم والسّندات، وإما عن طريق المشاريع، ويحمل المصطلح في ذاته الجهد والتفاعل البشري مع المادة.

الاستثمار مصطلح مالي كما رأينا؛ يتعلّق باستخدام الأموال في الإنتاج إما بشكل مباشر = بيع وقبض. وإما عن طريق الأسهم والسّندات، وإما عن

طريق المشاريع، وتحمل الكلمة في ذاتها الجهد والتفاعل البشري مع المادة. وفي تعريف آخر، إنّ الاستثمار هو كلّ عمل يُحرّك فيه رأسُ المال، فيعود بالفائدة" هو إنفاق ذلك الجزء من الدّخل الذي لا يُخصّص لشراء السّريع والخدمات التي تفي المتطلّبات الاستهلاكيّة مباشرة بل الذي يؤدّي إلى زيادة وسائل إنتاج تلك السّلع والخدمات لذلك⁴. ويتقوّى الاستثمارُ بحسب الطلب وقوى السّوق، كما يستدعي الاستثمارُ التّخطيطَ الذي يهدف إلى تحقيق نموّ مُستمرّ وخالٍ من التّقلّبات، ويتطلّب وجود آلياتٍ وأصولٍ ومناهج؛ كي لا تحصل الانتكاسةُ من تقلّبات السّوق وعالم المنافسة. وهذا أمر اقتصاديّ بحت، ولكن كيف يمكن تطبيقه على اللغة؟ أو كيف تكون اللغة مصدراً من مصادر الدّخل الفرديّ والدّخل القوميّ؟

إنّ منطق اليوم هو منطق العرّض والطلب، ومنطق سوق البيع، فكيف للغة أن تُجرّ دخلاً على الدولة، وبتعبير عربي، كيف نجعل العربية مصدراً يتجاوز مدخول البترول في دولنا العربيّة؛ بحيث يُطلب ودّها، كما يُطلب البترول حالياً؟ يمكن أن نبدأ القول بالطرف المُعطي، فهو المُتحمّك في السّوق، فإذا كانت ممارساته التجاريّة تتمّ بالعربيّة، وعقوده بالعربيّة فالزّبون يخضع له ويستعمل لغته، هذا في المقام الأوّل، وفي المقام الثّاني هناك الكثير من القنوات التي يمكن أن تتدخل في جعل العربيّة تُطلب في الاستثمار؛ بدءاً من الوعي باستعمالها، ثمّ الممارسات السياسيّة وما يتبع ذلك من إمضاء الاتّفاقات والعقود والتعامل الندي مع الآخر، وكلّ ما له علاقة بأمر الهوية والمواطنة التي تلزم فيها الزّبون مُراعاتها، إن لم تفرض من المُعطي على المستهلك حقيقة إنّ موضوع الاستثمار في اللغة سواء أكانت هذه اللغة هي لغة المُستثمر، أم

كانت لغةً أخرى فهي موضوع ذو أبعاد وعلى درجة كبيرة من الأهمية والعمق؛ لارتباطها بقضايا أخرى مثل الهوية والدين والتاريخ والجغرافية والمجتمع والأناسة يعني هذا الارتباط أو الترابط أنّ موضوع اللغة والاستثمار فيها يمكن أن يكون مدخلاً لكلّ القضايا التي تمثل أبعاداً استراتيجية لأمة من الأمم⁵. هذا في حكم الافتراض، ولكن في حكم الواقع فإنّ الأمر يختلف عندنا -نحن العرب- فعندما نتحدّث عن جدوى اللغة العربيّة في اقتصاد اليوم، لا بدّ أن نكون موضوعيين في الإجابة عن الأسئلة التالية: هل يوجد استعمال العربيّة في بيئاتها العربيّة؟ كيف تُقلع العربيّة وتزدهر في محيط غير موظفة فيه؟ هل للعربيّة دورٌ في مجال المعاملات التجارية؟ وهل يتمّ تدريس العلوم بالعربيّة في الجامعات العربيّة، وهل تستعمل كلغة أساس في مراكز البحوث المتقدّمة؟ تلکم بعض الأسئلة الحاملة لإشكالية اللغة العربيّة في الاقتصاد، وهي أسئلة الاستثمار المعاصر ونروم أن تتغيّر نظريائنا ونظرئنا للغة العربيّة من خلال واقع يفرض علينا إنشاء تنمية مستدامة باللغة الوطنية الجامعة. ومراعاة لذلك، يجب الإقرار بأنّ الجهود العربيّة ما زالت قاصرة على إيفاء اللغة العربيّة حقّها، وما زالت تتطلّب المزيد من العناية، وأنّ العرب لم يُولوا اللغة العربيّة ما تستحقه من اهتمام كافٍ، ولم تكن جهودهم موحّدة لرأب الهوة الناجمة عن الفجوة الرقمية.

كما يجب مصارحة أنفسنا بأنّ المؤسّسات الاقتصادية في أوطاننا العربيّة تعمل على تهجين العربيّة، دون مراعاة الأبعاد الخطيرة الناجمة عن ذلك كوننا أمة نستقبل ولا ننتج. ومن هذا الباب فإنّ معالجة أمر التهجين في المؤسّسات الاقتصادية من الأهمية بمكان، وأرى أن يكون بسنّ القوانين

المتعلّقة بالاستيراد، والتّحفّظ على المسميات، ومرافقة ذلك بمجمات تشجيعيّة تعزّز مكانة العربيّة في نفوس أبنائها. وكذلك من الفطنة اعتماد سياسة للتّعريب ملزمة للمؤسّسات الاقتصادية في إعلاناتها وفي متوجّها ولا شك أنّ ذلك سوف يجد صعوبة في البداية، ولكن يزول بالإقناع والتّوجيه. وفي هذه التّقطة، أرى أنّ أبرز ما يعضد العربيّة في التّهوض حالياً هي:

- في المرحلة الأولى العمل بالتّثائيّة اللغويّة في تعليم العلوم والتكنولوجيا والطبّ لمُدّة لا تقلّ عن عشر (10) سنوات؛

- إيلاء الإنكليزيّة مكانة هامّة في المرحلة التّثائيّة؛

- تطبيق قوانين البلد على المدارس الخاصّة؛

- تعميم وجود المعاهد الخاصّة بتكوين المعلّمين؛

- البحث العلمي التّطبيقي في اللغة العربيّة وتعليمها؛

- فرض العربيّة في كلّ ما هو إشهار وإعلان؛

- إحياء التّخاطب العفويّ باللغة الفصيحة.

وهذه الأمور مُستنبطة من تلك الأبحاث الميدانيّة التي خرجت بها مُدونة بيروت الصّادرة عن (مؤسّسة الفكر العربيّ) والموسومة (لننهض بلغتنا) لعام 2012م. ولكن لا نعدم النهوض الثاني بالاستثمار في لغة الطّفل العربيّ وهي النقطة الأساس، لأنّ الاستثمار في لغة الطّفل، يعني الاستثمار في القاعدة، وفي لغة القاعدة التي تبقى راسخة، ويعني كسب جيل يستعمل لغته فلا يضيع، ولا تختلف رؤاه. وتكون البداية من عدم المغامرة في الازدواجيّة

اللغوية في المرحلة الابتدائية، فهي تعيق عملية التشبيك اللغوي في اللغة الأم ومن ثم العمل دائماً بأسلوب الإصلاح وإصلاح الإصلاحي، وهو شيء طبيعي، فلذلك إصلاح نهاية ونقائص، ثم زيادة عدد حصص اللغة العربية في المنهاج الدراسي، وما يتبعها من عقد الندوات والمؤتمرات التحسيسية للمعلمين وللمُستَمرِّين، ومُتابعة التّقويم المُستمرّ لكلّ مجرى تربوي، ولا ننسى الاستثمار في معاجم الأطفال ونروم من الاستثمار أن يكون مستوفياً لمعاجم عصرية؛ مُستوفية لحاجات الطّفل المُلمّحة، معاجم تنفّدي التّركيز على كثرة المترادفات والمتضادات وتستعمل ألفاظ العصر وتراكيبه، وتُبنى على أسس علمية، حسب متطلبات الصّناعة المعاجمية الحديثة.

- المبحث الثاني: اللغة والاستثمار: يُعرّف علماء الاقتصاد اللغة بأنّها (رصيد معرفي) يُستثمر في تنمية البشر؛ باعتبار اللغة والاقتصاد وجهين لعملة واحدة، فلا يزدهر الاقتصاد في ظلّ غياب اللغة، ولا تزدهر اللغة في ظلّ ركود الاقتصاد، فهما متلازمان في مجال التّسويق، وقوة الاقتصاد معيار تقدّم الأمة وسيادتها، وبالتالي سيادة لغتها.

إنّ اللغة ترتفع قيمتها بالاستعمال، كما ترتبط بالنشاط الاقتصادي، إلى الدور الذي تلعبه في الإنتاج والاستهلاك والتبادل. فاللغة قيمة (Valeur) ومنفعة (Utilité) ولهذا تُوزن قيمتها بالاستعمال وبالشغل والطلب عليها. والنشاط اللغوي نشاط اقتصادي وحسن الأداء، وتقديم الجودة في الخدمات والتنافسية في العرض، وهذه هي محاور الاقتصاد اللغوي، ورؤية السوق للغة. وعلى هذا نشهد في الوقت المعاصر زيادة الطلب على المؤنكلزين كما يشهد الطلب على المفرنسين في بلاد المغرب، وفي فرنسا على الذين يتقنون

الإنجليزية... لأن اللغة رأسمال بشري مرتبط بالمرودود المادي وبالذخل الفردي للإنسان، وبالحركة الاقتصادية التي يحدثها ذلك الإنسان. ففي منظورها فإن قيمة السلعة تحيل إلى القيمة الاستعمالية + القيمة التبادلية، ومن ورائهما قيمة الربح، واللغة رأسمال كبير تأتي بتبعات اقتصادية كبيرة لم ينتبه المختصون في اللغة إلى أن ما يخوضون فيه من إشكالات حول وضع اللغة ومتمنها وسياستها وتعليمها له تبعات اقتصادية. وقد عني عدد من الاقتصاديين ومختصي الاقتصاد اللغوي مؤخراً بتطوير الاشتغال بدقة على العلاقة القوية بين الاقتصاد واللغة أو اللغات، وتحديد موضوع العلم الجديد وإشكالاته الأساسية ومناهجه، وأكد عدد من منظري السياسات اللغوية بأجهااتهم المتعددة ضرورة العناية بالاعتبارات الاقتصادية⁶. وهكذا ينظر الاقتصاد إلى اللغات من حيث هي عمّلات البيع والشراء واستغلال المنتج وعلى أنها رأسمال يبحث عن الاستثمار.

وإن اقتصاد المعرفة يعتمد في الدرجة الأولى على الرأسمال الممثل في منتجات الباحثين الفنية في مجال الذكاء الصناعي المجسد في الآلات المعاصرة بدل الاقتصاد اليدوي القديم، وهذا للحصول على المعرفة التي تُوظف بهدف تحسين الأداء، وخلق تنمية مُستدامة، والسير مع العصر. وأهم ركيزة يعتمدها اقتصاد المعرفة هو تطوير التربية والتعليم المصاحب للنظريات المعاصرة. ولذا يُستثمر بقوة في عقول الطلبة منذ نشأتهم لإنتاج المعرفة وتطويرها واستخدامها في كل الميادين. وهذا التطوير يُركّز على اللغة لتؤدي دوراً تواصلياً على مختلف المستويات، ولتحقق الجودة الشاملة في كل عمليات التواصل حيث إنّ الاتصال اللغوي الفعّال عامل حاسم في بناء الكفاية

الاقتصادية التي تعتمد على كفاية المعلومات واستعمالها في وضع جداول، وفي حلّ المشكلات الاقتصادية وعقد الاتفاقيات، واتخاذ القرارات الرشيدة⁷. ومشكلتنا -نحن العرب- في أننا تحوّلنا عن استعمال لغتنا باستعمال اللغات الأجنبية، دون أن نعرف كم نخسر يوماً من الملايين بسبب أنّ لغتنا ظلت على جمودها، وأنّ أداءنا اللغات الأجنبية ضعيفٌ. فالقضية واضحة، في أننا وبطواعة لم نقمُ باللازم تجاه الرابطة القومية، وهي اللغة التي تجمعنا، ولم نهتمّ باللغات الوطنية التي تعمل على الدفع بالاقتصاد إلى مسار مُتقدّم، وقد يصعب علينا الدفع بها من منظور أننا نخدم لغة ليست من لغاتنا.

وعلى العموم، في هذا الوقت نحتاج إلى الاستثمار في اللغة القومية ولو من باب تغليب الكمّ على النوع/ والإكثار من المشاريع؛ ولو بعنوانين متقاربة، والعمل بفرق البحث وتحت إمرة مرجعية وطنية أو عالمية وتكثيف الإنتاج ذي العلاقة بالتربية والتعليم، والتمكين والإغداق بالقوة في اللغة الجامعة. ومن هنا، فإنّ ما استثمرناه فيها لا يكون غالباً عندما يُنفق الإنسان ماله من أجل الاستثمار في اللغة التي تُصالحه مع جاره ومجتمعه ووطنه، ولا يعيش الغربة اللغوية في محيطه، كمنفي في وطنه. ومهما تُنفق الدول العربية على تعليم وتعلّم العربية فهو لا شيءٌ ورخيصاً جداً لأنّ ذلك الإنفاق لم يذهب سُدىً، حيث سيعمل على توحيد التفكير والوصول إلى قواسم مشتركة في الفهم والتألف البيني. وهذا هو الاقتصاد المعرفي الذي يأتي بالجانب المعنوي والمادي، ويكون في أوله مادياً، لكن نتائجه تدخل في الوعي الجمعيّ الذي يعمل على الدّفع باقتصاد البلد إلى الأمام وعدم التسامح في العمل، بل يحصل التفاني في خدمة الشّأن العامّ، ويكون شريكاً في عمليات

الإنتاج، وبخاصة عندما يحدثه صاحب المعمل أو المدير بتلك اللغة التي تُحسُّه أنه شريك لا أجير فيحصل التناغم بين الأجساد (العمال) والرؤوس (المسؤولون) وهذا هو تحقيق الجانب المعنوي الذي يأتي بطول الزمن.

ومن هنا، فنحن بحاجة إلى الإدراك التامّ والوعي البين، بأنّ العربية الفصيحة وحدها هي لغة الإجماع، ولغة توحيد الوطن والأوطان، وليست مجرد لغة نتحدث بها وفيها في كيفية الاستثمار وأنّ الإنفاق على اللغة العربية مكلف ولا يأتي بالمرود إنّ الإنفاق المالي من قبل الدولة على كلّ ما من شأنه إصلاح أوضاع اللغة العربية وتمكينها، وحلّ جميع مشكلاتها المتعددة في المجالات العلمية والتعليمية والتربوية والتواصلية والإعلامية والثقافية... إلخ، والتمكين لها وجوداً وفاعلية في جميع شؤون الحياة، وعلى كلّ المستويات، وفي كلّ القطاعات دون استثناء، يؤدّي إلى إحداث تأثيرها وفعاليتها وتحقيق وظائفها الحيوية في حياة الأفراد والمجتمع في مجالات الحياة المختلفة وبتيح لها أفضل الظروف في جميع قطاعات الدولة والمجتمع، لتحدث أثرها الإيجابي في كلّ المستويات وفي كلّ الأوقات⁸. ولكن بكلّ أسف، تعدّ اللغة العربية ثروة اقتصادية مبخوسة على يد أبنائها، في الوقت الذي يتّجه العالم بقوة إلى الاعتراز باللغات الوطنية، وهذا ضمن نظرية النمو الجديدة التي تُقرّ بأنّ التنمية الوطنية لا تتمّ إلاّ باللغة الأمّ، وهذا ما يقول به العالم الأمريكي (روبرت لولو) إنّ الاستثمار في تعليم اللغة الأمّ في المجالات التقنية يعدّ استثماراً مثالياً طويلاً الأجل؛ تتعاضد فوائده في حال استثمارتها المؤسسات التعليمية والثقافية بشكل حسن. ويقول المستشار الألماني (ويلي براندت): إذا أردت أن أبيعك بضاعتي؛ يجب أن أتحدّث بلغتك، وإذا أردت

أن تبيع بضاعتك، فعليك أن تتحدث الألمانية. ومن هنا، يتوجب علينا استثمار اللغة العربية في تطويرها وضبط نظرياتنا اللغوية والثقافية، وتوحيد خطابنا الثقافي؛ بما يتوافق مع المناهج العالمية الحديثة، كما يستوجب علينا الوضع إعادة النظر في توحيد الخطاب الثقافي من خلال النظرية العربية. لماذا كل هذا الإصرار على التعامل باللغة العربية في مجتمعنا العربية؟ لأنه استثمار في التنمية البشرية التي لا زوال لها، بل هي تنمو وتتج، فلا خسارة فيها مثل الاستثمار في السلع. فبالاستثمار في اللغة يحصل الانتقال من حضارة المعاني إلى حضارة المباني، واللغة كلما زاد عدد المتكلمين بها زادت قيمتها، وكلما وقع عليها الطلبُ غلا ثمنها، وكلما تُرجم منها زادت عظمتها، وكلما تُرجم إليها توسّعت أساليبها، وكلما وقع الإعلانُ بها ارتفع ميزانها، وكلما نما إعلامها زادت قيمتها.

وكان عليّ حقاً القول، بأنه كلما نما الاقتصادُ، كلما انتشرت لغة المنتج وكلما حظيت اللغة بإقبال كلما روجت للمنتج. ولكن، فكما يعمل الاقتصاد بما فيه من صناعة وتجارة على ترويج اللغة؛ يعمل كذلك على تأزيم مفهوم الهوية اللغوية للمستهلك، فاللغة والاقتصاد والسوق تربطهم علاقة جدلية؛ إذ يطور أحدها الآخر، ويروج له، إلا أن اقتصاد السوق أحياناً والعولمة يفسدان على اللغة قيمتها التداولية المحلية، ويهجنانها إذا لم تكن في الاستعمال، ليحصل بذلك القضاء على الهوية والخصوصية. ومن هنا نقرّ بأنّ محيطنا الاجتماعيّ العربيّ لا يستعمل اللغة الفصحى/ الفصيحة/ الوسطى، حيث اكتسحته العولمة بألفاظ Fast-food/ Week-end/ Pas de crédit/ Merci/ bye Bey/ Au revoir/ A toute/ Mobile/ Cafétéria/

... زائد اللهجات المحلية التي لا يقع التواصل بها حتى في البيئة الواحدة، بله الحديث من دولة عربية لأخرى، وما يعلن عنه في الألواح الإشهارية، وما تعجّب به وسائل التواصل الاجتماعي، بما فيه تلك الحروف اللاتينية التي تعمل بها الهواتف من الجيل القديم، أو الذي يسوّق في بلاد المغرب؛ لأنّ الوسيط التجاري يعمل لصالح الفرنسية، فنحن لا نأتي بالبضاعة من منتجها، بل يجب أن تمرّ عن وسيط فرنسي يعطي لها صبغته اللغوية. فهذا الوضع الاقتصادي الهشّ والمهترئ لا يخدم لغتنا، إن لم نقل: إنّه يهدّدها ويقتل اللغات الوطنية. صحيح إنّ المنتج مرتبط بلغة بلده الأصلي، ونحن لا ننتج فنحتاج على الأقلّ إلى الاهتمام بالصناعة الحرفية البسيطة والتركيبية، ثمّ تطوير الاقتصاد العربيّ، وبخاصّة في ميادين البترول وفي منتجاتنا الوطنية ليس الأخرى أن تحمل تسمياتها من خلال ثقافتنا، ونقدّم للسائح أكلاتنا بأسمائها، ونفتخر بلغتنا، وهذا من متطلبات السوق المحلي، لا الذهاب إلى السوق المفتوح الذي ندوب فيه وهكذا، فلا بدّ من تطوير الاقتصاد العربيّ بغية الرقيّ باللغة العربية ونشرها، فلا توجد لغة أرقى من لغة أخرى، ولا أنسب منها لاقتصاد أو تجارة معينين وإثما الحضارة والتقدّم هما اللذان يحكمان على اللغة بالازدهار أو الجمود، وتصبح اللغة ضمن السوق المفتوح على مصراعيه للمنافسة⁹. وهكذا نرى بأنّ السوق المفتوحة في وقتنا المعاصر ليس في صالح لغتنا فلم تُعدّ القاعدة التي تجعلنا نقف بالندّ أمام اللغات المتقدّمة، والعهدّة في أن نعمل على الإنتاج وبذلك نضمن موقعنا في خريطة العالم. ونستثمر في اللغة لما لها من شبه بالعملة، والقواسم المشتركة تتمثّل في:

أولاً: يستلزم التقد لتسهيل تبادل السلع أو الأصول المادية، ومثله تستعمل اللغة لتسهيل تبادل المعرفة أو الأصول الفكرية التي هي الآن أساس الاقتصاد المعرفي الجديد.

ثانياً: يشكل التقد رصيد الأمة وثرتها النقدية والمادية، ومثله تمثل اللغة للأمة ثروة لغوية.

ثالثاً: العملة تصكّ وكذا اللغة والمشفرف على صكهما هو الدولة.

رابعاً: إنّ قيمة التقد تزيد بالتداول وبالعملة المحلية، وكذلك قيمة اللغة تزيد بالتداول بها عبر التعليم باللغة الوطنية.

خامساً: للتقد قيمة وظيفية أو قيمة استعمالية تتمثل بالنقود الورقية التي ليس لها قيمة مجدّ ذاتها وقيمة أخرى سلعية تتمثل بالنقود الذهبية أو الفضية مثلاً التي لها قيمتها الذاتية، والأمر سيان بالنسبة للغة التي لها قيمة وظيفية تتمثل بلغة الحياة اليومية، وقيمة سلعية تتمثل باللغة العلمية والتكنولوجية التي لها قيمة إنتاجية مجدّ ذاتها.

سادساً: كما يحصل تضخم لغويّ مع ازدياد التقد وانخفاض قدرته الشرائية يصيب اللغة تضخم يتعدّد فيه المصطلح العلميّ حتى تضيق قيمته.

سابعاً: إنّ لوحة العملة في دولة ما أو مجموعة ما مكاسب اقتصادية كبيرة، وكذلك لوحة اللغة^{0 1}. ولهذا، لا بدّ من الاستثمار في اللغة الوطنية، وهي عملية تحسينية وذات مردود جيّد، وتقوم على التواصل الاقتصادي الناجح.

وبذا، نرى بأنّ سكّ العملة لا يختلف عن سكّ اللسان، فاللسان عملة التفكير، والكلمات تُسكّ كما تُسكّ العملات، وكلام الإنسان العادل كما يقال كالفضّة الخالصة، فهنا يحصل الاقتران المتكامل بينهما. النقد = اللغة. اللغة = النقد، فهما متكاملان، فوحدة اللغة من وحدة التقديعيني وحدة السوق. والسوق له لغة مشتركة مستمدة من واقع الاستعمال المتداول وهي تحمل دلالات واضحة في البيع أو في الإعلان، فهي موحدة داخل السوق واللغة بدورها تنمي الناس في ما بينهم؛ لأنّها وسيلتهم للتبادل المقبول على نطاق عامّ، وبالمقابل يتفاعل الناس ويتوحدون في أي تشكيل لجماعة مهما اختلفت مكانتهم الاجتماعية أو الشخصية أو المكانية. ومن هنا، نرى اللغة توحدهم مثلما توحد النقود السوق التقود واللغة موضوعان يتسم البحث فيهما بدرجة من العمق والتجريد توازي في عمومية استعمالهما وهما مرتبطان أحدهما بالآخر، ويبدو أنّهما يقومان على أسس مشتركة. فثروة المعرفة الإنسانية كلّها تقوم على تبادل الكلمات... ومن ناحية أخرى فإنّ كلّ كنوز الحياة المدنية والاجتماعية ترتبط بالتقود بوصفها معيارها العام¹. وهكذا لا تنفصل اللغة عن التقود إذا كانت مستعملة، وكما قيل: اللغة وضع واستعمال، فلا تحصل المنفعة للعامة إلا بالتداول، وكذلك اللغة لا يكون لها وزن إلا إذا كانت في الشارع وفي كلّ مكان، وعند ذلك يكثر عليها الطلب.

- المبحث الثالث: الاستثمار واللغة العربية: عرفنا بأنّ الاستثمار هو

تجارة + دخول مال = ربح / خسارة. كما يساوي الاستثمار = تنمية الموارد البشرية والمادية، وهو بدوره مناقصات وعروض. كيف نجعل اللغة العربية لغة استثمارية؟ إنّ الاستثمار هو نشاط تجاريّ بغرض الربح وما تقوم به

مؤسّسات من مثل المجلس الدّوليّ للغة العربيّة هو استثمارٌ يَحَقِّقُ الرِّبْحَ لأصحاب الفكرة، ثمّ يعمل على استقطاب الكفاءات، ويجمع الناس على مُطارحة المشاكل اللغويّة، ومن ثمّ يعمل على تقديم الحلول، وهذا حاصل في كلّ اللغات، فإذا رجعنا إلى تاريخنا القديم، فنرى العربَ أنّهم استثمروا في اللغة العربيّة التي أخذت مجاري في كلّ العالم، عن طريق الفتوحات الإسلاميّة التي صاحبها تعليم الدّين الإسلامي، وحصلت للغة العربيّة على مواقع لم تكن تتحكّم فيها سابقاً. فكانت هذه المعادلة. الاستثمار = تعليم الدّين الإسلاميّ + نشر الإسلام + تعليم العربيّة = حصول الفتوحات الإسلاميّة. وحصول الفتوحات كان يعني = خروج العربيّة من شبه الجزيرة العربيّة ونشرها في مدائن غير عربيّة، وتخلي الكثير من اللغات عن خطّها وتبنيّ الحرف العربي. وحصل كلّ هذا في بداية الأمر عن طريق التّجار وهذا هو الجانب الاقتصادي اللغويّ، فلولا التّجارة التي أسّست لطريق الحرير، ما جاءت لغة (Lingua franca) ولغة طريق الحرير التي فيها الكثير من الألفاظ العربيّة. هذا الطّريق الذي يسّر حركة السّلع والقوافل التّجارية فشكّل أهمّ محور من محاور التّواصل بين الحضارة العربيّة والحضارة الصّينية والفارسيّة، وكانت تجارة الحرير سبباً للاحتكاك، فهو استثمار ذلك العصر وكذلك الحال بالنّسبة للإنكليزيّة المعاصرة، فلولا التّجارة الدولية لضاقت الإنكليزيّة. إذاً الاقتصاد عامل من عوامل انتشار اللغة، ومن هنا، فإنّ الاستثمار اللغويّ = تقديم خدمات للباحثين + تقديم بيانات + تقديم الأُجود + نشاط اقتصاد لغوي. واللغة التي يحصل فيها هذا التّوع، هي

مطلوبة ومرغوبة، فتطلب عن طريق الدّفع الماديّ من أجل امتلاكها بل تُعدّ ثروةً وقيمةً مضافةً في الشّخص المتقن لها.

نحن الآن في زمن الحثّ عن المنفعة الاقتصادية، فهل اللغة العربيّة نتدبّر بها أغراضنا في مجال المالية والبنزسة، ومن حقّنا أن نسأل عن قيمتها في سوق التّداول، وعن الجدوى والتّفعية في قضاء كلّ المآرب... وتأتينا إجابات ليس لصالح لغاتنا، وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن طرائق تطويرها وجعلها لغةً اقتصاديّة؛ لأنّ المسألة هنا مرتبطةٌ بسؤال التّنمية هل يمكن أن تكون لنا تنميةٌ مُستديمة بغير لغتنا؟ ولكي تكون العربيّة لغة الأسواق والمعاملات كان علينا الحديث عن مجموعة من الركائز، وهي:

- اقتناعنا بأنّ لغتنا ليست حِكراً على عِرْق أو حضارة؛

- إصرارنا على ضرورة الفصل بين اللغة والدين؛

- تفعيل الانتماء العربي في زمن العولمة والحداثة وزمن اغتيال اللغة العربيّة؛

- الإيمان بضرورة انفتاح اللغة العربيّة على اللغات الأخرى والثّقافات المختلفة؛

- تفعيل دور المجامع اللغويّة والعلميّة؛

- وضع معاجم جديدة تعتمد مقاربات سهلة وبسيطة وقادرة على محاكاة لغة متعلّم العربيّة؛

- إنشاء مراكز جامعيّة للأبحاث اللغويّة والتّربوية؛

- استغلال الحرف العربي مُحَفِّزاً فَنِيّاً لِيَجْذِبَ الأَجْنَبِيّ؛
- حلّ مشكلة الازدواج اللغويّ التي تشكّل عقبة في التّعليم؛
- إعداد معلّم العربيّة لغير النّاطقين بها ضمن سياسة عربيّة متكاملة؛
- تطوير المناهج وطرائق التّعليم وتيسيرها وفق المستويات؛
- إيلاء تعليم العربيّة لغير الناطقين بها اهتماماً خاصاً؛ لما تشكّله العربيّة من موقعها العالمي وضرورة أن تلحق الدّين الإسلامي^{2 1}. هي ركائز عامّة وتعضد بعضها. وإنّ العربيّة ليست بِعَرَقٍ ولا بدمٍ ولا بِأَبٍ بل من تكلمم العربيّة فهو عربيّ، ومن خدّم العربيّة فهو عربيّ، والذين خدّموا العربيّة من غير العرب أكثر من العرب، فلا نستعجب الأمر، وما حصل من نهضة عربيّة معاصرة كان بفضل المسيحيين في بداية القرن الماضي، وأنّ ذلك ساير النّهضة، ولكنّه لم يساير التّمية.

لقد كشفت الدراسات المعاصرة بأنّ التّمية مُرادفة للنّهضة، والنّهضة تكون بتقديم الأفكار والتّمية كذلك. النّهضة حركة اجتماعيّة، والتّمية حركة اقتصاديّة مالية، فيمكن للنّهضة أن تقوم باللّغة الأجنبيّة، بينما التّمية لا تقوم إلّا باللّغة الوطنيّة. ويمكن أن نستعرض للقارئ كيف تحصل التّمية ناقصّة أو ضعيفّة، بل يأتي من وراء ذلك التّخيب المجتمعيّ، وهذا ما هو حاصل في بلد الهند، فهي تملك أكبر نظم التّعليم العالي في العالم إذ إنّ عدد جامعاتها أكثر من 600 وعدد كليّاتها يتجاوز 33000 وهي توفر التّعليم لأكثر من 20 مليون طالب. بيد أنّ التّسبة المئويّة للهنود الذين هم في سنّ الانتساب إلى الكليّات، والذين يتابعون دراستهم بعد إنهايم المرحلة الثّانويّة

مُنخفضة مُقارنة بعددهم في دول أخرى. وإنَّ نسبة إجمالي المُسجّلين في التّعليم العالي تُعادل في الهند 9, 17 في المئّة، وفي الصّين 8, 26 في المئّة، وفي الولايات المتّحدة 8, 94 في المئّة^{3 1} ولماذا هذا الانخفاض في الهند، ولم يكن يحدث في الصّين مثلاً وهي أكثر من الهند سكاناً؛ لأنّ الهند تدرّس بلغة غير لغتها؛ فالتّعليم عندها نخبويّ، عكسه في الصّين وفي الولايات المتّحدة، فهو تعليم وطنيّ وباللغة الوطنيّة. ولذا، فمن منطق العقل؛ فإنّ التّنمية الشاملة والمتوازنة هي تلك التي يحصل فيها التّكامل بين جميع الجوانب، ويعمّ نفعها على المجتمع وتفضي إلى إسعاد الفرد وتنميّة قدراته، والرّفيع من مستوى وعيّه، ويكون كلّ ذلك بلغة أهل البلد. كما أنّ التّنمية تتطلّب رأسماً بشرياً مكوّناً وسواعد تبني وتعمل وتنجز، وتقوم على جانب الرّأسمال المعرفيّ القائم على الإنتاج والاستيراد، والمزج بينهما والتّماسك الاجتماعيّ للمحافظة على المكتسبات وزيادة تنميتها.

ونحن -في الحقيقة- لا نقوم على نشدان التّنمية باللغة العربيّة بسبب:

- 1- التّشجيع على تعلّم اللغات الأجنبيّة.
- 2- اشتراط اللغات الأجنبيّة في التّوظيف.
- 3- عدم استكمال مراحل تعريب المواد العلميّة في الجامعات العربيّة.
- 4- الطلبة الأجانب الوافدين إلى بلاد العربيّة يتعلّمون اللغات الأجنبيّة بدل العربيّة.

5- العمالة الأجنبيّة لا يشترط عليها تعلّم العربيّة.

- 6- تشجيع بعض الجامعات الطلبة الذين يعودون إلى المصادر الأجنبيّة أكثر من المصادر العربيّة.

- 7- عدم الحديث عن الاستثمار اللغويّ، وعدم جعل اللغة في برامج الحكومات العربيّة موضع استثمار.
 - 8- فتح المجال للتعليم الخاصّ، وكثيره لا يدرس باللغة العربيّة.
 - 9- الترخيص للقنوات الناطقة باللّهجات.
 - 10- الترخيص للجرائد المكتوبة باللغات الأجنبيّة.
 - 11- قبول التدريس في البلاد العربيّة ببرامج أجنبيّة.
- ولهذا نجست لغائنا، لأنّه لم يقع استعمالها، ولم يقع التفكير في ربط اللغة بالتنمية، حيث أبدلنا لنا المستعمِر لغتنا بلغته، وقبلنا الخدعة التي تقول: إنّ العربيّة لغة أديبة، ولن تكون لغة العلم فليس من الضروري البحث عن لغة علمية، فهي موجودة في لغة المُستعمِر. ولم تكن لنا العبرة في استنطاق التاريخ؛ بأنّ للغات أعماراً، وللغات أدواراً، وللغات مجالاتٍ وللغات حُزماً وكيف سادت العربيّة حتى عصر الضّعف، ألم تكن العربيّة علمية في عصر (عبد الملك بن مروان) الذي استثمر في الجمع بين المال والقرار السياسيّ. وفي عصرنا الحاضر نملك الوفرة من المال، ونملك التوايا الحسنة.

- المبحث الرابع: قنوات الاستثمار: هناك ميادين كثيرة ذات العلاقة ببناء الدولة المركزيّة أو غير المركزيّة، يمكن أن تتعاصد معاً، وإذا انفصمت عراها تصبح عملية التّكامل لا تسير كما ينبغي، بل تعمل على تأخير عمليات التّهوض. ولهذا سوف يقع التّركيز على القنوات التّاليّة:

- قناة الاستثمار في ميدان التّربية والتّعليم: إنّ الشعوب التي نهضت مؤخراً كان شغلها الأوّل هو الاستثمار في التّربية والتّعليم، وهو استثمار في التّنميّة المستديمة لمواجهة تحديات تدريس اللغات الوطنيّة، وكان ذلك

ضرورياً ومُستعجلاً، وهذا يربط التَّنامية التَّربوية بالتَّكنولوجية المعاصرة مع الاحتفاظ بالأصالة في بُعديها الرُّوحي والأخلاقي، وتعزيز بُعد اللغات الوطنيَّة التي لا تحصل التَّنامية بدونها، وهذا بُغية إعداد مُجتمع متماسك أصيل مُتكيف مع المُتغيَّرات والنمو المُستمر. ولذلك كان تعليمُ اللغة الوطنيَّة جزءاً من الاستثمار في الرأسمال البشري، ولكي يكون ذلك ناجحاً في العربيَّة علينا رفع المُعيقات التَّالية أولاً:

- 1- تَواكُل أهلها على من يخدمها دون غيرهم.
 - 2- ضعف المشاريع، وعدم متابعة تطبيقها إن وُجدت.
 - 3- عوائق في السِّياسة اللغويَّة والتَّربويَّة.
 - 4- رفع التَّخبة يدها عن الإسهام في تحسين الوضع الاجتماعي.
 - 5- عدم تشجيع المبادرات.
 - 6- عدم تفتُّح العربيَّة على الشَّركات والأنشطة ذات العلاقة بالمال.
 - 7- قبول الهيمنة اللغويَّة من قبل اللغات الأجنبيَّة.
- وبعد رفع هذه المُعيقات، علينا استكناه تجارب استثمار الأمم في لغاتها من مثل: العمل بنظام تقديم المنح للأجانب لتعلِّم العربيَّة، وضع الطَّالب مع الأسرة لمدة سنة (Emersion linguistique) ليتعلِّم اللغة كما هي عند ناطقيها الأصليين، وفتح المخابر اللغويَّة بما لها من أدوات حديثة في الدِّيداكتيك وتعليم العربيَّة بنظام مُكثَّف (مخابر الأصوات) وجعل المتعلِّم يتعلِّم اللغة عن طريق التَّدية اللغويَّة، وإلزام كلِّ الشَّركات باستعمال اللغة الأم، وإقحام المسجد في هذه المسألة، إلى قناة الأعلام التي تعمل على نشر العربيَّة.

وكلّ ذلك يتمّ بنظريّة علميّة، وبتخطيط على الآماد الثلاث، بغية استكناه كلّ ما له علاقة بالوعيّ الجمعيّ. ولكي نقوم بإصلاح وضعنا التربويّ ونجعل موضوع استثمار يحتاج منّا إلى إصلاح الخطاب الثقافيّ، وإلى بناء استراتيجية توحيد الخطاب الثقافيّ الذي يقوم على هيكله المعتقدات والتعاطي مع الغزو الثقافيّ الخارجيّ. ومن هنا، فإنّه من الضروريّ بمكان الاهتمام باستخدام اللغة العربيّة في كلّ التّعاملات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والفنيّة، وفي كلّ المجالات، والعمل على الدّعاية للعربيّة، وكذلك الاهتمام بالفنون الشعبيّة سعياً إلى تحقيق نظام جامع مترابط ومتواصل؛ من أجل تحقيق التّعامل البيني واضحاً ومبنيّاً على قيم وأخلاق ومواطنة، وتوحيد توجّه الأجهزة الثقافيّة بعيداً عن الإفراط والتّفريط. ولكي يحصل ذلك كذلك نحتاج إلى نظرية عربيّة لغوية تربويّة تعمل على تطوير مفهوم التّعليم ليعود إلى أصالته كرسالة، وإلى مفهومه الحقيقيّ لبناء الإنسان بما يجعله قادراً أن يبني ويعمّر.

ولنبداً الاستثمار في لغة الطّفل، والعبرة في ديننا الحنيف، عندما جعل الرّسول ص فداء الأسرى من كفّار قريش بتعليم عشرة (10) أطفال من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وكان ذلك بدل الفداء بالأموال، بل أعلى ذلك من شأن العربيّة، ورخص من قيمة المال التي تقدّم في الفدية. ومن هنا نرى أهميّة الاستثمار في تربيّة أطفال اليوم، وهم رجال الغد، هم ثروة الأمم والشّعوب، ولهذا توجّه إليهم العناية الخاصّة؛ لأنّ قوّة الأمم تُقاس بمدى التّحكّم في الأطفال، ومنحهم درجات الوعي والرّفاهية، وقال (بندتو كروتشي) أذكروا دائماً أنّنا إذا وفرنا لأطفال الأمّة وشبابها الفرصة لتنميّة

قدراتهم، وإذا استطعنا أن نقدّم لهم المعرفة الكافية التي تمكّنهم من إدراك ما يجري حولهم بكلّ ما فيه من حسنات وسيئات، فقد أوجدنا جيلاً من الشباب يستطيع أن يقود بلاده نحو مستقبل أفضل فالشباب هو الحاضر وهو المستقبل، وهو ثروة البلاد التي لا تنضب^{4 1}. فلا شك أنّ الاستثمار في الجيل الجديد يمثل قيمةً رمزيةً وثروةً كبيرةً، وبخاصّة إذا كان ذلك في صالح النظرة المستقبلية؛ حيث إنّ مستقبلهم سيعتمد على المعرفة والتّقانة أكثر من اعتمادنا نحن على التعليم التقليدي؛ لذلك يجب على مدارسنا إعداد تلاميذ لهذا المستقبل بشكل جيّد؛ لأنّ قدراتهم العقلية سوف تُعَلِّي من القوة الاقتصادية للبلد. ولهذا، فإنّ الاهتمام بلغة الطفل هو استثمار في التنمية البشرية المعاصرة ونعلم بأننا نعدّ جيلاً جديداً له مُعطياته وتطبيقاته التي يتعامل بها، فهو طفل رقمي، وسوف يأتي المستقبل باختراعات عجيبة. فكان لا بدّ من الاستعداد لهذه الاختراعات بالتحكّم في برامج المحاكاة الافتراضية، واستخدام التقانة لتحسين التعليم كي نضع تجسيراً رقمياً غير متقطّع، ويقع الاستثمار بقوة في الألعاب اللغوية، أو في كتب القصص المبنية على الشخصيات، أو في ألعاب الفيديو التي تخصّصهم، أو في الدُمى التعليمية... وكم تعمل كلّ تلك الوسائل الرقمية على إكساب الطفل لغةً سهلةً جيّدة؛ حيث تجعله ينغمس في تلك اللعبة، ويتكلّم مثلما يتكلّم الصغار الممثلون ماذا يمكن للألعاب حقاً أن تعلّمك؟ هناك مثال معروف جيّداً في فنلندا، لقد لاحظ الباحثان أنّ الصّبيان الفنلنديين يتحدثون الإنكليزية أفضل من البنات الفنلديات، وسبب هذه الملاحظة التي وثقتها العديد من الدراسات هي أنّ الصّبيان يلعبون ألعاب فيديو أكثر؛ ولأنّ الألعاب باللغة ا

الإنكليزية، فإنّ اللاعبين أصبح لديهم مفردات أكثر. والتّقطة هنا هي أنّ الصبيان لم يجلسوا ليتعلّموا الإنكليزية بل تعلّموها وهم يستمتعون^{5 1}. وإني أرى الفرصة ذهبية في الاستثمار في هذا المجال، ومراعاة تلك الابتكارات القادمة خلال الأعوام التي تفاجئنا بالمزيد، كما أنّ التطبيقات المعاصرة على مستوى الهاتف النقال (Mobile learning apps) بما له من تطبيقات التعلّم والبرمجيات الأخرى التي تتطور باستمرار وتُمكن الأطفال والتلاميذ من اكتساب معارف بيانية؛ تكسيهم التعامل مع الواقع الافتراضي وهم الذين يلعبون ويُبحرون بسهولة في هذه الأجهزة التي لا تفارقهم. ولهذا أرى بأنّ مستقبل التعلّم الرقمي ضروريٌّ وعلينا الاستثمار في الأبحاث ذات العلاقة بالأعمال المسلية والتعامل مع الأشياء الحقيقية. وأنوّه بحقّ بتلك الجهود التي يقوم بها الباحث (نبيل علي) في البرمجيات العربيّة في معالجة اللغة العربيّة في التشكيل الآلي، وفي الصّرف الآلي، وفي بناء قواعد البيانات المعجميّة. وكذلك جهود الأستاذ (نهاد الموسى) الذي يسعى إلى نهضة لغوية، نهضة يستثمر من خلالها في المُستجدات الجديدة الخاصّة بالشباب وجهود بعض المؤسسات ذات العلاقة بالبرمجيات التعلّميّة. وما أحوجنا إلى أمثال هؤلاء، وإلى أولئك الذين نذروا أنفسهم في خدمة الغرب، وهربوا من مجتمعهم الذي لم ينصفهم، نحن بحاجة إليهم للعودة إلى أوطانهم لخدمته. نحن بحاجة إلى باحثين معلّمين يحملون مفاتيح المعرفة والعلوم، باحثين مختصّين في لغة الأطفال وأدب الأطفال في عصر العولمة.

إنّ النظرة التربوية الحديثة إلى الطّفل يجب أن تكون من باب أنّه منظومة مفتوحة قابلة للتعلّم والنمو، ففي داخله كنز مدفون ومهارة ووجدان وقيم

يحتاج إلى مدرّس ناجح لإخراجها إلى واقع الإبداع. ومن هنا تتبين لنا أهمية إسناد تعليم هذه الناشئة إلى كفاءات جدّ عالية في العلم وفي التربية مثلما تفعل (كندا) فلا تُوظّف دكتوراً من أعلى طراز في التعليم الابتدائي إلا إذا أُخضع للتجريب التربوي ومتطلبات علم النفس والممارسة المهنية لسنوات لكن توظّف ذات الدكتور بسهولة إذا أراد ممارسة التعليم في الجامعة. ولهذا نحتاج إلى معلّم له ثقافة عربيّة تقوم على العلوم والأخلاق والقيم النبيلة والأصالة وقبول الآخر. إلى معلّم يُلقّن هذا الجيل أفكار هذا الجيل، إلى معلّم يصنع هذا الشباب وفق آمالهم ورغباتهم، وذلك ما يجعلنا ندخل مجتمع المعرفة مثل البشر المتقدّم ونرفع لعنة البلاد المتخلّفة.

وعلينا أن نفيد من فعل هذه الدّول، فنجدها تُنفق وتستثمر بسخاء على المرحلة القاعدية، ولا تهتمّها الأموال؛ لأنّها سوف تدخل في العائد الاقتصاديّ في لاحقٍ من الزّمان. فهي تستثمر في البشر؛ بالعمل على نمو الوعي الثقافيّ المجتمعيّ، عن طريق الصناعات الثقافيّة والاهتمام بالحرف اليدويّة، ولا تقبل بهجرة الكفاءات؛ فتعمل على ترضيتها للإفادة منها، لا تهجيرها. ولهذا يجدر بنا مراجعة منظوماتنا الفكرية بهدف تحرير الثقافة العربيّة من الاستيلاء الحضاري عبر صناعة الثقافة الوطنيّة باحترام الهوية والخصوصيّة، وحبّ الوطن، والدّفاع عن المواطنة، مع رعاية القائمين على خدمة العربيّة.

- قناة الاستثمار في مخابر اللغات، والتعليم المكثف: يوجد تقريباً في كلّ المؤسسات التربويّة وبخاصّة الجامعيّة منها، مخابر اللغات، ومعهد لتعليم اللغات، ووحدات بحث في تعليم اللغات، فإذا حصل الاستثمار في هذه

الوحدات في صالح العربيّة، لا شكّ أنّه سوف تحصل نقلة نوعيّة في أنّ العربيّة تجد لها موقعاً. ففي بلاد المشرق يمكن أن تمسّ هذه الوحدات الأجانب الوافدين: عمال/ خبرات/ أساتذة/ مهندسين... والمشكلة أن تستثمر في تدريس العربيّة فقط. ويمكن أن تدرّس اللغات الأجنبيّة للعرب لا للأجانب. وفي المغرب العربي يمكن استثمار هذه الوحدات أو المراكز في تعليم العربيّة لأساتذة العلوم ليُعرّبوا موادهم، ولينتجوا في لغتهم العربيّة كما تستثمر في تعليم العربيّة للأفارقة وهم من الكثرة. ولكن المفارقة أنّ هذه المخابر موجودة، وعملها شبه معطل ومن يُستثمر فهو يُستثمر في تعلّم الفرنسيّة/ الإنكليزية، وهي عكس التّصوص المنشئة لها.

يمكن لهذه المخابر والمعاهد والوحدات أن تكون فاعلة في محيطها بالتّعليم وخلق فضاءات التّعليم، وإنجاز مشروعات في اللغة العربيّة، أو في إنجاز أعمال في لغات التّخصّص، أو القيام بالتّعريب لمن يهتمّ الأمر. والقضيّة في هذا المجال، يمكن لها أن تلعب دور مكاتب دراسات فتستثمر مع الباحثين ومع الخواص ومع الطلبة في إنجاز أبحاثهم، وتساعدهم في البحث عن المراجع، وعن قاعدة البيانات، وفي أعمال الطباعة، وما له علاقة بالبحث الأكاديمي. وأقف في هذه النقطة بأن يقع التوجيه إلى المشروعات الخامّ التي تنتظر من يبحث فيها، وهي كثيرة. وإنّ الاستثمار في العربيّة يجب أن لا يقف عند حدود التّمثلي، أو التّباضي، أو الافتراض أو يجب الذي يجب، أو اقتراح ما لا يمكن أن يقع أو يتحقّق، بل العبرة في الاستثمار أن يكون في تلك المشاريع التي تدرّ الأرباح الطائلة على مُنفيذها... وبناء عليه، فإنّ اللغات يمكن أن تعدّ مشروعات استثمار رأسماليّ بالمعنى الحرفيّ وليس بالمعنى

المجازي، وأهمّ الاستثمارات التي تسهم في تحسين الانتفاع اللغوي هي ما يلي:

1- تصنيف المعاجم للاستعمال العام، وكذلك معاجم المصطلحات في مجالات محدّدة.

2- برامج معالجة النصوص.

3- الترجمة الآليّة.

4- الذكاء الصّناعي، وبشكل محدّد إنشاء نظم المعلومات وبنوك المعلومات.

5- تحسين الاتصال بين الناس والآلة؛ أي تطويع لغات الكمبيوتر للغات الإنسانيّة^{6 1}.

وفي هذا المجال، يمكن أن نطرح بعضاً من هذه المشاريع؛ للنظر في قيمتها الموضوعية، وفي ما يمكن أن تدرّه من قيمة مضافة للغة العربيّة. ومشاريع أخرى للنظر في خلفيات تعطيلها، فأين الخلل في مشاريع كانت فكرة ولا تزال؟ أين الخلل في مشاريع بدئ العمل فيها منذ عشرات السنين دون نتيجة ولا مردود؟ أين الخلل في مشاريع استنزفت من ميزانية الدولة أموالاً دون بديل إيجابي؟ أين الخلل في تلك المشاريع الوهمية التي يتغنّى بها أصحابها وهي لا تزال تراوح مكانها؟ أين الخلل من تلك المشاريع العملاقة التي لم تُرفق بما هو مطلوب من وسائل الإنجاز؟ ...

ويمكن أن أطرح للقارئ مجموعة منها، وعليه أن يعمل النظر، وقد يعمل على حلّ بعضها، أو اختيار إشكالية مشروع مستقبلي أطروحة بحث، أو مدونة عمل يقوم على إنجازها بما يمكن أن يفيد به تنمية البحث في العربية.

- 1- مشاريع المجامع اللغوية والعلمية العربية.
- 2- مشاريع جمعيات حماية اللغة العربية.
- 3- مشاريع الجمعيات اللسانية.
- 4- مشاريع معاهد الترجمة.
- 5- مشاريع / الدراسات الأكاديمية المتخصصة.
- 6- مشروع المعجم التاريخي في كلّ من: اتحاد المجامع اللغوية + مشروع المعجم التاريخي في قطر.
- 7- مشروع الذخيرة اللغوية في الجزائر.
- 8- مشروع المكنز العربي.
- 9- مشاريع مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية.
- 10- مشاريع مؤسسات التحقيق.
- 11- مشاريع المجلس الدولي للغة العربية.
- 12- مشاريع مكتب تنسيق التعريب في المعاجم الموحدة/ المعجم التفاعلي.
- 13- مشاريع معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
- 14- مشاريع الأكاديميات العربية.
- 15- مشاريع المركز العلمي والتقني لترقية اللغة العربية.
- 16- مشاريع المجالس العليا للغة العربية.

- 17- مشاريع مؤسّسة الفكر العربي.
- 18- مشاريع الألكسو.
- 19- مشاريع اليونسكو.
- 20- مشاريع الأفراد في بلاد العرب.
- 21- مشاريع الأفراد في بلاد الغرب.
- 22- مشاريع المؤسّسات العلمية: التراث + صخر + العالمية + باسم ...
- 23- مشاريع الدّول الإسلاميّة في خدمة العربيّة.
- 24- مشاريع مخابر اللغات.
- 25- مشاريع حوسبة العربيّة.
- 26- مشاريع الشركات الكبرى.
- 27- مشاريع وحدات البحث.
- 28- مشاريع المعاجم الفرديّة والجماعيّة.
- 29- مشاريع الجامعات العربيّة.
- 30- مشاريع الجامعات الإسلاميّة والغربيّة.
- 31- مشاريع من أمثال (افتح يا سمسم / باسم).
- 32- مشاريع مختلف الفنّون ذات العلاقة بترقيّة اللغة العربيّة.
- 33- مشاريع المسلسلات التّاريخيّة الكبرى.
- 34- مشاريع التّعريب في كلّ من: العراق / الجزائر/ الأردن.
- 35- مشاريع الرّصيد اللغويّ الوظيفي.
- 36- مشاريع مراصد المصطلحات العلمية.
- 37- مشروع الرّصيد اللغويّ الإعلامّي.

- 38- مشروع لجنة التّمكن للغة العربيّة في سورية.
- 39- مشاريع اللّجنة الوطنيّة الأردنيّة للنهوض باللغة العربيّة للتّوجّه نحو مجتمع المعرفة.
- 40- مشاريع النهوض بالعربيّة الصّادرة عن قمتي جامعة الدّول العربيّة في العامين: 2008 في سورية، و2009 في قطر.
- 41- مشاريع سدّ الفجوة الرقمية لكلّ من:
- وزارة الاتّصالات المصريّة في المحتوى العربي الرّقمي.
 - مشاريع السّعوديّة في: الحفاظ على الهويّة والتّراث/ تعزيز تطوّر صناعة المحتوى الرّقمي العربيّ في حاضنات تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات.
 - مشاريع مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي.
 - مشاريع الحكومات الإلكترونيّة.
 - مشاريع هيئة الحكومة الإلكترونيّة بمملكة البحرين.
 - مشاريع مؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم.
 - مشروع تطوير أرشيف رقمي للنصوص العربيّة.
 - مشروع جائزة عمان الرّقمية.
 - مشروع المؤتمر الوطني لصناعة المحتوى الرّقمي العربي
- (<http://acnc.sy/site/acnc>)
- مشاريع المعالجة الآليّة للغة العربيّة.
 - مشروع اللّجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغرب آسيا (الإسكوا).
 - مشاريع إنجاز المكانز باللغة العربيّة.
 - المكنز الدّولي للغة العربيّة.

- مكانز نيملار.
 - مكانز العربية العلميّة العامّة (General Scientific Arabic Corpus)
 - مكانز العربية المعاصرة المنطوقة.
 - مشروع برامج التشكيل والتصحيح الآلي.
 - برامج تلقيب ووصف أجزاء الكلام.
 - برامج التحليل الصّرفي.
 - برامج التّقيب في النصوص.
 - برامج معالجة الكلام المنطوق.
 - برامج الترجمة الآليّة.
 - مشروع رقمنة المعاجم اللغويّة.
 - مشروع قاعدة معطيات المعجم التاريخي.
- هذا غيض من فيض، فهناك مشاريع بُدئ العمل فيها وتوقّفت، وهناك مشاريع أفكار، وهناك مشاريع افتراض، وهناك مشاريع قيد الإنجاز وهناك مشاريع في النّهاية... فالأحرى بهذه المخابر أو المراكز أو معاهد تدريس اللغات أن تتحمّل رسالتها البحثية، فهي تتلقّى دعماً من الدّولة، فما هو المتّوج الذي يقابل به تلك الأموال التي تصرف في المخبر، وإلى أين تذهب الأموال، وما نوع المردود؟

قناة الاستثمار في تعليم العربية للأجانب: إنّه بعد استثماري كبير في هذا الوقت الذي تعرف فيه العربية توسّعاً في القارات الخمس، وما يعكسه واقع العولمة من إسلامفوبيا، والتّطرّف والإرهاب، والرّبيع العربيّ. ولهذا فالعربيّة دخلت سوق الاستثمار من هذه البوابة المعرفيّة والفكريّة، ولما ثمّله من

أهمية تجارية تفرضها مُعطيات النفط والبتروول. معطيات معاصرة حديثة فيحتاج الأجنبي التعامل معها بمُعطى أهلها، ومُعطى الأهل هو التّعرف على اللغة العربيّة. ومن هنا أضحت العربيّة مُعطى تجارياً من غير أهلها لمعرفة أهلها؛ في خصائصهم، وفي تفكيرهم وفي طرائق عيشهم، أضف إلى ذلك مُعطيات التبادل التجاري والديپلوماسية والسياسة، وفتح شركات الاستثمار أو فروع الشركات، وما يتبع ذلك من أمور الجؤسسة. كما أنّ البلاد العربيّة أرضٌ بكرٌ، وفيها الكثير من الثروات الباطنيّة، فتحتاج إلى الاستثمار في كلّ شيء، فهي سوق واسعة وهذه السوق تحتاج إلى معرفة اللغة العربيّة لتبادل المصالح المرسلّة.

وفي هذه النقطة يكون التركيز في الاستثمار في العمالة الكبيرة التي تُوجد حالياً في دول الخليج ووصلت إلى ثمانية (8) ملايين آسيوي، فإذا وقع استثمار في هؤلاء الثمانية ملايين؛ يعني استثماراً في ثمانية ملايين أسرة آسيويّة؛ ويعني فتحاً كبيراً للغة العربيّة في آسيا. ونفس الشيء في الكثير من البلاد العربيّة التي تُفد إليها اليد العاملة. وهذه تحتاج إلى تعليم العربيّة، أو فرض تعلّم العربيّة أليس ذلك مدخلاً للاستثمار؛ يُفيد منه المُعلّمون والمُترجمون وباعة الكتب... ألا يحتاج ذلك إلى:

- دورات تكوينيّة مدفوعة الأجر؛

- دورات إغماسيّة مدفوعة الأجر؛

- الدورات اللغويّة المكثفة؛

- الإقامة عند العائلات...

هو استثمار ماديّ، وفي ذات الوقت استثمار في تحسين الأداء اللغويّ للعربيّة، عن طريق استحداث طرائق جديدة، ومناهج مُتطوّرة. وهناك تجارب ناجحة جداً، يمكن العمل بها من مثل:

- النجاحات التي حقّقها المُستشرقون في التّحكّم في اللغة العربيّة؛
- نجاحات معهد بورقيبة بتونس في تعليم العربيّة لغير النّاطقين بها؛
- نجاحات معهد الخرطوم الدولي لتعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها؛
- تجربة برامج تعليم اللغة العربيّة للنّاطقين بغيرها في دار زايد للثقافة الإسلاميّة بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة؛
- تجربة المدينة التّعليمية الاستثماريّة لتعليم اللغة العربيّة؛
- تجربة جمعية (اقرأ) في الجزائر؛
- تجربة معهد إيران للغات في إيران / قم؛
- تجربة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة؛
- تجربة مركز تعليم العربيّة في الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا؛
- تجربة تعليم اللغة العربيّة في الجامعة الإسلاميّة بالتيّجر؛
- تجارب معاهد تدريس العربيّة في الصّين؛
- تجارب استثمار باكستان في تعليم العربيّة.

...

ويعني كلّ هذا؛ تحقيق التوسّع والانتشار والسّمة العالمية، كما يعني أنّ العالم العربي سوف تتجّه إليه الأنظار، وأنّ الدّول الأجنبيّة سوف تُستثمر في تعليم وتطوير العربيّة، مع ما يُصاحب ذلك من روابط التّواصل، ونشر الإنتاج العربي في حضارة غير الحضارة العربيّة وإجراء دراسات تقابليّة مع اللغات الأخرى، وقد يصل ذلك إلى إسقاط نظريات عربيّة على نظريات الآخرين أو العكس، ويستفيد الطّرفان. ولهذا، هناك شروط متلازمة تستدعي وضع سياسة استثماريّة شاملة تُرسم من خلالها الخطوات اللازمة التي تحقّق استثماراً ناجحاً، بدءاً من الإنسان العربي إلى اللغة العربيّة وطرائق تعليمها، ثمّ العمل على ترويجها واستثمارها. ولهذا نحتاج إلى:

- تحقيق الوعي اللغوي والثّقافي والحضاري؛

- تنفيذ مخطّطات لغوية وتربوية بهدف إنجاح عمليات الاستثمار؛

- وضع استراتيجيات مدروسة تصون اللغة العربيّة وتُرغّب فيها.

والعبرة في تعليم العربيّة لغير الناطقين من بلد الصّين الذي قال فيه الرسول ص "أطلبوا العلم ولو في الصّين" الصّين الآن بلد عملاق، نهض مؤخّراً؛ يحوي أكبر الجامعات العالميّة، وفيه أقسام للأدب العربي. وفيه مجمع اللغة العربيّة الذي تأسّس في العام 1985. وفي الصّين تمّ إنشاء قسم تخصّص اللغة العربيّة في خمس جامعات إقليمية، وأغلبها في المناطق الواقعة غرب الصّين؛ حيث وجود القوميات المسلمة. في الصّين فرّص التّوظيف لمتعلمي العربيّة سهلة. في الصّين تجارب ناجحة لتعليم العربيّة للصّينيين؛ وقد أثبتت فعاليتها عبر المترجمين، وعبر تلك البطاقات التي يرسلونها بالعربيّة مع سلعهم

الكثيرة. الصّين بلد عجيب يجب كسب جانب الصّينيين المادي والمعنوي واللغوي؛ باعتبارهم سوقاً مستقبلية كبيرة. ومن هنا يحسن بنا استثمار العربيّة في توسّعنا التجاري مع الصّينيين باعتبارهم ثاني أكبر دولة في العالم مساحة وأول دولة من حيث السّكان ومن الدّول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، ولغتها من اللغات الستّ في الأمم المتّحدة ودولة رأسماليّة تشدّ الاستثمار في الدّول الفقيرة وترمي إلى خلق أسواق استهلاكيّة لمنتجاتها. وإنّ الصّينيين الآن ينظرون إلى العرب على أنّهم طاقة كبيرة، ولذلك استثمروا في تدريس العربيّة في بلادهم، وكانوا يعلمون أنّهم سوف يخرجون إلى العالم العربي، وأنّ سلّحهم سوف تغزو أسواقه. ولهذا حصلت لهم تجربة ناجحة في الاستثمار في اللغة العربيّة؛ تجربة تجب علمتها وتسويقها وتحديثها ولا يكون ذلك إلا بالعمل على توسيع التبادلات العلمية والثّقافية والتقنية مع الصّين، إلى جانب المصالح المرسلّة في الاقتصاد والتجارة بشكل تضمن تحسّن العلاقات وديمومتها. وبذا يمكن توظيف القيمة الاقتصاديّة العربيّة في استخدامهما في عالم التجارة مع كلّ الأجناب؛ حتى تسهم في قهر الفقر والجهل من خلال عائداتها. وهذا الأمر يتطلّب الدّراية بمعرفة فلسفة التّسويق وكيفيات التّسويق، وكيفيات التّرويج، ومرادفات التّأكيد... وهذا كلّ موجود في الخصائص البلاغية للغة العربيّة.

- قنّاة الاستثمار في المخطوطات: أدرجت ضرورة الاهتمام بالمخطوطات ويمكن الاستثمار فيها، نظراً لما يكتنزه العرب من ركام من المخطوطات، فهم الأمة رقم واحد في هذا المجال وتاريخهم حافل بالتّقاش القديمة والمخطوطات المكتوبة في ورق البردي، إلى تلك المدونات القديمة التي

تعود إلى أكثر من 20 قرناً... وتُعدّ من الاكتشاف الذي يحتاج إلى التثمين. علماً أنّ المخطوطات في أوروبا تُقدّر قيمتها بالملايين، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنّ هذا مدعاة إلى البحث في هذا التراث لاستكناه ما تحمله من علوم وما تكتنزه من حكمة الأولين، وهو اكتشاف يحتاج إلى تقدير هذا الرمز القديم. وهكذا، يُعدّ اكتشاف المخطوط عملة نادرة والعملة النادرة لا تُقدّر بثمن، أضف إلى ذلك ما تعكسه المخطوطات من أصالة وتاريخ. والمخطوط يُعدّ من التاريخ وله قيمة اعتبارية ورمزية للمجتمع يعتزّ به، ولا يخضع للمساومة؛ باعتباره كنزاً مشتركاً وذا قيمة تاريخية فثمنه أكبر من كلّ تقدير. ونعرف أنّ الأمة العربية تكتنز تراثاً كبيراً، وهو من فعل الأجداد الذين سادوا وكانوا أمة العالم. وحقّ علينا العودة إلى ما تركه السلف من ذلك الكنوز لنعتبر منه ونُفيد. بل ولنجعله في الوقت المعاصر عملة نستثمرها. ويكون ذلك بالتنبية إلى ما تكتنزه الأمة العربية من كنوز الأجداد، والتعرّف على المدونات القديمة للإفادة منها، وفهرسة ما بقي لم يفهرس، ومواصلة توجيه الطلبة للتحقيق. ومن وراء هذا؛ فإنّ البحث في المخطوطات عبارة عن استثمار لغويّ نشيط؛ يشكّل مصدراً إنتاجياً لمؤسسات ثقافية حيث:

- تُبرَم عقود التحقيق؛

- تُبرَم عقود المراجعة والطبع؛

- يشكّل البحث في المخطوط مصدرَ حراك ثقافي؛

- يحصل التباري في التحقيق.

وهناك من يرى أنّ الاستثمار في المخطوطات يحصل عن طريق القنوات التالية:

- 1- تميم المخطوطات التي بجوزة ملاكها وشرائها منهم للحفاظ عليها.
 - 2- فتح مراكز المخطوطات، وتزويد الباحثين بنسخ وصُور منها بمقابل مادي.
 - 3- تحقيق مخطوطات اللغة، وعرضها على جهات تتولّى طباعتها مقابل مكافآت مادية.
 - 4- التعاقد مع دور النشر والطباعة لنشر الكتاب وتسويقه من خلال معارض الكتب الدولية والمحلية والمشاركات الثقافية بين الدول.
 - 5- ترجمة تلك المخطوطات إلى لغات أخرى.
 - 6- الحصول على الشهادات العليا كالمجستير والدكتوراه من خلال تحقيق مخطوطة لغوية تحت إشراف أساتذة متخصصين.
 - 7- تشكل حركة التحقيق والطباعة لتلك المخطوطات حراكاً ثقافياً بين المثقفين خاصة، مع سهولة وسائل التواصل الاجتماعي.
 - 8- تدريس تلك المخطوطات المحققة في المناهج الدراسية للمدارس والجامعات أو جعلها مصادر للتدريس والبحوث المقررة للطلاب⁷.
- قناة الاستثمار في الإعلام: إنّ لوسائل الإعلام دوراً هاماً في إعادة الاعتبار لثقافتنا ولغتنا العربية بشكل خاص، وفي التصدي لحملة التشويه والسخرية من عدم احترام قواعد هذه اللغة ومن تقزيمها، وتدني مستواها في

استعمال العاميات إلى درجة سخيفة، وإدراج مفردات بسيطة لا محل لها في الاستعمال، لا سيّما عند الإعلاميين الشّباب، فنرى الغرابة اللغوية تخرج من كلامهم فكأنّهم لم يُعدّوا لمهنة الإعلام التي ترقى باللغة ولا تُنزل بها. وما يؤسف له أنّ بعض القنوات لا تتكلّم إلاّ الهجين اللغويّ وذلك ما يزيدنا ضعفاً على ضعف. ولكن ما يؤسف له وبمرارة، فإنّ ذات الإعلامي المذيع الذي يُشبع العربيّة أخطاءً، لا يتجرأ أن يخطأ في اللغات الأجنبيّة، فيعدّ نفسه ويصحّح الأخطاء، ويتحرّز ويتحرّج قبل إذاعة ما يذيعه، فأية عقدة هذه ولماذا هذا الإسفاف اللغويّ في عربيتنا؟ وبهذا أقول: إنّ الإعلام يعتمد أساساً على اللغة في مخاطبة الجمهور، فإنّ اللغة تتأثر أيّما تأثير بالعملية الإعلامية، فقد تزداد رُقياً وقد تنهار، وكلّما ارتقت لغة الإعلام ارتقت لغة المجتمع، وهذا أمر بديهيّ مُقرّ. وليحصل هذا بالقوّة والفعل، نطرح أسئلة دور الإعلام في خدمة الشّأن العامّ؛ فنقول: هل إعلامنا ارتفع إلى مستوى حمّل رسالة الخدمة اللغوية وهي خدمة الشّأن العامّ؟ وهل إعلامنا تتجاوز مرحلة الانفصام بين الشّعارات والممارسات؟ وهل قدّم ما يُسهم في التّهوض اللغويّ وفي بناء الوعي الجماعيّ؟ كيف يُصبح الإعلام درعاً ضدّ ما يهدّد هويتنا اللغوية؟ وكيف يردّ على كلّ ما يحدق بالعربيّة باعتبارها وعاءاً للثقافة وأبرز مقومات الأمتّة؟

هي إشكالات إعلامية كبيرة تحتاج إلى الوعي بأهميّة رسالة الإعلامي حيث يشكّل دوراً في التّهوض باللغة العربيّة، وهنا تتبدّى جدلية اللغة والإعلامي في أوضح صورها في تلك المنافع المتبادلة التي يقدمها كلّ منهما للآخر. ومن هنا فإنّ السلطة الرابعة - في الحقيقة - لها تأثير أكبر من السلطة

الأولى، في ما يخصّ التحكّم في الرأى؛ هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنّ الإعلام له سلطة اقتصادية في ظلّ العولمة، وهي قوّة اقتصادية وسلطة ضاغطة، وازدادت هذه القوّة تجبراً مع انتشار قوّة الصحافة والإذاعة والتلفاز والشابكة على اعتبار أنّ الإعلام يبني البورصات، كما يعمل على إغلاء الكُلفات، أو تبخيس البضاعات... فالإعلام مؤسّسة اقتصادية تعنى بأسواق المال والإعلام، وهو نافذة لوجوه الاستهلاك والترويج والإعلان وهو كذلك واجهة للثقافة والفكر والفنّ والسياسة، وهو فاعل في التأثير على الجوانب التربويّة والإنسانيّة العميقة، وهو متّصل بالأفراد جميعاً في المجتمع على اختلاف اهتماماتهم واختصاصاتهم وأعمارهم⁸. إذاً ينال الإعلام في تلك القنوات مكانةً هامةً فيفعل فعل الخميرة، فهو "محور اقتصاد الكبار، وشرط أساسي لتنمية الصغار، وما يؤكّد محورية الإعلام في حياتنا المعاصرة ذلك الاهتمام الذي تُحظى به قضايا في الفكر الفلسفي والتّفسير الثقافي المعاصر محافظاً كان أو ثورياً حدثياً كان أو ما بعد الحدثي⁹". ومن هنا، فإنّ هذا الدّور الهامّ لو يقع استثماره في تطوير وسائل الإعلام؛ بالحرص على أن تقدّم صورة مشرفة للعربيّة أمام النّاس؛ عن طريق حسن الأداء للحوارات والمسلسلات والتّمثيلات باللغة الفصيحة، وفي تحرير الأخبار والبرامج الثقافية والعلميّة والتّعليميّة، وفي إذاعتها وتقديمها للمشاهد والقراء والاستثمار في عقد دورات تدريبيّة وتعليميّة للمذيعين والمذيعات، ومُعدي البرامج المتنوّعة الخاصّة بالمهارات الأساسيّة في اللغة يُجب مراعاة الأوضاع الكونيّة والطّموحات الاجتماعيّة عن الاستثمار في اللغة العربيّة ويجب أن يكون أهمّ ما يشرئب إليه المستثمر هو ضمان الإبلاغ والإقناع والتّواصل في

المنطوقات أو المكتوبات العربيّة؛ بحيث تظلّ الحيوية المتوقّعة قائمة ودائمة بين المنتج والمُستفيد. وأما في ما يتعلق بشعائر الله وشرائع الدين الإسلامي عند الحديث عن الاستثمار الدّولي في اللغة العربيّة، فلا بدّ من ضبط أوضاع النّاس البينية وأعرافهم الموروثة وأحوالهم الشّخصية إحقاقاً لمصالحهم العامّة قبل الخاصّة، وإحكاماً لامثال أوامر الله فيهم، واجتناب نواهيهِ بالتدرّج ويشكّل الانجذاب الشّدة والعنف والإكراه أو القساوة أو الاضطهاد وبدرجة لا تسلب الإسلام حرمة التّالدة المعتمدة²⁰. بالفعل للإعلام دور في توجيه الرّأي العامّ ألا يمكن أن يُسهم في القضاء على الأمية، ويزيد من مساحة الوعي، ويدرّ على اللغة العربيّة أساليب جديدة، ألا يمكن أن يقع استغلال القنوات النّاطقة بالفصيحة لبناء ثقافة الإعلام المبني أو المُعَلّي، ثقافة بناء المعلومات التي يزداد ثمنها يومياً؛ حيث هي سلعة استثماريّة تعمل على التأثير والتوجيه لو يقع استغلالها. وقد خلصت اللّجنة الوطنية الأردنيّة للتهوض باللغة العربيّة إلى "إذا كان الإعلام بهذه الخطورة، وكانت اللغة أدواته، فإنّه لمن الجدير بالاهتمام والبحث في رصد لغة الإعلام، ومحاولة تلمّس ما طرأ عليها وما طرأ عليها من تغيير في التعابير، والأساليب والظواهر وما أخذ يعترئها من لحن، وابتعادها عن المستوى المقبول في الصّحة والمقبولية، ثمّ تقديم رؤية حول كيفية الارتقاء بالعربيّة في وسائل الأعلام". هكذا الإعلام يمكن الاستثمار فيه؛ علماً أنّ التمكين للغة لا يحصل إلاّ بهذه القنوات الهامّة، ألم يقل صلاح الدّين الأيوبي لجنوده "إنّ انتصاركم لم يكن ليحصل لولا قلم القاضي الفاضل" فتأملوا ذلك الربط بين اللغة والسيف، وأنّ اللغة تتحكّم في السّيف؛ حيث يمكن أن تترك السيف في

غمده، كما يمكن أن تميله للجهة التي وجّهت له. ولذا يجدر التركيز على ضرورة الاستثمار في لغة المذيعين والإعلاميين والمُشرفين تعتمد المؤسسات الإعلامية لتحقيق أرباحها الاستثمارية بشكل أساس وبديهي على توسيع رقعتها الانتشارية. وبالحدّث عن خدمة ترجمة البثّ المباشر، فهي تستهدف المشاهد الناطق باللغة الإنكليزية في العالم الغربي، ونعرف أنّ أعداداً كبيرة من العرب والمسلمين يعيشون وقيمون في الغرب؛ البعض لا يتكلم العربية والبعض الآخر يتكلمها دون إتقان، ولكن هذه المسألة؛ أي إتقان اللغة من عدمها لا تتعارض مع تبني الكثير منهم لمواقف يعكسها الإعلام العربي أكثر من الإعلام الغربي بحكم أنّ الإعلام العربي - كما يفترض - يصوّر نبض شارع أكثر مما يفعل الإعلام الغربي^{1 2}. وهكذا لو يقع الاستثمار في لغة الإعلام، ألا يعمل ذلك على رفع مستوى الأداء اللغوي، ألا يحصل تقريب بين المستوى المتقعر والمستوى الفصيح، ألا يعمل ذلك على التصحيح اللغوي وتفادي الأخطاء ألا يكون ذلك مدعاة إلى نيل صحافينا المكانة اللائقة في الإعلام المحترّف.

- قناة الاستثمار في خطبة الجمعة: إنّ نجاح خطبة الجمعة تعتمد على مضمونها المرتبط بالشواهد، بالإضافة إلى حسن الأداء. ولهذا نريد إماماً واعياً بإعداد خطبة الجمعة تُناسب الدين الإسلامي ومقام المسجد والحضور وبذلك تتشرّف العربية. ولهذا، على الإمام مُراعاة الاستهلال الموزج والمُعبر ثمّ الوضوح وحسن الإلقاء، وعدم الوقوع في الأخطاء وهذا كلّ من العوامل التي تعمل على استقطاب المُصلين عرباً كانوا أو غير عرب، ناطقين بالعربية أو باللغات الأخرى وعليه، كان الوعي بضرورة "تطوير المناهج منذ مراحل

التعليم الأساسي، وتطوير المعلمين الذين يتولون التعليم في المرحلة الأساسية على يد فئة أكثر وعياً وثقافة بالمناهج والأصول من خريجي معاهد وكليات التربية، وتطوير المدارس على أساس الساحة الدراسية؛ بإنشاء نماذج تطبيقية ووسائل إيضاح ثابتة ومبنية داخل تلك الساحة، وتطوير التلاميذ مع تطوّر الإنسان ووجود وسائل التعليم والثقافة المتطورة في متناول الجميع وعلاج المشاكل التعليمية ومنها الدروس الخصوصية فهي ليست مشكلة تعليمية فحسب بل هي مشكلة اقتصادية واجتماعية وأخلاقية وقيمية وتطوير التعليم يضمن القضاء عليها قضاء مبرماً^{2 2}. وإنّ اللغة الفصيحة تحصل عبر طرائق عديدة، ولكنّ الطريقة المثلى هي الطريقة الفطرية التي يكتشف فيها الطفل قواعد لغته، ويشبك في ما بينها بصورة تلقائية (ممارسة عفوية) ثمّ طريقة المعرفة اللغوية التي تحصل في المدرسة عن طريق التدريس (ممارسة محضّة) ثمّ التطبيقات الدائمة والملازمة لكلّ آليات القواعد. ومن هذا الباب نحن بحاجة إلى الاستثمار في تلك الناشئة الصّغيرة التي تقصد الكتاب لتتعلم بعض الآيات والأحاديث، في تلك الوقفات القرآنية وفي التجويد ونطق الحروف نطقاً صحيحاً... وكلّها من الممّهّدات للإتقان اللغويّ الذي يساعده في المراحل التعليمية اللاحقة. ومن هنا، تكمن براعة الإمام في كونه قدوة في أداء الصّوت اللغويّ وفي التلوين فيه للتأثير على نفسية المتلقين أثناء توصيله الدّروس أو الخطبة المسجدية. ولهذا نحتاج إلى إمام مدرّس يعرف كيف يستثمر في هذه الناشئة؛ لأنّها الجهاز القاعدي الذي يحمي أمننا اللغويّ. نحتاج إلى إمام يعمل بطريقة (عبد الله الدّنان) في تعليم العربيّة بالفطرة والممارسة، وإلى تجربة (باسل) التّاجحة، إلى إمام يقوم على تأسيس قاعدة

ضبط لغويّة في العربيّة. ولماذا وقع التأكيد على تجربة الدّنان؟ لأنني أعرف نجاح هذه التّجربة التي أعطت ثماراً أولية في البرنامج المعروف (افتح يا سمس) وهو استثمار في اللغة الجامعة؛ يعني استثماراً في لغة القاعدة التي تعني بناء لغة الطّفل. وما عرفه هذا البرنامج من نجاح، عرفه برنامج (طيور الجنّة) وكذلك برنامج (حديقة التّحوي) فكانت هذه البرامج تركز على حسن الأداء والضّبط العلمي الدّقيق واستعمال الكلمة في مكانها، ومعرفة متغيّراتها، وأضدادها، واستعمالها في مختلف المقامات والأساليب، ونعرف ما تشكّله اللغة من أهميّة خاصّة في هذا الطّور.

- قناة الاستثمار في الترجمة: أرى أنّ الاستثمار المُستعجل في الترجمة يكون عن طريق الأخذ من اللغات المتقدّمة إلى العربيّة، ومن العربيّة إلى اللغات الواسعة الانتشار، وبخاصّة اللغات المعتمدة لدى الهيآت الأميّة باعتبار الترجمة وسيلة المعرفة، ولها أثر إيجابي على تنمية الاقتصاد الإقليمي ونحن نتعامل مع هؤلاء الكبار، فهم الآن يُسيطرون على العالم بلغاتهم وبما لهم من مقام في الأمم المتّحدة، أضف إلى ذلك ما له علاقة بالقطاع السّياحي واستقطاب الاستثمارات الأجنبيّة. ولهذا، فالمسألة تُعالج عن طريق الدّول العربيّة التي كان عليها وضع استراتيجيّة في الترجمة تخدم اللغة العربيّة وثقافتها عن طريق بناء مشاريع الترجمة على الآماد الثلاث؛ تحدّد فيها خطّة عمل استراتيجيّة؛ تلحظ فيها أهمية اللغة والترجمة في بناء الأمة العربيّة ضمن برامج قوية. وعلى الدّول العربيّة تحمّل مهنة المترجم والتّحكّم فيها بإخراجها من المترجمين الذين غالباً ما يلبّون طلب الزّبون، دون مراعاة الجودة، وسعيّاً إلى تحقيق الرّبح الماديّ، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، على

الدول العربيّة أن تنشئ مركزاً يهتمّ بالترجمة وتضع فيه شروط النقل الانتقائي بما لا يسيء إلى العربيّة، وترسم فيه سياسة أمن لغويّة تسمح لها بالتسلح اللغويّ في عصر أضحت فيه الكلمة حارةً وصعبةً وقاطعةً.

إنّ الترجمة استثمار قديم معاصر، والمتقن للغة الثانية تدرّ على صاحبه تحسناً اجتماعياً، ويكثر عليه الطلب، بل تُطلّعه على أفكار الغير، فيكون أفضل من المتقن للغة الواحدة، ولهذا، فنحن لم نستثمر في هذا الباب، وكم نخسر يوماً بسبب عدم الاهتمام بالترجمة، والتردد في تعريب التعليم العالي ومن هذه الخسائر نرى:

- 1- تأخر أمتنا علمياً وحضارياً، وتقدّم الأمم الأخرى علينا.
- 2- وتشتت طاقات علمائنا في غير لغتهم الأمّ، فلا إبداع إلاّ عبر اللغة الأمّ.
- 3- وظهور التّبعية في التّعليم الجامعي الأعمى غير المجدي.
- 4- وهجرة العقول العربيّة المبدعة إلى الخارج وخسارة الأمّة لها.
- 5- وانقطاع الصّلة بين حاضر الأمّة وتراثها العلمي، فتصبح الأمّة بلا ماضي.

- 6- وانعدام الإبداع العلمي؛ لأنّه لا يتمّ إلاّ باللغة الأمّ.
- 7- وركود حركة التّأليف العام في العربيّة وعدم تطويرها.
- 8- وانحراف الأمّة عن الأهداف السّامية في تدريس العلوم.

9 — ودراسة بعض المواد العلمية التي لا تنبع من مشكلاتها الاجتماعية^{2 3}.

وهكذا، يُلاحظ على السوق الاستثماري للترجمة عند العرب في أنه ليس في نمو يُوازي التقدّم المعاصر، وما هو موجود لا يعالج المسائل الحديثة، ولا تحصل الترجمات العلمية إلا في القليل القليل، وما يُترجم لا يحصل إلا من لغتين فقط، ولذا لم تكن الترجمة عملية مُربحة.

يمكن للترجمة أن تكون عملاً مُربحاً ينشدها المختصّون لكسب المزيد من الأموال، عندما نجعلها عصب الحياة الحديثة، ولذا، فالمطلوب الاستثمار فيها عبر إتقان العربيّة وإتقان اللغة المترجم منها، والإلمام بالعلوم العصريّة. وفي هذه النقطة نقول: إنه من الضّروري أن يقع الاستثمار في التّعريب، وهو باب من أبواب الترجمة الواسع؛ يعني أن تنال العربيّة موقعها الطّبيعي، ولكن لا يعني الانغلاق، فلا ننسى ضرورة إتقان لغة علميّة واحدة، ولتكن الإنكليزيّة لأنّها لغة العولمة، ولغة العلم المعاصر، وعلى المترجم أن يجمع بين إتقان لغته الأمّ، واللغة الإنكليزية والنّص الذي يريد أن يترجمه أو يعرّبه. ولقد أصبحت الإنكليزية الآن تشر في ذاتها؛ حيث لها صدى متمكّن، وهي لغة المعرفة من خلال حجم المخزون المعرفي المتوفّر فيها فقد تنامي نفوذها مع العولمة، وظهرت أهميتها لما لموقعها في العلوم، وطبيعة المواد المادية وغير المادية. وتتوفّر بعض اللغات على العلوم، ولكن إذا لم تمر على قناة الإنكليزية لا يصبح لها مقام ونراها الطّريق الحصري إلى المعرفة وبالتالي هي طريق التّنمية، ومع هذان فلا نقول: إنّ التّحكّم في الإنكليزية

هو الحلّ، بل من الضروري تعلّم لغات أخرى، وبخاصّة اللغات الوطنيّة لأنّ التّنمية لا تكون بغير اللغات الوطنيّة.

وإنّه بإمكان الترجمة أن تعمل على تحريك الطاقات الشبه نائمة لتصبح عمّالة نشيطة؛ تُسهم في الاستثمار البشري وفي الاستثمار في: الترجمة/ الترجمة الآلية/ إنتاج البرمجيات/ سدّ الفراغات في محرّكات البحث/ سدّ الفراغات في برامج الكتابة مثل المدقّق اللغويّ/ حوسبة المعاجم، وفي البرمجيات العاملة على الحرف العربي وأجهزة الكيبّاتار وما لا شكّ فيه أنّ حقل الحوسبة والبرمجيات المتعلّقة بالتّطبيقات اللغويّة هو حقل استثماري خصب ومورد اقتصادي مهمّ، لكنّه مُعطلّ أو شبه مُعطلّ في ما يتعلق باللّغة العربيّة وتطبيقها. والعالم العربي اليوم عليه أن يلتفت بجديّة إلى هذا الرّافد الاقتصادي، فسيكون يوماً إن صحّت التّوقّعات عصب الاقتصاد العالميّ والمشروعات الاستثماريّة التي تنحو هذا المنحى، هي في حاجة إلى قدرة اقتصاديّة تمويليّة عالية ومن ثمّ عقد شراكات اقتصاديّة بين القطاعين العامّ والخاصّ للتهوض بهذه التّوعيّة من الاستثمارات ومواكبة الطّموح الحوسبيّ والبرمجيّ والاقتصاديّ العالميّ^{2 4}.

- قناة الاستثمار في السياحة: تُعدّ السياحةُ واجهةً البلد، وهي ميدان ثري بإمكانه أن يدرّ كثيراً من العُملة الصّعبة إذا أحسن استغلاله، كما أنّ السياحة صناعة خدماتيّة، فتحتاج إلى لغة خدماتية وتحتاج إلى تطويرها واستعمالها حتى تبلغ الهدف. ولهذا، فاللغة يمكن أن تأخذ حيزاً في القطاع السياحي في تحقيق تنمية سياحية فعّالة؛ تتفاعل مع الموروث التاريخيّ والثّقافيّ للبلدان العربيّة التي لها مواطن سياحية كبيرة ومتنوّعة: جبال/

صحاري/ متاحف/ آثار/ أماكن تاريخية/ مكتبات/ نادي/ دور الثقافة/ القصور/ آثار تاريخية، وبمعناه العلمي؛ فهي ظاهرة ثقافية وتنموية، رغم ما تعانيه الدول العربية من ضعف الهياكل ونقص آداب الضيافة والمعاملات وآداب الديوپلوماسية وخدمات رديئة، ووسائل عتيقة، إلا بعض الخدمات في مصر وتونس والمغرب ودبي. فالبلاد العربية ليست في مستوى تقديم الخدمات بصورة جيدة ومتقنة، ولهذا تعطلت العربية في السياحة العربية، ولا تنافس اللغات الأجنبية، لما لأفواج السياح ليسوا عرباً، والسياح العرب قليل، أضف إلى ذلك أن تبعات السياحة اللغوية ناقصة، بدءاً من الدليل والخرائط العربية والأدلة الجيبية وأدلة الترجمة كلها تُعدّ باللغات الأجنبية ولم نفكر ذات يوم أن يكون ذلك باللغة العربية. كما لم نعمل بالطريقة المالطية أو التركية، فكل الأدلة بلغتها، واللافتات في الأماكن السياحية بلغتها وبذلك تترك السائح يتدبر أمره، إن لم نقل إنه يستعمل لغة البلد مُجبراً ويعود إلى بلده حاملاً الكلمات والمسكوكات اللغوية، وذلك مكسب إضافي للبلد؛ في أنه عمل على نشر لغته عن طريق السياحة، وما ينطبق على الشارع ينطبق على الخدمات الملحقة في: الطيران، وفي الفنادق وفي الشوارع...

لا أركز الحديث في واقع استعمال العربية في السياحة العربية، فهو واقع مهترئ، بقدر ما أستهدف سبل النهوض باللغة العربية في المؤسسات السياحية، ولا يعني الانغلاق على العربية بل لا بدّ من استعمال اللغات الأجنبية، وهذا يعني إظهار منتوجنا السياحي، والتعريف به، ولكن دون التفريط في لغتنا العربية، وجعلها تنافس اللغات، وبداية تحضير الاستثمار في المعاجم الآلية الجيبية في المصطلحات وفي المسكوكات اللغوية المتقابلة، وفي

الخرائط الأثرية، وخطوة وراء خطوة يخرج قطاع السياحة من التهميش وتكتسب العربية أهمية لا في بلادها، بل يمكن أن تنال موقعاً حتى في البلاد الإسلامية وفي الأندلس، ولا يكون ذلك إلا عبر استراتيجية سياحية لغوية تهدف إلى التهوؤ بالغة العربية، وتمكينها في القطاع السياحي، وأصم صوتي للذي يقترح:

1- وضع سياسة لغوية سياحية واضحة على الصعيد العربي، وإصدار القرار السياسي اللازم لتطبيق هذه السياسة وفق تصوّرات نظرية وتطبيقية.
2- توفير منظومة قانونية تُلزم استعمال اللغة العربية في المجالات السياحية ومطالبة الشركات الفندقية العالمية العاملة في البلاد العربية بوجوب التعامل بالعربية أولاً، ثم باللغات الأجنبية.

3- إعداد معجم عربي جامع لكلّ المصطلحات السياحية على غرار معاجم اللغات الأجنبية الأخرى؛ بحيث يشمل تعريب الألفاظ، والأسماء والمعاني، والمفاهيم، والأمثلة، والتماذج والرؤى، والحوارات، حتى يمكن استثماره بفعالية في التنمية اللغوية، ويستوعب كلّ الموضوعات المتداولة في الفنادق والمطاعم ووكالات السفر، والإرشاد السياحي، وفي المطارات والقطارات والأسواق والبنوك.

4- ضرورة استحداث مصطلحات سياحية عربية في كلّ ما يتعلق بالخدمات السياحية (شباب إيواء، نقل، مشتريات...).

5- ترجمة المراجع الأجنبية المتخصصة بالفكر السياحي إلى اللغة العربية وذلك لما للترجمة من إغناء وإثراء للغتنا ومعارفنا وثقافتنا وتسهيل الاطلاع

على ما أنتجه الفكر البشري دون الحاجة إلى إتقان اللغات الأجنبية التي كتبت بها.

6- فتح آفاق البحث اللغوي الخاص بالسياحة، ولا سيما في الجوانب التطبيقية والوظيفية.

7- العمل المشترك بين كل من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ألكسو (Alecso) والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو (Iesco) ومنظمة السياحة العربية، والمجلس الدولي للغة العربية والمجامع اللغوية، والجمعيات العلمية المعنية باللغة العربية، والأجهزة العربية الوزارية المتخصصة، ومركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بغية الدعوة إلى استعمال اللغة العربية ونشرها في القطاع السياحي.

8- التنسيق مع الشركات التقنية والبرمجيات من أجل تعريب وتطوير الأنظمة الإلكترونية بالحجوزات في المنشآت السياحية والسلاسل الفندقية.

9- اشتراط إتقان العاملين الأجانب في المنشآت السياحية للغة العربية بالحد الذي يُمكنهم من التعامل مع محيطهم، وتطوير البرامج التعليمية اللغوية لهم²⁵.

- **المبحث الخامس: تحقيق الأمن العام:** إن تطور اقتصاد المعرفة يتطلب

تربية العقل الإنساني تربية مدرسية شاملة قادرة على استخدام المعرفة والبحث عن حماية أطفالنا من الوقوع أسرى ثقافات غير عربية ولهذا، فإن التمكين اللغوي للغات الوطنية هو المدخل الأساس لإعداد الفرد الصالح وتحقيق فاعليته الإنتاجية، وأمنه اللغوي، وفي هذا يدخل استعمال اللغة الأم الذي هو تحقيق الأمن الفكري للفرد وللمجتمع، ولكن كيف تحقق العربية

الأمن العام؟ كان لا بدّ من استراتيجية جدّ متطوّرة للتغلّب على الأمية والجهل، وتعميم التعليم المجاني على كلّ فرد من أفراد البلاد العربيّة. وفي هذا يدخل مخاطبة التّاس بما يفهمون، ومعاملة الإدارة بلغة القوم، وعدم خلق التّخويّة بإعلاء اللغات الأجنبيّة. ولهذا نرى ضرورة عدم تغييب العقل في التّعامل مع اللغات وعدم تهميش اللغة الأمّ (العربيّة الفصيحة) لدى المجتمع، وعدم تبخيس اللغات الوطنيّة. وأمام وضعنا الحالي، فإننا بحاجة إلى تفادي خطر الفكر السّليبي، ومن الضّروري تحقيق عوامل التّفكير الإيجابي ليحصل تحقيق الأمن؛ والذي هو استثمار إيجابيّ في المواجهة بالحلول الجذريّة للمشاكل اللغويّة، وهذه الحلول يمكن إجمالها في:

1- الاستثمار بالقوّة في اللغة الأمّ.

2- الاستثمار في اللغات الوطنيّة.

3- الاستثمار في لغة أجنبيّة واحدة راقية علمياً.

4- العمل على تحقيق وظيفة اللغة الرّسمية.

وإنّ التمكين اللغويّ ضروري ومُستعجل؛ لأنّه يعني الاستثمار في الفكر والوعي وفي العلم والثّقافة، وفي تنمية الإنسان، كما يعني الاستثمار في تحقيق الإنتاجيّة المطلوبة في واقعنا المعاصر. ولهذا، نروم وضع سياسات، وسنّ قوانين، وإعداد أنظمة من شأنها العناية التامة باللغة الجامعة وبذل الاستثمارات الضخمة وبلا تردّد في مشاريع خدمة العربيّة ووصولاً إلى إصلاح تعليم اللغة العربيّة، وإعداد معلمها إعداداً جيّداً وتأهيلهم تأهيلاً أكاديمياً، وتعريب التعليم في كلّ مراحلها وإعداد استراتيجية شمولية لتعميم

استعمال العربية، وتحديث المعجم اللغويّ وتفعيل المؤسسات المجتمعية وفق آليات العصر، وإنشاء هيئات وطنية تنتج المشاريع وتعمل على تجسيدها في واقع الأمة العربية. وإنّ كلّ هذه الأعمال تعني في ما تعنيه تحقيق الأمن العامّ، وهو تحقيق الأمن الفكريّ للفرد والمجتمع، ولهذا يجب إدراك مغزى تلك المقولة التي ترى بأنّ الأمة تضعف بضعف لغتها، ومعنى الضعف هو ضعف في فاعليتها، ويعني ضعف في انسجام المجتمع، وضعف الانسجام يعني خلق قلاقل وطنية ويعني اللاأمن.

- دور رجال الأعمال العرب في الاستثمار في اللغة العربية: أُنحوا في هذه النقطة منحى مُناشدة رجال الأعمال العرب، بأن يكون لهم مبدأ الاستثمار في اللغة العربية من جوانبها المتعدّدة: الوطنية والقومية والحضارية والاقتصادية، لا أن يُقارنوها بالإنجليزية، ولا بلغات العلم الأخرى والأحرى بهم أنّ بعض السلع تحتاج إلى اللغات الأجنبيةّة، وبعضها إلى اللغات المحليّة فقط. ومن هنا، فيكون لهم المبدأ الوطني الذي يعدّ اللغة العربية الرأسمال البشري العربي، ويتعاملون بتلك اللغة؛ ليكون لها عائد اقتصاديّ ومردود وطنيّ، والأحرى الاستثمار فيها بقوة؛ لأنّها عامل التّهوض المستقبلي وليكن أهم من الحافز الذي يقوم به أرباب الأعمال في إسرائيل، فهم يدفعون سنوياً مبالغ ضخمة من أجل الاستثمار في العربية ويدفعون ذلك بطواعية ورضا، كما أنّ الشركات الوطنية العبرية تُسهم بقسطها، وكذلك تدفع الشركات الأجنبيةّة المستثمرة في إسرائيل أقساطها لأنّ اليهود يؤمنون بأنّ العربية لغة ذات قيمة رأسمالية لغوية عالية، رغم أنّ زبائنهم (المستعملون) قليلون، والطلب محلي وضيق جداً، ولكن هي اللغة

العبرية المقدّسة التي لا تفريط في نظرهم، وهي لغتهم التي تميّزهم. ومن هنا أين نحن يا أرباب العمل من هذا الفعل، وأرى أن يجمعنا المبدأ العام الذي ينبغي أن تخضع له كلّ الدّول العربيّة وكلّ المجتمعات الناطقة بالعربيّة هو ألاّ تغيب العربيّة من أي مكان، وأي ميدان إطلاقاً من جهة وربط اللغة العربيّة من جهة أخرى، بالعلم والتكنولوجيا، فلا نهوض للغة إلاّ بهذا الرّابط. كما هو الحال في العصر الرّاهن؛ بحيث إنّ ما يؤخذ من الغرب الآن يبقى التعرّف إليه واستثماره قائماً باللغة الأجنبيّة عند عامّة النّاس، وفي مختلف الفئات والميادين^{6 2}. ومن هنا يمكنهم الاستثمار في عديد المجالات، بتخصيص بعض الميزانيات لترقيّة اللغات الوطنيّة.

أليس في العربيّة منفعة اقتصادية تُشجّع رجال الأعمال، وأهل الاقتصاد ورجال المال العرب على دعم لغتهم؟ بلى هناك منافع كبيرة في الاستثمار في اللغة العربيّة؛ لما لها من حضور فاعل في الوقت المعاصر، ونودّ من رجال الأعمال العرب أن يأخذوا هذه المسألة في باب خدمة الشّأن العامّ. فلم لا يوجّهون إلى تحقيق أموال في خدمتها عن طريق اقتراح مشاريع تعود عليهم بالفائدة أولاً، من مثل: سنّ جوائز ومكافآت مالية لمن يقدم أحسن عمل في تطوير العربيّة، تغطية نفقات الندوات والمؤتمرات إرسال الطّلبة في منح علمية للخارج.... ولو يعلم رجال الأعمال العرب ما في آفاق الاستثمار في اللغة العربيّة من منافع، لما تأخّروا في تقديم المشاريع بل يبادروا في وضع استراتيجيات تعمل على الاعتزاز بها، ويقترحون مشاريع الاستثمار في السّياحة بمختلف وجوهها: الدّينية/ السّياسيّة/ الثّقافيّة/ العلميّة... وإلى تسخير القنوات الإعلاميّة لتحفيز الأجنبيّ على حبّ العربيّة، ونهج منهج

التقارب التّفعي في أيّ عمل استثماريّ معاصر ضمن مبادئ التجارة:
استثمار = ربح لا خسارة.

ما رأي رجال أعمالنا لو يتولّون المهمّة، وينشؤون مشروعات لغة رجال الأعمال، ألا يُسهّمون في التّغلب على التخلّف، ألا يطوّرون البنية التّحية لبني ذويهم، ألا يعطون المردود التّفعي للبشر في الترقية الاجتماعية. ولكن يبدو لي بأنّ رجال / أرباب الأعمال عندنا معذورون، يحتاجون إلى التّقة في اللغة العربيّة التي لا يسمعونها، وليس لها موقع في لغات العالم فهم لا يستثمرون أموالهم في شيء مجهول العواقب، وبالطّبع؛ فالرّأسمال الجبان لا يُغامر ولا يُقامر لصالح أمر غير مضمون بينما رجال الأعمال في الغرب يستثمرون في اللغات الوطنيّة وفي تعليم اللغات الأجنبيّة، وفي إنشاء المدارس، كما يستثمرون في إنتاج أنظمة الواب web وفي برمجيات التّعليم وبرمجيات التّرجمة الآليّة، فهم يطلقون برامج، ويفتحون برامج. وإنّ رجال الأعمال في الغرب هم الذين استثمروا في برامج: (Sesame Street) وبرنامج (تكيّف أو متّ Adapt or die) وبرنامج (المعرفة قوّة) ... وهم يؤمنون بأنّ التّعليم المتميّز يمكن أن يحدث تحوّلاً في حياة النّاس، فهم تواقون لمواجهة التّحديات والمغامرات، ولهذا يوجّهون شركاتهم في منح المال من أجل البرامج المتطوّرة.

- **الخاتمة:** عليّ تأكيد مسألة اللغة بأنّها وسيلة لتحقيق فوائد رجيّة، كما تكسب مزيداً من المستعملين والنّاطقين، كما تعمل على تحقيق أهداف حينية ومستقبلية، فاللغة العربيّة تابعة لمتوجنا: الغاز/ الفوسفاط/ الشّمس/ الپترول/ المناجم/ اليد العاملة... اللغة العربيّة رابع لغة متداولة في العالم

ولغة 1،8 مليار من البشر، وهي موجودة في كلِّ القارات، ولغة 140 مليون من مستعملي الشّابكة، وتحوز الرّتبة الثّانية في الشّابكة، وينطق بها 580 مليون من أهلها، وبلاد العرب تحتلّ الرّتبة الأولى للجاليات الآسيويّة. فالعبرة الأولى، من كلّ هذا من الضّروري الاستثمار في العربيّة بغرض تعزيز الهوية والانتماء، واتقاء حرب اللغات، ونشر الدّين، وتبادل الجوانب الاقتصاديّة، كما يمكن أن يكون الاستثمار لأغراض علمية أو إلحاقية. والعبرة الثّانية، في وقتنا الحالي من بريطانيا وتدرّ عليها الإنكليزية في الدّاخل ما لا يعطيه الپترول في دولة عربيّة لها الرّتبة الأولى في التّصدير. فالپترول زائل، واللغة العربيّة في زيادة وعليها يكثُر الطلب. والعبرة الأخرى، فلو أنّ الدول العربيّة عملت بمبدأ:

- اشتراط إتقان قدر مناسب من اللغة العربيّة للعمالة الوافدة إلى البلدان العربيّة؛

- افتتاح مراكز ثقافيّة في السّفارات العربيّة؛ تقدّم فيها دورات تعليميّة باللغة العربيّة للخبراء والمتخصّصين الرّاغبين في العمل في الوطن العربي مدفوعة الأجر؛

- اشتراط ترجمة كلّ ما يكتب على البضائع المستوردة إلى اللغة العربيّة وعدّ هذا المطلب شرطاً للتفاعل التجاري مع الشّركات والدّول المصدّرة ولا أحسب أنّ دولة أو شركة ترفض هذا الطّلب، وتُفترط باستثمارات ضخمة مقابل مطلب صغير لا يُكلّف مبالغ ضئيلة^{7 2}. ماذا تكون النتيجة؟ لا شكّ أنّ تغيّرات في البنية العربيّة تحدث، وأنّ عوائق عدم الإقلاع تزول وسيحصل التّهوض. ولكن هل أولت الحكومات العربيّة الصّدارة للغتها العربيّة

الجامعة؟ و يبقى السؤال مطروحاً. والعبرة المشكلة لو أنّ دول الخليج تشترط على العمالة الأجنبية إتقان العربية على كلّ عامل يريد العمل في البلاد العربية، ليكون ذلك للعربية فتح كلّ من: الهند والبنغلاديش والفلبين وسريلانكا والصّومال وإندونيسيا وماليزيا والحبشة... ولكن لا يحدث هذا للأسف، بل يشترط على العمالة الأجنبية إتقان الإنكليزية وليس العربية، ولذلك يتعلّمون الإنكليزية في البلاد العربية، وكذلك تعمل شركات الطيران التي تستقطب الطيارين والمضيفات الآسيويات، ولا تقبل بالمضيفات العربيات، فإما للمصيبة فكيف يمكن الاستثمار في العربية والعرب يهجرونها. إنّ العربية لغة مثل اللغات تأخذ وتعطي، تقبل الاستثمار، وتعيش بالاستثمار، تقبل الترقية وتقبل المشاريع. ومن هنا، فإنّ التبعيّة علينا أفراداً ومجتمعات ودولاً، فهل حرصنا على أن تعود العربية إلى وضعها وإلى استعمالها في بلدانها. إنّ العربية تئن، وتحتاج منّا إلى الاستثمار بكلّ ما يعني الاستثمار من دلالة ومعانٍ، تحتاج إلى تمكين يعمل على تحسين الاقتصاد وبها ومن خلال المشروعات التعليمية الرّجحية وغير الرّجحية وتكون متاحة للجميع، والعمل في فرق لجعل عمليات التعلّم تحدث بطريقة فاعلة لا منفعة، وبنظام مُصمّم بدقّة قادر على تعزيز نتائج التعلّم.

المراجع:

- ¹ - ينظر كتابي (الاهتمام باللغة الأم - العبرة من الفرنسيين-) . الجزائر 2017.
- ² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. القاهرة: 1972، الجزء 1، مادة (شمج).
- ³ - جوزيف أنطوان+ ماري كاييو هوار، قاموس الأسواق المالية، تر: آمال ليلي بربيس. الجزائر: 2010 مطبعة Eurl Pages Bleues. Internationales De Boeck
Université Belgique.
- ⁴ - رئاسة الجمهورية السورية، الموسوعة العربية، ط1. دمشق: 2000، هيئة الموسوعة، المجلد الثاني، ص 76.
- ⁵ - حسين بن علي الزراعي "الاستثمار في اللغة العربية من خلال اقتصاديات اللغة" منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض: 2015 سلسلة (مباحث لغوية) ص 14.
- ⁶ - عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية بحثاً عن بيئة طبيعية عادلة ديمقراطية وناجعة. بيروت: 2013، دار الكتاب الجديد، ص 249 - 250.
- ⁷ - عبد الرحمن عبد الهاشمي+ فائزة محمد العزاوي "استثمار نظام اقتصاد المعرفة في الجودة الشاملة لتعليم اللغة العربية" كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2014، أعمال المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 15.
- ⁸ - محمد بن حسن الزبير "الاستثمار في اللغة العربية لتحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع" كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2014، أعمال المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 513.
- ⁹ - يونس بلحسن استعمال اللغة داخل الوسط الاقتصادي (الأسواق الممتازة أنموذجاً) كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2015، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، العدد 8، ص 576.

- ¹⁰ - زينب جابر الاستثمار في الترجمة؛ استثمار في العربية. تداعيات استراتيجيات الترجمة على اللغة واقتصادها كتاب المؤتمر. الإمارات العربية: 2014، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 263.
- ¹¹ - فلورياس كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة. الكويت: 2000 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 263، ص 9.
- ♥ - أشير بأن المجلس الدولي للغة العربية قد عقد مؤتمره السنوي الثالث في دبي عام 2014 تحت عنوان (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي). وقد أفدت من تلك المجلدات الست التي خرج بها المؤتمر.
- ¹² - سلمى عطا الله أستثمار اللغة العربية في تعليم الناطقين غيرها كتاب المؤتمر. الإمارات: 2014 المؤتمر الدولي للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 6، ص 151-165 (بتصرف).
- ¹³ - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مجلة العلوم. الكويت: 2015، المجلد 31، العدد: 1/2، ملف (التعليم في العصر الرقمي) ص 13.
- ¹⁴ - أبو شنب/ ميساء أحمد، تكنولوجيا تعلم اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم الأساسي. دمشق: 2008، وزارة الإعلام، ص 50 وما فوقها.
- ¹⁵ - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مجلة العلوم. الكويت: 2015، المجلد 31، العددان 1/2 ص 24.
- ¹⁶ - فلورياس كولبارس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة. الكويت: 2000 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 263، ص 86.
- ¹⁷ - إبراهيم بن حسن بن سليمان البلوشي أستثمار التراث اللغوي المخطوط (المخطوطات العمانية أنموذجاً) كتاب المؤتمر. الإمارات العربية المتحدة: 2014، أعمال المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، عدد (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3 ص 48-49.
- ¹⁸ - اللجنة الوطنية الأردنية للتهوض باللغة العربية، صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال. الأردن: 2014 (عمل فريق) ص 20.

- ¹⁹ - نبيل علي، الثقافة العربيّة وعصر المعلومات، مجلة عالم المعرفة. الكويت: 2001، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد 344، ص 265.
- ²⁰ - محمد عبد الرشيد قاموس أالاستثمار الدّولي في اللغة العربيّة لساني لا لوني وعام لا خاصّ كتاب المؤتمر. الإمارات العربيّة المتحدّة: 2014، أعمال المؤتمر الدّولي الثالث للغة العربيّة، عدد (الاستثمار في اللغة العربيّة ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 566.
- ²¹ - هند بنت سعد بن عبد العزيز الراشد أالاستثمار الإعلامي والإخباري من خلال الترجمة كتاب المؤتمر. الإمارات: 2014، المؤتمر الثالث للغة العربيّة، عدد (الاستثمار في اللغة العربيّة ومستقبلها الوطني والعربي والدول) العدد 6، ص 602-603.
- ²² - محمد السعيد عبد المؤمن أاستثمار اللغة في ضبط النظرية الثقافيّة وتوحيد الخطاب الثقافيّ كتاب المؤتمر. الإمارات العربيّة: 2014، المؤتمر الدّولي الثالث للغة العربيّة، عدد (الاستثمار في اللغة العربيّة ومستقبلها الوطني والعربي والدولي) العدد 3، ص 494-495.
- ²³ - قدرى طوقان حافظ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك. القاهرة: 1954، ص 77.
- ²⁴ - عبد الرّحمن حسن البارقي أالاستثمار في اللغة العربيّة والتقنيات الحاسوبية منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربيّة. الرياض: 2015، عدد (الاستثمار في اللغة العربيّة) سلسلة مباحث لغوية 3، ص 128.
- ²⁵ - ياسر هاشم عماد الهياجي اللغة العربيّة في مؤسّسات القطاع السّياحي، الواقع وآفاق التّمكين كتاب المؤتمر. الإمارات العربيّة المتحدّة، المؤتمر الدّولي الرّابع للغة العربيّة، العدد 9 ص 371-370.
- ²⁶ - مؤسّسة الفكر العربي، لننهض بلغتنا، ط1. بيروت: 2012، ص 285.
- ²⁷ - حسين بن علي الزّراعي أالاستثمار في اللغة العربيّة من خلال اقتصاديات اللغة مجلة مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربيّة. الرياض: 2015، عدد (الاستثمار في اللغة العربيّة) سلسلة مباحث لغوية (3) ص 22-23.

الترجمة والأزمة ♥

- **تشكرات:** شكراً للدعوة الكريمة، وهي دعوة وسام للمجلس الأعلى للغة العربية من جامعة الشهيد (حسيبة بن بوعلي) بالشلف ومن كلية اللغات الأجنبية، ومخبر تكنولوجيات الإعلام والاتصال في تعليم اللغات الأجنبية والترجمة. شكراً للفاعلين في مجال الثقافة اللغوية والتقارب اللغوي ودراسة منطوق اللغات عبر هذا العنوان، الترجمة والأزمة: حدود العلاقة وتجلياتها. شكراً للمنظمين والعاملين على استمرارية التواصل رغم الجائحة والعلماء يتواصلون ويتناسلون بمنطق اللغات. شكراً لكل الناشطين من أجل الأخذ والعطاء بين اللغات، وإحياء لسنة بيت الحكمة وتطويراً للمصالح المرسل بلغة (Lingua-Franca). في طريق الحرير وعبر العربية المعولمة في طريق الملح، حيث كان للعربية وجود ومقام وظيفي. أقف احتراماً لكل الزملاء الذين يعملون على أن يكون الفعل الترجمي حاضراً، وللأخ الزميل منسق الجلسة الافتتاحية الدكتور (هشام بن شريف) رئيس تحرير مجلة معالم للترجمة إحدى مجلات المجلس الأعلى للغة العربية.

التحية لكل الفواعل من أجل العيش معاً بتعددية لغوية مطبقة، وماذا عساني أقول، وأرى هذا البرنامج عبر الجلسات الخمس، وعلى مدار يومين بصورة مكثفة، وتحمل عناوين مغرية لفصول الترجمة، وأسماء لمعا في

♥ - ألفت الكلمة عبر وسائل التواصل المرئي عن بُعد لصالح الملتقى الوطني الموسوم (الترجمة والأزمة - حدود العلاقة وتجلياته) والذي جرت فعالياته في جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، كلية اللغات الأجنبية، مخبر تكنولوجيات الإعلام والاتصال يومي 03-04 أفريل 2021.

التبادل المعرفي، ونتمنى أن نستفيد من خبراتكم جميعاً. شكراً على هذه الأهمية لصدارة كلمة المجلس أمامكم، وهو بحاجة إليكم مستفيداً يحتاج إلى أدائكم وتوجيهاتكم، وإهداء العيوب لتحسّن أكثر. وأراني أمامكم في تقديم كلمة المجلس في هذا المنتدى التخصّصي، وإليكموها في محتويات استراتيجية يقوم بها المجلس تطبيقاً لمهامه، وهي:

أولاً: مهام المجلس ثلاث:

- 1- العمل على ازدهار اللغة العربيّة.
- 2- العمل على تعميم استعمال العربيّة في العلوم وفي التكنولوجيّة.
- 3- العمل على الترجمة لهاتين الغايتين.

ثانياً: وضع خطة على الآماد الثلاث لتجسيد المهام الثلاث، تقوم على تخطيط:

- 1- المدى السريع.
 - 2- المدى المتوسط.
 - 3- المدى الطويل.
- وهذا ضمن توافقيّة المصالح، وعبر الأهمّ فالمهمّ، وتراث المهام.

ثالثاً: إنشاء مجلّات متخصصة؛ وهي لسان حال كلّ مهمّة:

- 1- مجلّة اللغة العربيّة صنف ب.

2-مجلة معالم للترجمة صنف ب.

3-مجلة العلوم والتكنولوجيا صنف ب.

رابعاً: التخطيط لتعميم استعمال العربية في مختلف المجالات على الأمد
التاليّة:

1-السريع: 2016-2020، حلّ كلّ المسائل العالقة.

2-المتوسط: 2020-2024، عوامة وطنية للغة العربية، وتحقق منها
80% حدّ الآن.

3-الطويل: 2024-2026، عوامة عامّة لتعميم استعمال العربية وطنياً
وعربياً، وغلقت ملف التداول حول الدّسترة وما له علاقة باللغة الجامعة
ويدخل ملفّ التعميم في الثقافة الوطنية وهي مقومّ وطنيّ وعربيّ وثقافيّ.

خامساً: تخطيط الأمن اللغويّ: ويكون عبر تحقيق سلّم الأولويات:

- ربح سباق الحدائثة؛

- الانغماس اللغويّ؛

- التّرجمة الآخذ فقط إلى غاية 2024؛

- تحقيق أمن المعلومات.

سادساً: تخطيط العطاء اللغويّ عبر تصدير العربية للّغات الأميّة عبر

منتوج المجلس:

- الأدلة الوظيفية؛
 - بناء المنصات الرقمية؛
 - بناء المكتبة الرقمية؛
 - بناء المكانز اللغوية؛
 - تحقيق مرونة التبادل المعرفي مع اللغة الوطنية.
- سابعاً:** تخطيط استراتيجية عولمة العربية بالمنفعة اللغوية، وذلك عبر تحقيق بناء الثقة اللغوية مع تراتب اللغات:

- اللغة الانكليزية
- اللغات الشرقية
- ← العربية
- ▲ الفارسية

ثامناً: بداية التحضير لاستراتيجية عولمة قادمة بدءاً من سنة 2030 ويكون تحقيق لغات العولمة الأربع.

1- الإنكليزية.

2- العربية.

3- الإسبانية.

4- الصينية.

وفي هذا يكون تحقيق مقام العربية وفق الآتي:

- عولتها عربياً؛
- عولتها أفريقياً؛
- إعادة بناء طريق توات ← جنوب أفريقيا عبر ميناء الحمدانيّة
بشراكة صينيّة؛
- التّبادل التجاريّ بوسم العربيّة؛
- التّبادل الصّيدلانيّ بوسم العربيّة؛
- وضع خواديم / (Servers) جّبارة مع ما يلحقها من أنظمة ذكيّة لتحقيق
الأمن اللغويّ، باستعمال الدّكاء الصّناعيّ في أنظمة التّرجمة الآليّة عبر نظام
(OCR).

وفي هذه المخاض سوف يتحقّق بشكل نهائيّ ما يلي:

- 1-عولة إداريّة للعربيّة.
- 2-إنهاء تقيّميش المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة.
- 3-رقمنة المخطوطات الجزائريّة.
- 4-رقمنة المعجم الثّقافيّ الجزائريّ.
- 5-رقمنة الأدلّة الوظيفيّة.
- 6-رقمنة مكنز المجلس الأعلى للغة العربيّة.
- 7-إنهاء العمل في أجزاء معاجم ألفاظ الحياة العامّة (3 أجزاء).

8-إنهاء العمل في المعجم الطوبونومي.

9-إنهاء العمل في الموسوعة الجزائرية.

10-عولمة لغوية للعربية بما لها من قاسم مشترك في:

- الطيران المدني؛

- السياحة والأسفار؛

- الترجمة الآلية؛

- المكيفات في المدن الكبرى العالمية.

تاسعاً: تحقيق استراتيجية الأمن الثقافي بمبدأ القوة الناعمة، وتعتمد على:

- نعم للمراجعة لا للتراجع؛

- تطوير آليات المنصات بالعربية باستمرار؛

- تحقيق نسب مئوية وتقويتها؛

- تحقيق مبدأ التعايش مع اللغات العالمية؛

- وضع استراتيجية قادمة على مراحل تالية:

* مرحلة ما بعد 2026.

* مرحلة ما بعد 2030.

* مرحلة ما بعد 2050.

تلكم هي استراتيجية المجلس، أضعها بين أيديكم أيها المتدون، ونرجو أن تتعاضد جهودنا في تحقيقها عبر هذه اللقاءات التي نأمل أن تفيدونا بأفكاركم وبما لكم من منتج علمي وذهنّي بغية التطوير وأملنا في النخبة الوطنية وأنتم منها، وما تقومون به من تأطير ومرافقة هذا الجيل الذي نروم أن يُحقّق الانفتاح والتعددية اللغوية في إطار جعل العربية تنال الصدارة، وأن يعود لها مجدها الأثيل، كما كانت لغة العولمة وأيام ازدهارها في الفردوس المفقود وعندما كان الغربيون يقصدون الأندلس وبجاية وتلمسان والقاهرة وبغداد من أجل أخذ العلم والتداوي في مشافي العرب، وعبر الأجزخانات التي كانوا يأخذون وصفات وعقاقير للأدوية.

- **في لب القضية:** إليها الجمع الكبير، لقد استفضت في الاستراتيجية ولم أتعرض إلى عنوان الملتقى (الترجمة والأزمة-حدود العلاقة وتجلياتها) هي أزمة عمل، لا أزمة لغة، هي أزمة التغيير الذي يوصل إلى حين التدبير، هي أزمة تفعيل المؤسسات الترجيحية. ويبدو لي بأن التخطيط اللغوي سيؤدي إلى حلحلة الكثير من الأزمات. وفي هذه المسألة، فإنكم أصحاب القضية وأصحاب اقتراح الأفكار بما تعانونه في هذه المسألة.

وإنه من الأهمية تشخيص واقع الترجمة في بلادنا الذي ينذر بالخطر لا نترجم إلا القليل، ولما نترجم لدينا مرجعية لغة واحدة، وهي لغة المصدر إضافة إلى تداعي بعض أقسام الترجمة في الجامعات الوطنية للغلق وأزمة المقروئية باللغات الأجنبية، وحتى بعض الروايات التي تُدبج بالفرنسية لا تجد رجع الصدى، وانحسار بعض المخابر على طبع المجلات، في ظل غياب الإبداع الأدبي، وعدم المنافسة الدولية، وما شهدنا إبداعاً نال الرواج

الإعلامي... هي أزمة بكلّ تداعياتها، فنجد العلاقة وثيقة بين الترجمة ومضايقات الواقع في السوق اللغوية الوطنية. فقد تمكّنت الحدود من الإغلاق على جملة وقائع تحتاج إلى علاج. وأودّ القول بأنّ النهوض بالترجمة في الجزائر تقع عليكم أيّها المترجمون، ولا يعني إضافة ضمير (أنتم) ونحن سنكون من الغائبين، لكن الضمائر هنا متّصلة حصراً بكم ودون تخصيص ولا انغلاق، ولهذا يمكن إعداد خريطة ترجمة جديدة تعتمد على:

- 1- إعداد المعلّم الكفاء المتقن للغات الأمّ، المؤهل في اللغات الأجنبية.
- 2- إعداد طلاب يستنهضون قيم الجدّد والنشاط الترجمي، وحبّ الصّراع والتّحدي والإبداع.
- 3- إعداد منهجيات الترجمة بما لها من قواسم مشتركة وما تنفرد به كلّ لغة. منهجيات تتسم بالدقّة في التّفكير والتّعبير وحسن التّصرّف في النّقل.
- 4- إعداد جيل من المترجمين في مختلف اللغات يعملون على نقل عصارّة الفكر العالمي إلى العربيّة؛ نقل مبدع ينأى بنفسه عن التّزعة التّجاريّة نقل يتدرّج بخطوات متوازية ومتوازنة من الترجمة الواعيّة إلى الترجمة المقارنة، إلى التّدقيق الفاحص، إلى التّحرير المقوم للتّصوص والأساليب، إلى التّدقيق الضّامن للتّكامل.
- 5- إعداد لُمع من ترجميين يعدّون نظريات ومدارس ومرجعيات ومشیخات في العطاء والإبداع حيث يوجّهون طلابهم إلى مجال اللسانيات والرياضيات والطّبيعيات والإنسانيات والعقليات.

6- إنشاء مراكز متخصصة في البحوث التّرجمّية وعلم المصطلح تعنى بآخر المستجدّات في عالم التّرجمة، وفي منهجيات الأمم التي اهتمّت وتطوّرت بالتّرجمة.

7- ضرورة تحضير منهج إصلاحي جديد يقدّم لوزارة العّليم العّالي والبحث العّلمي في مجال الاهتمام باللغات الوطنيّة، ولغات العولمة، ويقع التّركيز على منطق اللغات وقضايا التّحو والمعاجم وما له علاقة بالقضايا العّقلية التي تفصل بين العّقل والتّقل.

إنّنا بحاجة إلى إقامة جسور متينة بين العربيّة وقضاياها العّقلية من علوم اللغة وخصائصها ومنطق اللغات وفلسفة الخصائص اللغويّة. وإنّ من الأهميّة بمكان أن يقع التّأكيد على اللغة ولمعاجم؛ فالمعجم يقوم على اللغة وعلى قواعد التّدقيق في الرّوايات وفي مسائل المشترك والترادف والتّضاد وفي التّرتيب المنهجي، وفي التّمييز بين المعاني والتّعابير الاصطلاحية والمصطلحات العّلمية، وبين التّعابير الحرّة والمتلازمات التي تحملها كلّ اللغات بما لها من ثقافة ومدلول. ولا بدّ من علاج امر التّرجمة من الجذور واقتراح الحلول الممكنة التي تُخرجنا من الأزمة الحقيقيّة، ولن يكون ذلك مجدياً إلّا بأفكاركم التي نروم أن تخرج من العموميات وتمسّ الأجزاء الصّغرى لبناء قواعد عامّة تعتمد لدى علاج عرض المضايقات لإيجاد الحلول التّوعيّة. فلا بدّ من التّحليل والمقارنة والغربلة والتّقويم والتّقد.

وأما من جهة المجلس فقد بصّر ببعض الأفكار التي يقدّمها في شكل توصيات، ونأمل أن تنال رَجْع الصّدى لدى من يُعنيه الأمر، وهي:

- 1- ضرورة التخطيط اللغويّ في استراتيجيات اللغات، وإنزال اللغات الوطنيّة المكانية الهوياتيّة.
- 2- ضرورة الانطلاق من لغة علميّة أجنبيّة متقدّمة، والانتفاع منها وفي خطتها في التّناميّة اللغويّة.
- 3- التّفكير والتّخطيط في ما نترجم، وما هي أولويات التّرجمة في بلادنا والتّنسيق بين مؤسّسات التّرجمة، وهيآت التّكوين في التّرجمة.
- 4- بناء مطالب ترجميّة على الأزمنة الثلاثة، والعمل على تجسيدها وفي ذات الوقت ضرورة الإغداق على المترجمين.
- 5- بناء مخطّطات حكوميّة في المشاريع الخماسيّة/ الرّباعيّة، على أن يكون الجانب المادي حافزاً لتّناميّة الفعل التّرجمي.
- 6- أسناد جوائز تحفيزيّة سنويّة لتحقيق المنافسة الفعليّة في أفضل التّرجمات.
- 7- التّفكير في آليات إغناء المحتوى الرّقمي بما يترجم من لغتنا، لا بما نترجمه إلى لغتنا.
- 8- ضرورة إيجاد مؤسّسات متخصّصة في مجال التّرجمة. على أن يكون التّنسيق وطنياً ومغاربياً وعربياً.
- 9 - الخروج من الاعتماد على لغة واحدة هي المنبع، وانتظار ما تترجمه ونترجم المترجم.

10- الاستثمار في مجال تدريس اللغات بدءاً من الثانويات، والانفتاح على تعددية لغوية نفعية.

11- الانفتاح القوي على لغة العولمة.

12- الاستثمار في الذكاء الصناعي بغية ربح الترجمة الآلية.

وإنه من الأهمية بمكان أن أذكر زملائي في هذا المقام، أن الترجمة فعل نبيل، ولكن ما ارتقت أمة وبلغت عنان السماء إلا بالعلم في ذات لغتها وبلغتها. وهذا يستدعي منا الأمل ثم العمل في التطوير اللغوي عبر الترجمة إضافة إلى العمل، ولا بد من التجديد الصحيح للعربية، ويكون بإرجاع الأمر إلى حقيقته التي بدأ عليها، وضرورة الانطلاق في الفعل الترجمي من لغة عالمة علمية لها باع في العصر الحاضر، علماً أن المتعلم بحاجة إلى ستين (2) يتعلم خلالها اللغة الأجنبية، ولكن بحاجة إلى سنين عددا كي يترجم جيداً. ولكن إن الأزمة تلد الهمة، ولا بد من ترسيخ فعل التهضة عن طريق الترجمة، وتثبيت لغة الهوية، فما قامت نهضة في أمة بلغة أجنبية. ونحن الآن في وضع المغامرة التاجحة، ولا بد أن ننجح بما نقوم به في نقل العربية إلى واقعها في الأخذ والعطاء، والصبر والمصابرة وتبادل المنافع، وضرورة المغامرة الترجمة. نغامر من أجل العربية، فإذا غامرنا من أجل من يستحقّ فالتجاح مضمون على قياس شعر المتنبي:

إذا غامرت في شرف مَرومٍ فلا تقنع بما دون التَّجومِ
فَطَعْمُ الموتِ في أمرٍ صَغيرٍ كَطَعْمِ الموتِ في أمرٍ كَبيرِ

إخواني الحضور، والذين يتابعوننا عن بُعد، شكراً على كرم الإصغاء وعلى إتاحتكم هذه الفرصة لأقدم لكم استراتيجية عامّة لخطاطة المجلس الأعلى للغة العربيّة في ما يقوم به من أجل تعميم استعمال اللغة العربيّة وهذا كلّه لتحقيق الأخذ من العربيّة كي يرتقي محتواها الرّقميّ، لأنّ قيمة اللغة بما يؤخذ منها لا بما تترجمه من اللغات الأخرى. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وأدعوكم إلى التعاون مع المجلس في تقديم أفكار تحسيسية تعمل على تحقيق هذه الاستراتيجية التي نأمل أن تُعطي مقاماً وطنياً وعربياً وعالمياً للغة العربيّة، فأنعم بها من لغة ! وبالله التّوفيق.

العربية ومقامها في السوق اللغوية[♥]

- **الديباجة:** إنه من الموضوعية أن نقول بأن اختيار موضوع هذا الملتقى كان اختياراً نوعياً يتمشى وواقع اللغة الاجتماعي الذي يمس اجتماعية اللغة على اعتبار أن طرح هذا الموضوع للمناقشة يكون رافداً لمقام اللغات في السوق الاجتماعية والاقتصادية والهوياتية، من خلال العمل على تطوير مضامين اللغات التسويقية ووسائطها التواصلية في ميدان السوق الاستعمالي، وهذا ما تنصّ عليه محاور الملتقى التي تسعى إلى وضع معالم منهجية وإستيمولوجية لسياسة لغوية للعربية؛ تجعلها تنال موقعاً في الطلب عليها من أهلها ومن غير أهلها. وكلمتي في هذه الافتتاحية تركّز على أهمية التسويق اللغوي بالعربية لتنال وضعها الاجتماعي والعالمي والعمل على التأثير اللغوي ليحصل لها المقام بين اللغات.

وأحسب أن مدلول كلمة (السوق) من فعل (سوّق) يدخل في مصطلحات البيع والشراء، كما يعني نقل البضائع / الشراء / المقايضة / إرسال بضاعة... ويكون من مُنتج إلى مُستهلك. وهو عملية اجتماعية يحصل بموجبها الأفراد والمجموعات على ما يحتاجون من بضائع، ويتمّ تحقيق ذلك من بيع / إنتاج / تبادل السلع / المنتجات ذات القيمة مع الآخرين. وأمّا (السوق اللغوية) مسكوكة لغوية دالة على سوق الاستعمال العفوي أو التطبّعي لخطاب لغوي

♥ أعدت المقالة للملتقى الوطني حول (السوق اللغوية) لصالح جامعة (محمد خيضر) ببسكرة يومي 7-8 أفريل 2021. أقيمت عبر التحاضر المرئي عن بُعد.

مُوجّه مُتلقيين قادرين على تقييمه ومُنحه سِعراً مُعيّناً. وهذا السّعر يخضع للتراتب الاجتماعيّ للغة المستعملة، وما تحمله تلك اللغة من فوائد تجعل المستعملين يتنافسون عليها بمدلول الرّأسمال اللغويّ الحامل للفائدة، وكذلك جعل القوانين تشكّل الأسعار التي تُدرّ لصاحبها الرّأسمال، والقدرة على استخلاص فائض القيمة التّوعيّ؛ ضمن آليات التّفاعل والتّواصل في البنيات الاجتماعيّة. علماً أنّه لا توجد سوق/ بورصة إلاّ بوجود كفاءة ورأسمال ولا رأسمال إلاّ بفائض ربح بين كفاءة وأداء؛ واللغة هدفها التّداول والتّنوع والتّبادل. وكذلك فإنّ اللغة تتّسع لكلّ عمليات التّواصل؛ باعتبارها سوقاً ضخمة تحمل كلّ الممارسات اللغويّة الوضعيّة، ولا يحصل فيها إلاّ نمط لغويّ تداوليّ يقبله السّوق. فاللغة لا تُفرض على السّوق، بل السّوق هو الذي يفرض اللغة الجيّدة والرّائجة والحاملة لمضامين ممارسات لغة السّوق وفق قيمتها في سوق التّداول بمثابة الجانب السّلعيّ. ويدلّ المصطلح في اللسانيات الاجتماعيّة على اختيار اللغة المعتمدة في الاستعمال الجمعيّ وبخاصّة اللغة المنطوقة. وهنا تلعب السّوق اللغويّة دوراً في الطّرائق التي يختلف فيها الحديث وفي المستويات اللغويّة للتّواصل، وما يتعلّق برهانات التّهيئة اللغويّة، وجدلية التّخطيط اللغويّ، وتحدّيات السّوق اللغويّة؛ بما لها من تعدّد لغويّ. وهذا ما كان زمن المقايضة السّلعيّة؛ فقد فرضت لغة (Lingua-Franca) نمطها كوسيلة تواصل في تجارة طريق الحرير وطريق الملح، وكما كانت العربيّة أيام ازدهار الأندلس؛ وكانت لغة التّبادل السّلعيّ العربيّ والأوربيّ وكذا ما نشاهده اليوم من تنميط الإنكليزيّة في الطّيران المدنيّ، وفي عالم السّيّاحة وفي مجال المال. وحرّيّ بنا تحديد مجالات هذا الموضوع وفق ما بصّرت به من أفكار كما يلي:

1- اللغة والاقتصاد: ترتبط اللغات بالاقتصاد؛ أي الاهتمام بالإنتاج والمردودية والربح والبنسبة والتواصل والتبادل لخلق أسواق لغوية عن طريق استعمال اللغات الوطنية، أو اعتماد الترجمات. ولهذا تُعتبر اللغة عملة قابلة للتبادل والسيولة؛ واستعمالها يُقوي رفع فوائدها وتعلمها ويُدرّ عملة فكرية ومادية وثقافية، ويجلب لها الزبائن الذين يطلبون ودها لتعليمها أو الترجمة منها، وتكون اللغة الأقوى بالترجمة منها، وتكون اللغة الأضعف بالترجمة إليها. وإنّ اللغة والتقود في مسار متكامل في نمو الاقتصادات اليومية لأي بلد وأنّ اللغة المشتركة فاعل اقتصادي في الإنتاج الصناعي، وبدوره يحتاج إلى لغة واحدة موحدة وموحدة، وعن طريقها يمكن أن يتواصل جميع أعضاء المجتمع الذين يشاركون في العملية الاقتصادية، ولهذا تصرّ كل الأمم على ربط السوق باللغة المشتركة بوصفها جانباً ضرورياً من جوانب التطور الاجتماعي. علماً أنّ المستعمرات الأقل نجاحاً في السوق هي تلك التي خرجت من طوق الغربة وأنّ التي خرجت من شرنقة الغربة ازدهر اقتصادها بازدهار لغاتها، وكان المكوّن الثنائي فيها: تنمية اقتصادية = تنمية لغوية. وهذا الأمر في الأساس يتطلب القضاء على التخلف اللغوي من أجل تحويل لغة ما إلى وسيط مناسب للاتصال الحديث؛ تتخذ شكلاً من أشكال المقاربة التواصلية وركيزتها تطويع المفاهيم الغربية بوضعها في تعبيرات محلية، وبشكل خاصّ الترجمات. وبكلّ هذا تكون اللغة القومية رصيماً مادياً للمجتمع وتزداد بقدر ما تتخذ من سمات وظيفية تآلفية في المجتمع¹. وهكذا نرى اللغات تُسهم في رفع الاقتصاد الوطني من جانب التقليل من التفقات في الداخل، وإكساب العملة من الخارج، مع ما يصاحب ذلك من التوجّهات القومية للتقليل من التفقات

والتنافس حول الجودة والتجارة، والديمقراطية وحق المواطنة والطموحات الفردية والجماعية، دون الحديث عن مكتسبات القيمة الجمعية التي تخلقها اللغة الوطنية الجامعة؛ من حيث ربح القلائل الاجتماعية المفككة للاقتصاد والمستنزفة لإمكانيات البلد عند استعمال الأجنبيات. ولهذا تعمل الأمم على استغلال الجانب التسويقي للغة؛ فتقوم على تسويق لغتها، وعلى نوعية المنتج الذي تحملها، وطريقة ترويجه والمكان الذي يروج فيه، وكلفته، والأشخاص المسوقين لهذا المنتج اللغوي؛ وهذا ما يسمى بالمد اللغوي الذي يُعطي للغة صفة التوسع، وصفة الدّخل المادي في التعليم أو في الترجمة أو في النشر. وتفعل الأمم الرّاقية على إحاطة لغاتها بأرمادة من القوانين العاملة على حمايتها بعد ضبط الجانب الإداري للسياسة اللغوية، وتركز على معاضدة المدرسة والإعلام والجامعة بالتوعية والتّحسيس بالموضوع الذي تكون خاتمه الاعتراز اللغوي للغة الأمة.

2_ اللغمة والسيادة: استعمل جان لوي كالفي / (Jean Luis Calvet)

مصطلح (سوق اللغات) مشبهاً إياها بعملة مالية، تتفاوت قيمتها حسب قوانين العرض والطلب، مؤكداً أنّ تداول اللغات، بما فيها من عباراتٍ ومجازاتٍ شبيه بتداول البضائع والعملات في سوق مفتوحة على التنافس التّزيه وغير التّزيه. وقد عرض مقدّمات الوضع اللغوي في كتابه (اللغات والاستعمار 1974) وأوضح فيه كيف تفرض السّلطة الحاكمة لغتها (الفصحى) وتعتبرها الأفضل والأجدي لترسيخ نفوذها وتأكيد مشروعيتها محتقرةً سائر اللغات ومعتبرة إياها سجلاتٍ دونية، لا تتوفر على نفس الخصائص التّواصلية والجمالية. وفي كتابه (اللغات؛ أيّ مصير؟ الآثار اللسانية

للعولمة) خصّص فصولاً، مشوّقة وموثقة لذات الموضوع؛ بعرض موضوعيّ عن أوضاع الألسن البشرية في أنحاء المعمورة، بعد أن خضعت لمسار عولمة مطبق فرض اللغة الإنكليزية معياراً للتّجّاح والتّواصل، مثلما فرض التّعامل بالدولار عملةً أساسيةً، الأمر الذي أدّى إلى انقراض العديد من اللغات حتى التي صمدت إلى زمن غير بعيد، ناهيك عن اللهجات المحليّة النّادرة وصارت اليوم تتحلّل وتتراجع أمام سيطرة الإنكليزية ونفوذها، باعتبارها وسيلة التّواصل الأجدى في كلّ البلدان. ويقول: ليست اللغة سوى عملة نقدية تُتداول في أسواق الألسن لتحقيق الفائدة. وفي الأخير يتساءل عن المصير اللغويّ للعالم، بعد أن استعاد عوامل التّأثير في انتشار اللغات أو اندثارها مقترحاً بعض الحلول التي تساعد على التّصدي لهيمنة الإنكليزية وتسونامي العولمة اللغوية الذي من شأنه أن يمحو الهويات اللسانية ويقضي على خصائص الثقافات المباطنة لها. وهذا ما نراه اليوم في أنّ سوق اللغات تتصدّره بعض اللغات، فالسوق ضيق وكأنّ (كوليرا اللغات) قضت على جملة اللغات الوطنيّة التي لا تتصدّى للقوّة والهيمنة الاقتصاديّة، وهذا عين ما يجري الآن ضمن مسار عولمة اللغات الذي يُعلي من شأن لغات القوى الكبرى، ويعتبر ما عداها عمّلات لا تُصرّف، فلا يعتدّ بها في سوق الفائدة والتّفوذ. وما هو المطلوب بالنسبة للغاتنا التي لا تعرف المقايضة ولا الشراء، وليس لها الرّواج؟ وهنا لا بدّ من حلول إجرائيّة لإنقاذها مع اللغات المستضعفة، ومن الضروري تشجيع التّنوع اللغويّ بشكلٍ آلي، ضمن نظام تربوي، للحفاظ على اللغات الصّغرى، والتّعلّق بها بمواصلة تطويرها لفرض استخدامها في سائر مجالات الحياة اليوميّة، بعد ترشيدها، أي إعطائها كلّ مميزات العملة النّافعة المفيدة

وتيسير فحوا ومُعجمها واستمرار حركات التَّنمِيَّة اللُّغويَّة والترجمة لإثرائها فضلاً عن استعمالها في تحرير المؤلفات العلمية والخطابات الرِّسميَّة. وبالتَّسبب للعربيَّة لا بدَّ أن يشترك في هذه الجهود كلُّ أطراف التَّسيج المجتمعي ضمن مشروع متكامل: السُّلطة التَّقافيَّة والسِّياسيَّة والمجتمع المدني، عبر إجراءات لتطويره وترويجها، والبتَّ التَّهائي في تغيير موقف احتقارها، وتغيير خطاب البكائيات على الأطلال، وأداة سجلِّ الطَّبقات المتخلِّفة، أو الخطاب الدِّيني المتحجِّر، اقتناعاً من الجميع أنَّ تنشيط العربيَّة سيفضي لا محالة إلى سوق يدرُّ أرباحاً جَمَّة، أو لها الحفاظ عليها عنواناً على هويَّة حضاريَّة تضرب بجذورها في التَّاريخ، وتمتدُّ بأغصانها إلى أحدث الثُّورات المعرفيَّة المعاصرة. ولذلك ينبغي ربط العربيَّة بحاجة السُّوق، حتى لا تظلَّ حبيسة الصَّنْدوق، ولعلَّ خير دليل على قوَّة العربيَّة هو ما عبَّرت عنه المستشرقة البلغاريَّة (مايا تسينوفاً) التي تقول: «بعد دراستي اللُّغة العربيَّة، اكتشفت أنَّه قد أصبح لعمري عقل». ولا نطلب إلاَّ تمكينها في سوق الاستعمال وننظر إلى مسار الكوريين والصِّينيين واليابانيين الذين ارتقوا بتمكين لغاتهم في الاستعمال العامِّ، ولغاتهم هي التي أدخلتهم في اقتصاد المعرفة واقتصاد سوق الكبار.

3- اللُّغة والسِّياحة والحاجة والإعلان: رباعيَّة تراتبيَّة استلزاميَّة تجمع بين

أهميَّة السِّياحة وحاجيات السَّائح، واللُّغات التي تُقدِّم بها السِّياحة. ونرى فعل اللُّغة يأخذ المقام الأوَّل لما له من تأثير على الملحقات، باعتبار اللُّغة وسيلة التَّواصل التي تتمُّ بين السَّائح والمحيط العامِّ، بداية من طوبونيميَّة الألواح والشَّارات والخرائط والأدلة وما يستقبل به الزَّائر في الحدود، وإلى مختلف الأدلة الأماكيَّة، وما يؤدِّيه المرشد من لغة. فهنا تطرح تحديات أشكال

التواصل بين الفئات العمرية الزائرة والرغبات المتضاربة، وكيف يمكن إصابة هدف التوافق اللغوي وما هي اللغة المستهدفة... وفي كل هذا تطرح اللغة انعكاسات المزور، كيف يلبي طلبات الزائر، ويكون في خدمته بلغة يفرضها عليه، بل أحياناً تكون بحسب محيط لغات الهيمنة السياحية، أو لغة البلد المستعمر، أو بلغة البلد الأصلية إذا توفرت لها كل وسائل الترجمة، وما يلحقها من أدلة مساعدة. ولكن في كل هذا ما مقام العربية في سوق الاستعمال وطنياً؟ تلك هي المعضلة التي تعيشها العربية في قطاع السياحة وهو الذي يجرّك الاقتصاد الوطني، كما يعمل على تبليغ هوية البلد للخارج إذا أحسن استثماره تعدد السياحة واجهة البلد، وناقلة هويته، وهي ميدان خصب بإمكانه أن يدرّ كثيراً من الأموال ويصبح مورداً اقتصادياً أساسياً إذا أحسن استثماره ومن بين الوسائل التي يحتاجها الخدمة اللغوية التي تعدّ عنصراً بالغ الأهمية في مدّ جسور التواصل مع الآخرين. وبما أنّ هذه الخدمة ستكون باللغة العربية؛ فمعنى ذلك أنّه لا بدّ أن يكون هناك نوع من التخطيط لنشر اللغة العربية في هذا القطاع الحيوي ومؤسساته المختلفة ولا سيّما في المجال الخدماتي والفندقي ممّا يجعلها لغة من لغات السياحة، خصوصاً بعد أن أقرت منظمة السياحة العالمية/ World Tourism Organization (WTO) إدخال اللغة العربية في نشاطات وعمل المنظمة². وبرغم كلّ هذا فإننا لا ننكر أنّ العربية ليس لها مقام عالٍ في قطاع السياحة؛ ممّا أدّى إلى تهميشها واستبعادها من هذا القطاع الحيوي الاقتصادي، وهي من جملة المشكلات التي تُعانيها الدول المتخلّفة كافة والدول العربية خاصة؛ بسبب طمس لغات الهوية، وغياب سياسة لغوية مصاحبة بتخطيط تكاملي في البلاد العربية. ولكي تكون العربية سارية المفعول

في هذا القطاع لا بدّ من رسم سياسة لغويّة لتنمية اللغات المحليّة وتطويرها واختيار أكثرها استعمالاً في مجال التجارة والعلاقات الدوليّة. واللغة الوطنيّة المرشحة هي العربيّة التي تتجلى استعمالاتها في القارات الخمس، ويضاف إليها ما تتوفر عليه من تطهير لغويّ + منتج قاموسيّ + معيار لغويّ + تحديث معجميّ + استبدال لسانيّ + لغة وظيفيّة. وتحتاج الآن إلى إدارة مخطّطة، وإلى دعاية موجّهة، وإلى تسويق داخليّ وخارجيّ وإلى سياسة مُوجّهة للعمل ومن ثمّ اتخاذ القرار. وأمام هذا الوضع المعياريّ للعربيّة، كيف السبيل إلى جعلها مستعملةً في هذا القطاع؟ وإننا ننظر إلى المسألة من جانب الاعتزاز اللغويّ فقوّة الأمّة ترتبط بقوّة لغاتها وتحتاج العربيّة الآن إلى جانب حمايتها بالقوانين والتشريعات وإقامة المؤسّسات اللغويّة، وهذا لا يكون إلاّ بالخروج من سياسة اللامبالاة، والكيل بمكيالين. فكان يجب وضع تخطيط وتشريع صارم لاحترام استعمال العربيّة ليس بالقهر، بل بوضع معالم أوليّة بخصوص الرعاية العلميّة في تطبيق ما هو موجود في هذا الباب. ويجب أن لا ننحاز في كلّ مرّة إلى اللغات الأجنبيّة على أنّه يقع عليها الطّلب، ولدينا مثال الدّولة التّركيّة التي يدخلها سنوياً أكثر من اثني عشر (12) مليون سائح ولا تسمع فيها إلاّ لغتها في كلّ المعاملات، وهذه السّياسة جعلت للغّة التّركيّة قيمة اقتصاديّة حيث يدفع الأجنبيّ أموالاً من أجل تعلّمها أو فهمها، ولا يعود إلى بلده إلاّ وقد أخذ مسكوكات وألفاظ ومصطلحات وحكم وأمثال وشعر وغناء... تركيّة تعلّمها من جولته السّياحيّة.

4- **السوق اللغويّة ووظيفة اللغة العربيّة:** في هذه التّقطة فإنّ المجلس الأعلى للغّة العربيّة أنجز وينجز سلسلة من الأدلّة الوظيفيّة ذات العلاقة بطرح

العربية الوظيفية للاستعمال لتصبح سلعةً يُطلب ودُّها من المستعملين. وبدأناها بمدونات في لغة السياحة لما لها من مردود معنوي ومادي، وتعمل على وجهين: الوجه الوطني والعربي، والوجه العالمي ولذلك صمّمنا أدلة وظيفية تقوم على تعميم استعمال العربية في مجالات السياحة، وأتبعناها بنظام تراتبي يمسّ مختلف القطاعات الاجتماعية (معاجم ألفاظ الحياة العامة في الجزائر) (معجم الطوبونيميا) (المعجم الثقافي الجزائري) إضافة إلى سلسلات من القواميس والمعاجم ومدونات الملتقيات والأيام الدراسية التي أجريت حول ضرورة تمكين اللغة العربية في كلّ المقامات والحال؛ وكلّها تعمل على الرّفح من سوية اللغة العربية، ضمن استراتيجية العولة للغة العربية في آفاق 2026م. وهذا كلّه ليحصل للعربية السوق المدرة للبيع والشراء، وتكون لها مكانة بين اللغات، ومن ثمّ يرتقي محتواها الرقمي بالطلب، وفي ذات الوقت ينالها التنافس الذي يكون ندّاً للغات الأُمّية وهي منها، فلا يكون ذلك إلاّ في سوق الوظيفة التي تُؤدّيها.

- **الخاتمة:** إنّ التسويق اللغوي بالعربية يعمل على تطوير آليات اللغة العربية، وإنّه عندما يتعاقد القرار السياسي بالعمل الجدي، ولما يتعاقد منتج الأفكار مع صاحب القرار ستكون التّواتج مطمئنة لخدمة المواطنة اللغوية. وفي هذا المنظور، وجب الحديث عن تحدي تنامي الفرنسية أو تماهي استعمالها في السياحة كلغة لها أولوية في بلادنا، وهذا ما يخلق ارتباكاً في المواقف على اعتبار أنّها عنصر إثراء وغنى، وفي ذات الوقت يُعتبر ذلك عنصر استيلاّب وتبخيس وانكماش واختزال للهوية اللغوية العربية. ويبقى تفعيل المؤسسة اللغوية ضماناً نيل العربية مقامها في سوق الطلب، ويجب أن لا تُعالج المسألة

بالحياد اللغويّ للدولة؛ كي تبقى العلاقة وطيدةً بين الدّسترة والمأسسة للرّفح من الحقوق اللغويّة والثّقافيّة؛ باعتبارها عنصراً لا يتجزأ من عناصر حقوق الإنسان، وركيزةً من ركائز المواطنة.

الهوامش

- ¹ - فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة، عدد 263. الكويت: 2000 سلسلة منشورات المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، ص 35-74.
- ² - هاشم عماد الهياجي العربيّة في مؤسسات القطاع السياحيّ: الواقع وآفاق أعمال المؤتمر الدوليّ الرّابع للغة العربيّة. دبي: 2015، كتاب المؤتمر، المجلد التاسع، ص 365.

مفدي زكرياء ♥

الديباجة: من الجمال والحسن والبهاء أن نحيط شعراءنا ومبدعينا وكلّ من ضحّى وترك بصمة من أجل البقاء، وكان لا بدّ من تسليط الحفاوة على كلّ مبدع غنّى أو أبدع وقال الكلمة الطيبة الأصيلة بقافية تحمل أحاسيسه في دروب الحياة المضنية والتي يتحمّل أاناتها بصبر وجلّد رغم كلّ الجراحات. من الجميل أن يكون لنا فضل ردّ الاعتبار بالاحتفاء قبل الاختفاء، أو بعد الاختفاء على أنّهم من رموس الأحياء، وبخاصة ونحن نعيش أجواء اليوم العالمي للشعر 21 مارس من كلّ سنة، فما بال قوم لا يحتفون بكبارهم؟

وها نحن في هذا المكان نلتقي للاحتفاء بصانع حروف مجّدت الجزائر بقامة مبدعة غيّبها القدر، ويدخل هذا في تشجيع التقاليد الشفوية للحفلات الشعرية أو لعروض الأفلام ومختلف الفنون، وخلق كلّ ما يعمل على استعادة الهوية ضمن منظور الإلهام وخلق الروابط بين الناس، وجعل الانسجام الجمعي أكثر متانة من ذي قبل.

نحتفي اليوم في هذه المدينة الشاعرة بشاعر أوصل القيم الأخلاقية إلى الأعماق، ومن خلاله أكدّ إنسانية الشعر في العلاقات الإنسانية التي تتقاسمها الشعوب في إطار السلام والحبّ والتسامح وفي التهوض وردّ المظالم. نلتقي مع الشاعر مفدي زكرياء العظيم ليس تكريما لشخصه وهو أهل، بل هو

♥ - أقيمت الكلمة في دار الثقافة (حسن الحسني) بمدينة المدية، بمناسبة التظاهرة العلمية التي نظمتها مؤسسة مفدي زكرياء بتاريخ: 10 أفريل 2021م.

تكريم تقوم به الأمم العظيمة والقويّة لصالح عظمائها طلباً للمزيد إذا كانوا أحياء، ودعوة للأحياء بعدم نسيان التاريخ والبطولات وويل لأمة لا تمجدّ عظماءها، ولا تفتخر بكبارها والعظماء يتناسلون ولا يموتون، فأنعم بكلّ ذي مكرمة! وكم هو جميل أن يحصل الاحتفاء بالمجاهدين والعظماء والشهداء والمضحّين والشرفاء في سبيل الوطن وهي حالة إنسانيّة يجب غرسها فينا والابتعاد عن ثقافة المناكفات والتجاذبات التي تضرّ بالمصالح الوطنيّة، وما يضعف الصّف الوطني ويضرّ بالمصالح المرسلّة.

- **مفدي زكرياء في سطور:** زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى الذي أخذ اسم (مفدي زكرياء) (1908-1977م) وهو الذي اشتهر به أدبياً، وكان يوقّع أشعاره باسم (ابن تومرت) وعاصر مجموعة من شعراء تونسيين أفذاذ على غرار أبي القاسم الشّابي صاحب رائعة:

إذا الشّعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ لليل أن ينجلي ولا بدّ للقيّد أن ينكسر
وإنّ الشّاعر (مفدي زكرياء) ارتبط أيّما ارتباط بشاعر آخر يدعى محمّد العربي الكبادي، وكانت له جولات في المنافحات الخطائيّة وفي حمل همّ معركة رفع الغبن. مفدي عاش كبيراً في وطنه وفي تونس، وصنع عظّمته بمآثره التي أخذها من عرشه ومفاخرهم، وهو صاحب الدّراية بمآثر السّلف لأنّه نشأ في بيئة تتقن فنون التّربيّة على مبادئ الفضيلة وتعاليم الشّريعة الإسلاميّة، وتربيّة العرف من عزّابة وعمّي سعيد.

لقد عاش مفدي يحمل رسالة البناء الوطني والدِّفاع عنه، بجريدة الوفاق وكان ذلك ما جعله ينضم إلى صفوف العمل الوطني والسياسي، فكان مناضلاً نشيطاً في صفوف جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وعضواً أساسياً في حزب نجم شمال إفريقيا، وفي حزب الشعب، وفي حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية. نال عذابات سجون: سركا جي والبرواكّية.

مفدي زكرياء مناضل بأفعاله وأشعاره ومقالاته التي كانت تصرخ في وجه المستعرب الفرنسي، وتدعو الجزائريين إلى التَّهوض، فكانت له وقفات اعتبارية داعية إلى الوحدة بين الجزائريين وأقطار المغرب وأبداع قصيدة للرّيفيين المغاربة يحثُّهم على التَّكامل والتَّعاون، وكان شعره ملتزماً وله رجوع الصّدى في ذلك التَّشيد الذي لا يزال يزلزل المستمع، ويعيده إلى زمن المجد والثورة: قسما بالتأزلات الماحقات... فيا له من جرس قويّ ينهض التَّائم ويرفع العشي عن البصير.

أسهم مفدي بقلمه الحامل للشعر الوطني بما دبّجه من كلمات في فداء الجزائر+ نحن طلاب الجزائر+ إلباذا الجزائر، وما حملته دواوينه الكبيرة من لآلى صناعة الكلام: في ظلال الزيتون+ اللهب المقدّس+ من وحي الأطلس. وتبقى رائحته تخلّده بمقطعها الأوّل:

جزائرُ يا مطلعَ المعجزات ويا حجّةَ الله في الكائنات
ويا بسمَةَ الرّبِّ في أرضه وجههُ الضّاحك القسّامات
ويا وجههُ في سجّل الخلود تموج به الصّور الحالمات

محطات مفدي زكرياء الأيقونة: له شيء من الأسطورة بما في شعره وعمله الوطني، فلا يغيب عن الساحة الثقافة بما يبدع ويملا كرسى الجزائر في الدّاخل والخارج، فهو كتلة سريعة التّنقل والإبداع، وله ميزة الوصف والجمال بما يحمله خياله من إبداع فتي قلّ أن تجده في شخص شاعر مترامي الثقافة، يشدّ السّامع بتلك الصّور التّعبيرية المكثّفة وبالصّوت الجمهوري الذي يشيد بطولات الشّعب الجزائري، وتلك المنعرجات التاريخية واصفاً سحر جمال البلاد. إضافة إلى قدرته الإبداعية في توظيف الأسطورة ومنواله في تناوله لبعض الاساطير السّائدة في المخيال الجمعي في مختلف مناطق البلاد الناتجة عن تراكمات قديمة بأسلوب أدبيّ مشوّق، تنبئ عن سعة اطلاعه وموسوعيته.

مفدي وشعره عن المدينة: هناك مقاطع جميلة ذات دسّر عالية يتحدث عن هذه المنطقة، ويبدأ بقصر البخاري قائلاً:

ويهتزّ قصر البخاري هياماً ويصبو البخاري فتحجل جلفا
 أبالغوطين يُباهي الشّام وأغواطنا بالشّام استخفاً
 هلا تُبادلنا الشّمس إشعاعها ويلهمنا الصّفوف نور الهلال
 ونغدو نسبق أحلامنا ونهزأ من وثبات الغزال

ويقول في المدينة:

علا بالمدينة تاج الجلال فأعلى بمليانة المرفقا
ومن هدهد الصدر بالتوأمين قضى للجزائر أن تعشقا
دلال المدينة أعيما الملوك وكم خاطبٍ ودّها أخفقا
تنازعها الرّوم والمسلمون وحاول زيّان أن يسبقا
وكاد ابن توجين وابن مرين بنار المدينة أن يحرقا
ملائكة الله هل نقلوها؟ أجل من رأى حسنّها صدقا

مفدي زكرياء رحمه الله من خلال البيت الاخير اشار إلى الأسطورة المتداولة التي تقول بأن مدينة وهكذا يوحي لنا في أسطورة شعريّة بأنّ المدينة لم تكن متواجدة في غابر من الأزمان في المكان الذي نعرفه اليوم بل كانت مُعلّقة بين السّماء والأرض، وذلك لجمالها الأسر وسكّانها الطيّين، يكلؤها الله وتحفّها الملائكة من جنّباتها ويزينها اللون الأخضر المتشّرف في ثناياها وجوانبها. ويكسوها بياض الثلج شتاءً، يعكس نقاء قلوب سكانها لشدة تسامحهم حتى لقبوا بالمهّدين ومدينتهم بالمهدية/ مدينة الملائكة. هذا قليل من كثير/ غيظ من فيض، ويبقى شعره مُلهماً لذوي الفضول من الذين تستفزهم الحياة، ولا يقبلونها بالوجه المألوف والنظرة الرّتيبة.

ها هو مفدي يحطّ رجله وشعره وفريقه في هذه المدينة الأسطورة، فمن أي باب يدخلها، ففي باب الدّزاير يحصل الافتتاح، وباب القرط يقدم له المفتاح وفي باب البركاني يلوح ويستريح، وفي باب الأقواس يرتجل شعره ويقول:

شغلنا الورى ومألنا الدنا بشعر نرتله كالصلاة

تسايبحه من حنايا الجزائر

وها هي مؤسسه مفدي زكرياء تحط رحالها بينكم، بما تقدمه من تسجيل
وثائقي، وما يقدمه المحاضرون من كلمات بالمناسبة، وعهدنا في هذا أن
الاحتفاء بالعظماء سمّة الكبار، وأنتم باحتضانكم هذا المحفل سيكون لكم
السبق في خدمة أهل الشأن، فأنعم بكم يا إخواننا في مدينة الخير! ونشكر
لكم فضلكم وترحابكم وما قمتم به تجاهنا، وهي عادة توارثتموها آيها
المهديون وعلى هذا المنوال ابقوا مهديين، وبكم نفتدي وما أخطأ المقتدي
الذي اقتدى وجارى المهتدى.

تعليمية اللغة العربية

في ظلّ التكنولوجيات الحديثة[♥]

- **الديباجة:** إنّنا نعيش عصر التّوازل بما يحمل من ظواهر جديدة وبما يفاجئنا من تطوّرات في عالم الابتكارات اللامتناهية، في عالم يرمي بثقله على تقنيات الحاسوب والاتّصالات السّلكية واللاسلكية، ومن توسّع للشّابكة وظهور تطبيقات كثيرة ومتنوّعة في اللغات العربيّة. فما موقع العربيّة منها؟ وما موقع الاحتياط التّعليمي للتعامل مع المستجدّ؟ وما هي مستلزمات الرّاهن للعيش ضمن شمس اللغات الذي لا يافلّ؟ وكيف نساير بلغتنا العربيّة مصالحنا المرسلّة دون تعطيل في آليّة التعامل بفقّه الواقع ودون أن تتوقّف مسيرة الحياة؟ تلكم إشكالية نروم الإجابة عنها بموضوعيّة لتهيئة العربيّة في العيش ضمن التّكنولوجيات الحديثة التي تفتقر إليها العربيّة، وما هي سبل سدّ التّحصيل العلمي بأيسر الطّرائق وفي أقلّ وقت ممكن.

أيّها الجمع الكبير، إنّنا نعيش راهناً جديداً بما له من إمكانيات مخالفة للماضي، وفي باب التّعليميات نرى مستلزمات جديدة لا بدّ أن تكون في اللغة العربيّة، وهي وضع طرائق معاصرة في التّعليميات، وأنّ الزّمان أن نعلن القطيعة مع الماضي؛ نظراً للتّخمة التّكنولوجيّة التي وصلت إليها الوسائل الحديثة في باب التّعليم، وما أفضت إليه الدّراسات في العمليّة

♥ — ألقىت الكلمة عبر تقنيّة التّحاضر عن بُعد، لصالح جامعة الشّاذلي بن جديد بالطّارف، بتاريخ 15 أفريل 2021م.

التعليمية من تغيير موقع المتعلم الذي أصبح محور كل العمليات التعليمية هذا المتعلم الذي يتحكم في وسائط التكنولوجيا، فهل ضبطنا عقارب تلبية متطلباته، وهل أعددنا الوسائط التبليغية الحديثة التي تشبع ملكاته ومهاراته بطرائق سهلة وجذابة.

1- أهمية موضوع التعليم عبر الوسائط الحديثة: من الضروري بمكان أن نشير إلى أن المقولة أشتدي أزمة تنفرج "مثلة في واقعنا عبر هذه التطورات التي تعمل على نقلة نوعية في العربية بما لها من مهارات إضافية تعمل على إعطاء القيمة المضافة، ويجب أن يعلم الطالب بأن التعليم في ظل التكنولوجيا الحديثة في صالح الفقراء، وهو موجه للطبقات الاجتماعية التي من الضروري أن تجمع بين الوظيفة والتدريس مدى الحياة، لما له من مزايا هي:

1/1- تعليم ليس خياراً استراتيجياً، بل هو خيار ضروري أملته معطيات التطوير بما يعرفه العالم المعاصر من تثوير الفكر، المصحوبة بالتقانات الحديثة.

2/1- تعليم يصلح للتوازن وفي غير التوازن، وهو تربوي علمي. يلغي النمطية التقليدية القائمة على التكرار وغياب الإبداع،

3/1- تعليم عام اقتصادي، يكسبك ربح الوقت الذي تستهلكه في التعليم التقليدي، والانتقال وضغط المواصلات، وما يتبع ذلك من مصروف.

4/1- تعليم متكامل يجمع بين مهارات: السماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة.

5/1- تعليم يعمل على تعزيز التدريس والتّعلّم الجماعي مع الدّاخل والخارج. ويلهم المتعلّم الإبداع وراء إبداع.

6/1- تعليم مفتوح على جمهور عريض عدداً، ومتباين المستويات يعمل على التّفّتح على آليات العصرنة وآفاق المستقبل.

2- اللغة العربية وتأثيرات العولمة: لقد تأثرت العربية بالتطوّر الرقميّ

حيث فرضت التكنولوجيا سيطرتها بشكل واضح، وكان للغة العربية نصيب من هذه السيطرة، فاعتمدت مجموعة من أدوات تكنولوجيا المعلومات واستطاعت تقديم العديد من الخدمات المفيدة لها، ولكن في المقابل تأثرت في عدم تعميم استخدام هذه التكنولوجيّة الرقميّة المتنوّعة ولم تعد تلاحق تلك الموجة التي ركبتها اللغات العالميّة، وتضعفت في بعض بنياتها القاعدية، ولم ثوابك الركب في بنياتها التّحتيّة، فأين الخلل؟ وكان حريّ بنا البحث على مدى قدرة العربية على المحافظة على قيمتها عند المعلّمين المتأثرين بهذا التطوّر الرقميّ؟ والعمل على إيجاد مخرجات راهنة لبقائها ضمن اللغات الأولى عالمياً. ولهذا تفرض الحداثة الرقميّة وضع آليات جديدة تُساير الوضع الجديد، وتعزيز مكانتها في ظلّ تقنيات عصر التكنولوجيا الحديثة. وإنه ليست لدينا خيارات نتبعها إلا خيار الانغماس في عالم الرقمنة، وتمكين الطلاب من الإسهام في الإبداع ضمنها، والعمل على تعزيز أنماط التّعليم التشاركي من خلال المجموعات التّعليميّة، وإمكانية البثّ المباشر، وتقديم دورات تعليميّة عن بُعد، وهذا ما يفتح للعربية العيش في الواقع الافتراضي الذي لا بدّ منه. وإنّ العربية بحاجة إلى هذه التّقنيات، وعلينا أخذ التّدابير اللازمة لكسب الرّهان.

إيها الحضور، أيها المتابعون، إنَّ الموضوع المختار لهذا اللقاء الافتراضي يولي تعليمية اللغة العربية مكانة في مصطلح الديدأكتيك كأجراء تربوي يعمل على تعزيز النظرة المتمركزة حول الطالب مع الأخذ بيده من خلال نظام المصاحبة البيداغوجية... وترقية البعد الاجتماعي للتعليم، ومن ثمّ الاعتماد على التكنولوجيا في العملية التعليمية لتحوّل تقنية شائعة، تعني تحديد طريقة ملائمة أو مناسبة للإقناع أو لإيصال المعرفة؛ بمساعدة التقنية. وهكذا تكون العملية التعليمية في اللغة العربية تتعلق بالمناهج والمضامين والوسائل التعليمية للوصول إلى تحقيق التوازن بين الوضع التربوي الحالي وسرعة العالم التكنولوجي؛ باعتبار ذلك يؤثّر على العربية الثّورة المعلوماتية والتطور التكنولوجي ليس له تأثير كبير في اللغة العربية فحسب، إنّما في التعليم أيضاً، فالانفجار المعرفي المتمثل في الزيادة الكمية والتنوع في المعرفة وفروعها يهتمّ على المؤسسات التعليمية أن تعيد النظر في أسس اختيار وتخطيط وبناء المناهج والمحتوى الدراسي، وأساليب التعامل مع المعرفة، عبر الوسائل التكنولوجية المتعدّدة، والاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة والتقنيات المعاصرة في تطوير مناهج اللغة، وتحديث طرائق تدريسها، وخاصة أنّ الاتجاهات الحديثة تتجه نحو الإفادة من معطيات التقنيات المعاصرة في تدريس اللغة وتعليمها" وهكذا نرى التلازم الحديث بين ربط التكنولوجيا بربط التحديث اللغوي التعليمي". ويعني هذا بأنّ لهذه الوسائل المعاصرة جدوى لا يمكن الاستغناء عنها، وهي من مستلزمات تطوير اللغات العربية تحتاج إلى خوض معركة الانغماس التكنولوجي، فهل يمكن توفير شروط

الانغماس والعيش فيها، ومن ثمّ الإسهام في الإبداع التربوي عبر الوسائل التعليمية المعاصرة؟

3 - الوسائل التعليمية الجديدة ومقامها في العملية التعليمية: ما لا

يختلف فيه أنّ الوسيلة التعليمية تعمل على زيادة الكفاءة التعليمية والوصول إلى ذروة الاتصال التعليمي، لذلك كان حرياً على مدرّسي العربية نشدان توظيف التكنولوجيا في تعليم اللغة العربية؛ باعتبارها وسيلة ناجعة في حالة تطبيقها بالتّماهي مع التّطوّرات العالميّة، ومن بين هذه التطبيقات إدخال برامج تكنولوجيّة معدّة مسبقاً للنّظام التعليمي المقرّر أين يقوم أساتذة مختصّون في اللغة العربيّة بتنفيذه وفق خطة مؤسّسة بطريقة علميّة، وتعدّ الوحدات التعليمية الرّقميّة أحد العناصر الجديدة لنوع من التّعلّم القائم على الحاسوب؛ إذ يمكن استخدامها لأكثر من مرّة، وفي مواقف متعدّدة بما يضمن التّكرار والتّجدّد في الوقت نفسه. ودون تعطيل ولا مناكفة لا بدّ من دمج تقنيّة المعلومات والاتّصالات في تعليم اللغة العربيّة، وهي الوسيلة التي تجعلنا نبدع طرائق أفضل في عمليات التّعليم من أجل إيصال المعلومة للمتعلمين بأسرع وقت وبأقلّ تكلفة، وبصورة تمكّن حسن التّحكّم في العملية التعليمية، وقياس مردود المتعلّمين. لذلك نجد الدّول تستخدم أنواعاً من أنظمة التّعليم، على غرار التّعليم الإلكترونيّ / (E-Learning) الذي يعدّ النّظام التعليمي المستقبلي المتكامل الذي سيكون بديلاً عن النّظام التعليمي التقليدي؛ باعتباره منظومة متكاملة من المعطيات، والمفاهيم، والأدوات التّفاعليّة المتوفّرة في بيئة التّعليم. دون أن ننسى مزاياه الكثيرة من تمكين الوصول إلى المعلومة بأسرع وقت، وبأقلّ كلفة، وبصورة تمكّن إدارة العملية

التعليمية وقياس وتقييم أداء المتعلمين. وهذا يعني أنّ المستقبل لمنظومة التعليم الإلكتروني عامة بما يحمله من منظومة تقنية المعلومات والاتصالات: الشبكة+ الإذاعة+ القنوات المحليّة+ الفضائيات+ الأقراص المغنطة+ البريد الإلكتروني+ أجهزة الحاسوب+ المؤتمرات عن بُعد... وهذا ما يخلق بيئة تعليمية تفاعلية متعدّدة مصادر المعرفة والمعلومة بطريقة متزامنة.

4- ما هي مطالب تعليمية العربية باستعمال هذه التقانات؟ يبدو أنّه من الضروريّ بمكان الدّراية باستعمال هذه الوسائل، وحبّ التّفاعل والاكتشاف، والانغماس داخلها حتى يبدع المعلّم في حسن استخدامها. ولا يجب أن تبقى العربيّة بعيدة عن امتلاك خبرة التّكنولوجيا في مجال البريد الإلكتروني التّزامني / (Synchronous E-Learning؛) وهو التّعليم الذي يتزامن فيه وجود المتعلمين والمعلّم أمام أجهزة الحاسوب في غرف المحادثة/ (Chatting)، أو تلقى الدّروس من خلال الفصول الافتراضيّة / Virtual classroom وهو مناسب جدا في الدّروس التّحويّة والصّرفيّة والبلاغيّة حيث تتمّ العمليّة التواصليّة بين المتعلّم والمعلّم. كما لا نغفل دور التّعليم غير التّزامني: (Asynchronous E-Learning؛) وهو التّعليم الذي لا يتزامن فيه وجود المتعلّم أو المعلّم ويتمّ عن طريق بعض وسائط التّواصل الاجتماعي وهذا مناسب لطرح انشغالات وأفكار وتحليل قضايا لغويّة أو أدبيّة. كما لا ننسى دور التّعليم التّفاعلي الذّكي / (E-learning interactif intelligent) وهو أسلوب جديد متطوّر؛ يسمح للمعلّم والمتعلمين بالتّفاعل مع بعضهما البعض بشكل مباشر وآني. ويصلح للعربيّة من أجل الوصول إلى تعليم متكامل العناصر والفعاليات بدءاً من تصميم المنهاج الدّراسي

التفاعلي ومرورا بتحفيز المتعلم وترغيبه في العملية التعليمية وانتهاء باستحداث نظام امتحانات يمكن من تقييم المتعلم في مختلف مهاراته من خلال الاستفادة من نظم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطويرها لإثراء كافة مراحل التعليم بالمصادر والحلول التقنية والتعليمية اللازمة. ولا بدّ أن نشير إلى التعليم الجوّال / (Mobile Learning) الذي يستخدم الأجهزة المتنقلة، ويتطلب شبكة وأجهزة لاسلكية متنقلة تساعد في عملية الاتصال والتواصل؛ وفي هذا النوع من التعليم يحرّر المتعلم من حجرة الدّرس ويعطيه هامشا من حرية أداء وظائف متنوّعة ومختلفة في وقت واحد. ولا بدّ أن نشير إلى أهمية الكتاب الإلكتروني / (E-book) أو المرقمن، وفيه يتمّ تخزين محتوى الموضوعات التي يراد تقديمها للطالب على قرص مدمج، يتمّ مشاهدته على شاشة الحاسوب العادية داخل حجرة الدّرس، ويتمّ التّحكّم من ناحية الطّالب؛ باستخدام مؤشر الفأرة للانتقال من فصل لآخر، ومن صفحة لأخرى، ومن سطر لآخر، وهذا البرنامج عادة ما يجمع بين المعلومات أو البيانات المقروءة أو المكتوبة والرّسوم والصّور الثّابتة والمتحرّكة والمؤثرات الصّوتية والصّورية. وهذا التّوع من التّعليم يقدّم خدمة جليّة لمتعلّم اللغة العربيّة لما سيوفّره من مستلزمات فهم الدّرس وتخزينه، وهذا ما يجعل عملية الاسترجاع في ما بعد أسهل نظرا للممارسة الفعليّة للمعلومات المقدّمة لا استقبالها فقط. كما نشير إلى أهمية الوسائط المتعدّدة / (Multimedia) عبارة عن اتّحاد البرامج والأجهزة التي تمكن المستخدم من الاستفادة من: النّص والصّور والصّوت والعروض، والصّور المتحرّكة، ومقاطع الفيديو، وتعنى الوسائط المتعدّدة بعرض المعلومات في شكل نصوص، مع إدخال كلّ أو

بعض من العناصر في لقطات الفيديو الحيّة، وبخاصّة في تدريس بعض المقاييس التي ترتبط بالتّجربة أكثر من ارتباطها بالتراكم المعلوماتي أو المعرفي. وهكذا نلاحظ بأنّ الوقت المعاصر يتطلّب نقلة في عالم التّكنولوجيا رغم بعض المضايقات التي تعانيها، ورغم الكلفة المادية، ورغم الانقلاب الطّوعي على الطّريقة القديمة، ولكن الحيلة في كفايات الانغماس فيها بأقلّ الأضرار وننظر إلى تلك الخدمات التي تقدّمها مختلف الوسائط المتعدّدة في تعليم اللغة العربيّة، وأنّ اعتمادها تصل بالعملية التّعليمية إلى مبتغاها وتجعلها ممتعة وشائقة، فتهيء فرصا جديدة لتيسير الحصول على المعلومات عن طريق استشارة أكبر قدر من الحواس البشرية؛ لما لها من تفعيل مختلف الوسائط التّعليمية؛ حيث يقع الجمع بين:

- 1- عرض المحاضرة باستعمال (الپاورپوانت).
- 2- استعمال الهاتف الذكي من أجل التّرجمة الفوريّة.
- 3- استعمال تقنيات الفيديو والعروض المصوّرة.
- 4- التّواصل عن طريق البريد الإلكتروني ومواقع التّواصل الاجتماعي ورسائل الهاتف.
- 5- مشاهدة ملفّات الصّوت والصّورة، والاستماع إلى الرّسائل الصّوتيّة.
- 6- مزج المتعة في التّعليم عند استخدام السّبورة الذكيّة والألواح الذكيّة.
- 7- تنمية مهارة القراءة عبر مواقع التّواصل الاجتماعي من خلال قراءة المشورات والرّسائل المكتوبة، إضافة إلى ازدياد تنمية مهارة الكتابة.

- **الخلاصة:** مهما يكن من بعض السلبيات والحوادث اللسانية التي تجلبها هذه الوسائل التعليمية الحديثة، فإنّ عصر التكنولوجيا والمعلومات مفيد ومجدي للعربية، وله نتائج إيجابية كثيرة؛ حيث عمل ويعمل على خلق عالم جديد مبتكر، ولا شك أنّ كلّ ذلك يُسهم في تطوير الموارد البشرية، وفي ذات الوقت يعمل على تطوير العربية في معناها ومبناها. ومن المهمّ تعزيز دور التفكير الرياديّ الذي يستثمر في المواقع الإلكترونية العربية، وفي البرامج الرقمية المصمّمة باستخدام اللغة العربية، وغيرها من الوسائل الأخرى التي تساعد على بقاء اللغة العربية في المراتب الأولى، وتُعزز من قدرتها على مواكبة كافة التأثيرات الناتجة من النمو المتسارع للتطور الرقميّ.

الكبار لا يموتون[♥]

شكراً لجريدة الحوار على الخدمات الوطنية التي تُقدّم لرجال لهم أفضال على هذا البلد، شكراً للمدير المتألق السيد يعقوبي الذي يوجّه الحوار من أجل أن ينال موقعه في البناء الوطني بالتّأسيس، القائم على التّأسيس. شكراً للحضور الذين تجلّت هماماتهم بنور هذا الصّباح، ومن حسنكم تجلّى الأفق الوضّاح.

أيّها الحضور، ليس لي شهادة أقدمها أمامكم في هذه التّأبينية أو التّكريميّة التي نستعيد فيها مآثر (محمد الشّريف خروبي) وأنا لست من جيله، ولكنّ الشّيء الذي ترسّخ في ذهني أنّ المرحوم كان يأتينا باستمرار للمعهد التكنولوجي سنة 1974م بتيزي - وزو ليحاضر بالمنافحة ونحن الطّلبة المتكوّنين، وأذكر تلك الخطابات الرّنانة الوطنيّة التي كانت تحثّنا على الفداء للوطن، والغيرة على خدمة الوطنيّة، والإخلاص وصدق العزيمة، والعمل من أجل النّجاح، وتحبيب العربيّة والتّرويج فيها. كلمات وطنيّة تصدر من شخص قويّ الهامة، شخص واقف مدافع، ونحن له مصفّقون ومنفعلون ونميل إلى تبني الخطاب الحماسي... وهذا ممّا ترسّخ في ذاكرتي من مشاهدتي الشخصيّة، ولهذا اعذروني فأجد نفسي أمامكم فقيراً في الحديث عن مساره، ونضاله ومسيرته السياسيّة والتي انطبع فيها بخطاب المدرسة الجزائريّة بأفق الحزب الواحد، وأهداف مؤتمرات جبهة التّحرير. ولكنّي أملك بعض الكلمات التي لا تبكيه، بل تمجّده، لعظمة منجزاته، وأنا هنا

[♥] - ألقى الكلمة في تأبينية (محمد الشّريف خروبي) التي أقامتها جريدة الحوار، بتاريخ 17 أفريل 2021م. بمقرّ الجريدة.

لا أبكيه لأنه ليس ضعيفاً، والبكاء للضعفاء، وخروبي من الكبار، فالكبار لا يموتون بل يتناسلون. يتناسلون بالمخلصين الصالحين أمثالكم ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء 105.

وما أسجله على المرحوم (خروبي) ما سمعته وما قرأتُ عنه، وما عايشته خلال توليه بعض المسؤوليات الوطنية، وكلها تُسجل لصالحه. هي محاميد ومسكوكات خير على غرار: مهندس الإصلاحات التربوية + مؤسس المدرسة الأساسية + صاحب الأصالة والعروبة + صاحب تعريب الأجيال + الشخصية التي لا تساوم في الوطنية + القبائلي الفحل + المجاهد خروبي + مسار مهني حافل لمناضل فدّ + المنافع عن التاريخ الوطني + محارب شرس لمن يقول التاريخ في المزيلة + هدية الزمن لهذا الجيل... وهكذا فإنّ (خروبي) لم يميت، ولو أنه أصبح رسماً، ولكنه كان واقفاً بمشاريعه والأشجار المثمرة تموت واقفة، وكذلك الكبار لا يموتون إلاً واقفين، فهم لا ينحنون أبداً للعواصف، ولا يساومون على المبادئ؛ ومن ثمّ يفرضون احترامهم حتى على الخصوم والأعداء، وهذا أبلغ ما نُؤبّن به المرحوم الذي أصبح في العالم الآخر.

إخواني رحل الذين نفتخر بهم، فهل عزّ الرجال الذين نرقى بهم؟ وعزائي في رحيله أنه مناضل صلب، وخسرنا عنصراً من عناصر النقاء والمثابرة. لقد ترجل الوطني الاستثنائي، وأحياناً لا يعوّض الاستثنائيون، ولكن هي سلسلة من الأحداث التي تبقى عالقة في الأذهان، لأنّ دورة التاريخ تتأثر بموت العظماء، ولا يندثر منهم إلاً العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله حيث تبقى ذكراهم حيّة على الأرض قوة تُحرّك، ورابطة متينة تجمع، ونوراً ساطعاً يهدي وعطراً فواحاً يُنعش. هي العظمة، وذاك هو الخلود، فكلّ ما يخلفه العظماء من

ميراث وآثار مشهودة، هي أجمادٌ يُعترَبُ بها ويُفخرُ وأعمالٌ جليلةٌ يُنتفعُ بها وأفكارٌ نيرةٌ يُهتدى بها، كما قال الشاعر:

المرءُ بعدَ الموتِ أحَدوثَةٌ يفنى وتبقى منه آثاره
فأحسنُ الحالاتِ حالَ امرئٍ تطيبُ بعدَ الموتِ أخباره

أخواني، أخالني أن تصلَ أمثالُ هذه الكلمات إلى هذا الجيل ليعرفَ قيمةَ الكبار، وضرورةَ الاهتمامِ بهم، وأخذَ العبرةَ من مُنجزاتهم، وأحسبني لم أكن مُسرفاً إن تمنتُ لهم تبنيَ أخلاقِ كبارنا، وصدقَ أقوالهم، وتميَّزَ أفعالهم حتى يعلموا مقدارَ ما خسرتَه السَّاحةُ الوطنيَّةُ من أمثال (خروبي). وليعرفوا مقدارَ ما نفقده من ذاكرةِ الوطن، وأفضلَ شيءٍ هو الاعتبارُ والاحترافُ بهم قبل الاختفاء وتسجيلِ أسمائهم في سجلِ الوطن، وعلى محكِّ الذاكرة، لتبقى بصماتهم عاليةً فأنعِمُ بهم وبكم جميعاً! نَعَمُ هم العظماء الخالدون في مُتحفِ الذاكرةِ الجمعيَّةِ للأمة، وهم مخزون العطاء الذي لا ينبض فيها. ومع ذلك تقتضي المناسبةُ أن نقول "وتستمرَّ الحياة". وبالفعلِ الحياة بعد هؤلاء العظماء ما زالت مستمرةً فالشمس ما زالت تشرق، والأيام ما زالت تتوالى والزمن لم يتوقف، ونحن ما زلنا هنا ما دام في الجسد دمٌ، وفي القلب نبضٌ وفي العمر بقيَّةٌ، فلماذا نعيش بلا حياة، ونموت بلا موت؟ وهكذا جميعنا نحرض على الوفاء للمُخلصين، ونقول: نفعنا الله بعظمة العظماء، وببركات الأنبياء، ورحم الله الشُّهداء، وأطال الله أعمار الأصفياء، وجعلكم من الأتقياء والمجد والخلود للشُّهداء والزعماء، وتحيا الجزائر.

اليوم العالمي للكتاب ♡

- **الديباجة:** أهّلنا في حمّام الضّلعة، السّلام عليكم جميعاً، ورمضان كريم وكلّ عامّ وأنتم في أحسن حال. وأجد نفسي في مركز الحوران/ Centre de Haourane سابقاً، أمام إخواننا من قبائل الخرابشة والدّريعات وعشيرة أولاد سيدي عمر؛ أشرف هذه البلدة، وغيرها من القبائل التي استوطنت المكان الذي يحوي الحمّامات المعدنيّة، في كلّ من: عين مازر وعين تافاسون في الدّريعات، وعين الحمّام الواقعة بالذكّارة وأيضا الثروة الغابيّة نجد غابة الحوران، وغابة أولاد سيدي عمر، كما نجد الصّخرة العجيبة التي تتحرّك بها السيّارة تلقائياً. هذا المكان التّاريخي الذي مرّ به العقيد عميروش، وعبد القادر السّحونوي، وفيه استشهد زرنوح محمّد.

إخواني عندما نتحدّث عن حمّام الضّلعة نتحدّث عن مجد المسيلة الحضارة والتّاريخ، عن بلاد الحُصنة، التي كانت مملكة بربريّة مستقلّة عن الرّومان ولُقّبت بهذا الاسم لموقعها بين سلسلي الأطلس التّلي والأطلس الصّحراوي. المسيلة الحضارة استذكار دولة الحمّاديين، سلالة الصّنهاجيين وندكّر (حمّاد بن بلكين) الابن الثّاني لـ (بلقين بن زيري) وتبقى آثار قلعة بني حمّاد شاهدة على قوم مرّوا من هنا، وتركوا بصمات كثيرات على غرار بعض الدّول البربريّة التي واصلت المسيرة، ودخول بني هلال هذه المنطقة التي عملت على التّعريب

♡ — أعدت الكلمة لتلقى في اليوم العالمي للكتاب. ببلديّة حمّام الضّلعة، بتاريخ 23 أفريل 2021م. دار الشّباب.

والتآلف والانسجام بين الساكنة. حمّام الضّلعة بما يشهد لها من شعبيتها التي لا تزال مجسّدة في بساطة قضاء المصالح المرسله بين الناس عبر أسواقها الشعبيّة، وعبر التّكامل بين المرأة والرّجل في ترداد المقولة الشعبيّة الرّجل هو من يمدّ والمرأة تشدّ. حمّام الضّلعة لها ما لها من علماء وباحثين من الذين قَضَوْا، ومن هم على قيد الحياة: وأشير إلى صاحب اللّمة الكافيّة في شرح الكافيّة إبراهيم قلمين، وصاحب القلم السيّال منتج (قبس الرّائي + الشّعْر الحصيْف) الأستاذ بشير جعيّج، ويجاوره في اللقب الفاضل عبد الوهّاب جعيّج صاحب (الأمن المعلوماتي وإدارة العلاقات الدّوليّة) وغيرهم من المعلّمين الذي أرسوا بنيان التّعليم وكانوا لَمَعاً بما أخرجوه من علماء لهذا الوطن، على غرار عمر بن الشّيخ صالح بن عبد الكريم، واسمه في الوثائق الإداريّة الحماوي العرابوي، عضو جمعيّة العلماء المسلمين والذين يجاورون هذا الفضاء الكبير على غرار (موسى الأحمدي التّويوات) والبشير الإبراهيمي، والطّيب الوطني، وأحمد طالب، وعبد المجيد علاّهم، والعالم الجليل (أحمد بوشاق)... وبهذه الأسماء السّامقة ارتقت مسيلة في المسيرة السّياسيّة والعلميّة على غرار رُقّيّ جامعتها في تصدّرها وطنياً، وفي تقدّمها مغاربيّاً، فأنعم بكم أيّها المسيلّيون! وماذا عساني أقول وأنا في حضرة أولياء الله الصّالحين لزوايّة الهامل، والنّسب الدّمي لآل بوداود بأقبو. فأجدني فقيراً في القول في ما يتعلّق بهذه الحضرة المكرّمة التي حُظيتُ بها وأنا أمامكم أستفيد، ومن دعائكم أستמיד، وأطلب العون ليكون لي من العميد.

1- أهميّة المناسبة: هي مناسبة عالميّة تُسمّى اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلّف، وهو احتفاء يُقام كلُّ عامٍ في 23 أبريل بعد إقراره من اليونسكو

1995م، وهو تاريخ رمزيّ في عالم الأدب، كونه يُوافق ذكرى وفاة عدد من الأدباء العالميين مثل: ولِيم شكسبير / (William Shakespeare) + غارثيلاسو دي لا فيغا / (Garcilaso de la Vega) + وميغيل دي ثيربانتس / (Miguel de Cervantes)، وضمن الاحتفاء بهذا اليوم، تقوم اليونسكو بالتعاون من منظمات دولية معنية بصناعة الكتاب باختيار مدينة ما عاصمة دولية للكتاب، وفي ذات الوقت يكون الاحتفاء بأهمية الكتاب على مستوى كلّ المدن، لتشجيع الناس على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات، وتشجيع الشباب على التأليف، واكتشاف مُتعة القراءة واحترام الإسهامات الفريدة الوطنية والعالمية التي قدّمها أدباء دفعوا بالتقدّم الاجتماعيّ والثّقافيّ للبشريّة إلى الأمام. وتحيي بعض المدن هذا اليوم بإنزال كبير للكتاب في شوارع مفتوحة، وعلى الأرصفة يتطرح الكتاب وينتظر المقتني، وتتبعه سلسلة من المناظرات والمحاضرات وتبادل الشّعْر والملاحم وإقامة الجلسات الفكرية حول أهمية الكتاب. فما أحوجنا إلى هذا الإنزال الكتبي، وهو أحوج ما نكون اليوم للقراءة في الهواء الطلق، وتوطيد أواصر الصلّة بيننا بهدايا الكتاب، وتوسيع آفاقنا وتخفيف أذهاننا وإطلاق العنان للإبداع الكامن فينا. وهذا هو شهر أفريل الذي يشهد في بلدنا أيّاماً خالداً: اليوم العالمي لكتابة رسائل الأطفال + يوم العلم + شهر التراث + اليوم العالمي للكتاب. وحن الوقت للإشادة بأهمية الكتاب، وتعزيز ثقافة القراءة لدى الأطفال، وزراعة حبّ الأدب فيهم مدى الحياة، والعمل على خلق مجتمع قائم على المشاركة في قراءته ومعارفه، وذلك كي يتسنى للقراء في جميع أنحاء العالم التّواصل في ما بينهم وتخفيف مشاعر الوحدة على

بعضهم البعض. ولا يسعنا في هذا المقام إلا دعوة الجميع لغرس ثقافة حبّ الكتاب، وحبّ المطالعة، والتفنّن في صناعة الكتاب. وتبعث السيدة المديرية العامّة لليونيسكو (أودري أزولاي / Audrey Azoulay) برسالة نصيّة مفادها "يملك الكتابُ هذه القدرةَ الفريدة على تسليتنا وتثقيفنا، وكذلك على تمكيننا من الخروج من عالم الذات لاكتشاف عوالم أخرى، أو للوقوف على ثقافات الآخرين من خلال لقاء فكريّ مع كاتب أو كاتبة بين دفّتي كتاب تمكينا من سبر أغوار ذاتنا في آن معاً. والرّسالة مدوّنة باللغات الأُمّيّة السّت: English | Русский | Español | Français | العربية | 中文 |

أيّها الحفل البهيج، إنّ الاحتفاء باليوم العالميّ للكتاب وحقوق المؤلّف إنّما يتمثّل في تعزيز التّمثّل بالكتب والقراءة، وفي هذا اليوم تبرز القوّة السّحرية للكتاب، بوصفه حلقة وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل وجسراً يربط بين الأجيال. ولذا لا بدّ لنا من مناصرة الكتاب وحقوق المؤلّف بتعزيز العمل على محو الأميّة القرائيّة، والتّعلّم مدى الحياة، فمَعَ المحبرة إلى المقبرة على رأي شيوخنا الأجلّاء، والمضي قدماً في الانتفاع المفتوح على العلوم والقراءة من خلال الوسائل المتاحة ومُشاركة كلّ الفواعل النّشطة: الناشرون+ المعلّمون+ أصحاب المكتبات+ المطابع+ الباعة+ مؤسّسات النّشر+ وسائل الإعلام+ المؤلّفون+ المبدعون+ المجلّدون... وهي أطراف معنيّة بالاحتفاء بتعزيز الكتاب بوصفها وسائل قيّمة لتبادل المعارف والتّفاهم والانفتاح على عالم يتّسم بالتّنوع؛ ولأنّه مع الكتاب وقرينة صاحب الكتاب تُسافر عبر الزّمان والمكان والخيال إلى شتى البقاع والأصقاع، نعيش الحاضر ونسترجع الماضي، ونفتحم المستقبل بشّتي علومه وأسواره، ونعيش

مع كل كتاب حياة أخرى، ونزور عوالم جديدة بلا أجنحة ولا أقدام. وقد صدق المتنبي الذي قال:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابعٍ وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كتابُ

إخواني بهذه المعاني الكبيرة أرادت اليونسكو تقدير الكتاب وصاحب الكتاب بتشجيع القراءة بين الكبار والصغار، واستكشاف مُتعتها وفوائدها بوصفها غذاءً للروح ومحفزاً للعطاء والإبداع، وتجديد الاحترام لكل الذين مهّدوا الطريق للتقدّم الاجتماعي والثقافي للإنسانية جمعاء. ونحن لا نرى إلا ضرورة تأكيد هذا العمل العالمي الذي يُطلعنا على قيمة ما يحمله الكتاب بين دفتيه من قيمة تراثية للمعارف، وما يستوعبه من تراث غير مادي، فهو نافذة على التنوع الثقافي، ووسيلة للحوار، وثمره لجهود كتاب ومبدعين يكفل لهم قانون حقوق المؤلف حمايتهم. وها نحن في حمّام الضّلعة نعيش الحدث رغم بعض الظروف الصحيّة التي فرضها الحجر الصحي، لكن يلتقي الناشر والمبدع والمؤلف والمطبعي والتاجر في جلسة حوار تحفيزية لمزيد من تحريك قدراتنا الذهنية والإبداعية للاعتبار بالحدث العالمي في جلسة صلح لخفض التوتّر عن طريق تغذية العقول وتوسيع آفاق التواصل وتبادل المعارف والكتب على نطاق واسع. هي جلسة من جلسات العلم في بلد العلم والعلماء، جلسة من جلسات الاختلاف والصّراع بين الكتاب الورقي والكتاب الرقمي، ونحن نشهد التطور على صعيد النّشر والتأليف والترجمة والتوزيع بين النمط التقليدي والنمط المعاصر، جلسة نراها تستعرّ ونحن نراقبها باهتمام بالغ، فمن ينتصر على الآخر؟ وقد يكون من الصّعب التنبؤ بمستقبل الكتاب في ظلّ التّغيرات التكنولوجية السريعة الخطى، إلا أن

الإقبال الذي تشهده المكتبات ودور الكتب، ومعارض الكتاب السنوية نخبنا أنّ الكتاب الورقي لا يزال يحتفظ بجاذبيته وخصوصيته وأنصاره. كما يبرز هذا اليوم أهمية حقوق المؤلف في ظلّ الكتاب الرقمية الذي أضحت تهدر فيه حقوق الملكية الفكرية. وقد أتت هذه التقنيات بالكثير من التعقيدات والتحديات، التي هضمت حقوق المبدعين. ولكن تهون المسألة عندما نعرف أنّ ميدان القراءة مفيد للعقل، وأنّ الكتاب الرقمي له أثره في نقل المعلومات والبيانات والمعارف بصورة تعجز الوسائل البشرية عن ملاحظتها ومراقبتها والسيطرة على تدفقها.

2- أهمية القراءة: إنّ القراءة غذاء العقل، وتمدّه بالتجارب والمعارف والمعلومات التي يمكن أن تفيده في الوقت الحاضر أو في المستقبل، لذا من الضروريّ الحرص على اقتناء الكتب الجيدة المفيدة، كما تُعدّ القراءة مُتعة من نوع آخر، فهي تنقل قارئها من عالم إلى عالم آخر، ومن عصر إلى عصر مختلف العوالم، وتعرض عليهم الكثير من القصص والمواقف التاريخية التي يمكن الاستشهاد بها في جوانب الحياة. إنّ القراءة تفتح آفاقاً جديدة للقارئ ويقال: إنه كلما زادت قراءة الشخص زادت الحصيلة المعرفية التي يمتلكها، وتغيّرت مواقفه في الحياة، إلى جانب أفكاره وخيالاته. ولهذا نقرأ كي لا نبقى وحيدين، نقرأ لنكون من الصّحبة؛ لأنّ حياة واحدة لا تكفي، ففي القراءة نحن نعيش حيوات كثيرة، ونلتقى مع شخصيات عديدة، ونتعلّم أشياء كثيرة مهمة، والقراءة ضرورة مثل الماء والهواء. ألم يقل ديننا الحنيف لنبيّ الأمّة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ العلق 1- 3. وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أفضل الصدقة أن يتعلّم المرء

المسلم علماً ثمَّ يَعْلَمُه أخاه المسلم" (رواه ابن ماجه). عبارات مؤثره عن القراءة ودور الكتاب في حياتنا اليوميّة والدائمة فهو كما يقال: "الكتاب الجيد يُقرأ مرّة في سنّ الشباب، ومرّة في سنّ النّضج، ومرّة أخرى في الشّيخوخة كالبناء الجميل الذي يجب أن يُشاهد فجرّاً وظهراً وتحت ضوء القمر". اقرأ كتاباً جيّداً ثلاث مرّات أنفع لك من أن تقرأ ثلاثة كتب غير جيّدة. إنّ الكتاب هو المجلس الذي لا يُطريك، والصّديق الذي لا يُغريك، والرّفيق الذي لا يَمَلُّك، ولا يعائبك إذا جفوته، ولا يفشي سرّك، وبيت بلا كُتُبٍ جسدٌ بلا روح، وقلّ لي ماذا تقرأ أقلّ لك من أنت. وبالفعل كلّ ما أخذناه من الحياة من تجارب كانت مرسومة في الكتب، ويبدو لي أنّ كلّ ما نعرفه تعلّمناه من الكتب.

تلکم غيظ من فيض من فضائل القراءة وأهميّة الكتاب في حياتنا التي تستمرّ بالكتاب، والقراءة فعل رُقيّ وسُموّ وتهذيب، وكلّ الشّعوب الرّاقية في سلوكها هي شعوب تقرأ، والقراءة معيار حضارة الأمم، وأمة تقرأ أمة لا تُستعبد، وأفضلّ أن يثور عليّ قارئ من أن يثور عليّ جاهل؛ فالقارئ مثقّف يحافظ على البنية القاعدية، والجاهل يأتي على الأخضر واليابس وهذا ما نأخذه من الكتب. ودعوني أردّد قول محمّد الحلبي:

إنّ غاب الأصحاب فصاحي الكتاب
فيه حديث السّممر مزيّن بالصّور
يحاو به البيان وماله لسان
كم قصّ لي حكاية لطيفة للغاية
يروى لي الأشعار والأدب المختار
في العلم في السّطور يسري إلى الصّدور

- **الخاتمة:** ومع كل ما قلناه، فإنّ المعركة القادمة ستكون فاصلة بين ضعف المقرئية أو زيادتها، وبين الكتاب الورقيّ والرّقميّ، وبين غلق المكتبات واستبدالها بالآلة، وبين الانتشار للكتاب والابتسار. واية معركة تنتصر في ظلّ الثورة الرّقمية التي يشهدها العالم، وتحوّل الكتاب إلى سلعة بسيطة؛ وقد تكون مبتذلة رخيصة. ولا شكّ أنّ التطوّر السّريع في إنتاج الحواسيب وظهور لوحات القراءة الرّقمية بأنواعها المختلفة، سيترك أثره في عمليّة نشر الكتب. ولا شكّ أنّ هذه المعطيات سوف تطال دورالمكتبات كهيكل معرفيٍّ وجزءٍ من البنية التّحتيّة لإقامة مدن معرفيّة في صنع مجتمع المعرفة، فكيف السّبل / التّخطيط من الآن للخروج من مأزقنا الوجوديّ الحضاريّ الذي يقع الاهتمام بالمكتبات، وتشجيع التّأليف وتطوير صناعة الكتب، وإقامة المكتبات بصيغتها الورقيّة والإلكترونيّة ونحن مجبرون على التّعوّل، ولا بدّ من الاستعداد.

اليوم العالمي لحرية الصحافة[♥]

- **الديباجة:** تحتفل الأسرة الإعلامية في هذا اليوم العالمي لحرية الصحافة لسنة 2021م بشعار (المعلومات كمنفعة عامة) ونقول من هذا المكان للصحافيين لا تنتظروا حتى يتمّ حرمانكم من المعلومة للدفاع عنها بل اجثوا عنها وبنّوها بمهنية وبموضوعية وحياد كما اقتضتها قواعد مهنتكم. أيها الإعلامي وأنت تعرف أننا نعيش الذكرى الثلاثين لإعلان (وندهوك) الذي يعود تاريخه إلى المؤتمر العالمي الذي عقده اليونسكو في (ويندهوك) في عام 1991. وكان المؤتمر في الثالث (3) من مايو باعتماد (إعلان ويندهوك) التاريخي لتطوير صحافة حرة ومستقلة وتعددية. وإن المناسبة التاريخية تقتضي ألا تمر هكذا، فأينا في المجلس الأعلى للغة العربية أن نسهم في إحياء المناسبة بالتواصل مع بعض إعلامينا للحديث عن ترسيخ هذا اليوم لضمان بيئة إعلامية حرة وأمنة للصحافيين، وأخلاقية لمهنتهم النبيلة. وفي الحقيقة إن تخصيص هذا اليوم يأتي للتذكير بالصعوبات التي يلقاها رجال الإعلام في سبيل القيام بمهامهم، وما له علاقة بتوصيل الخبر اليومي على السريع وفق المهنية رغم المضايقات التي يعرفها الإعلامي في يومياته العادية، دون الحديث عن الظروف غير العادية على غرار مضايقات التوازل.

♥ - ألقىت الكلمة في اليوم العالمي لحرية الصحافة في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية في لقاء تكريمي لرجال المهنة، بتاريخ: 3 مايو 2021م.

أيها الإعلاميون، نرحب بكم في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية الذي فتح ويفتح لكم أبوابه في دورات تكوينية، وعمل على تقديم المدونات ذات العلاقة بحسن الأداء، ويسعى دائماً بمشاريحه إلى الرقي بلغة الإعلامي لما للغتك من تأثير وأثر. وإنا نبارك لكم هذا اليوم العالمي الذي نطمح أن يكون مُحفِزاً لتقديم الأفضل، وفي ذات الوقت هو استلهاماً لروح التحدي في السعي لرفع المضايقات، وتحدي الوباء، بالجمع بين مُعطيات الراهن، وما يجب أن يكون عليه الحال. تلکم هي قصّة التحدي الإعلامي الذي يُعطي ويُعطي ولا يزال يُقدّم المزيد من أجل تبليغ رسالته كاملة فأنعم بما تقومون به يا رجال المتاعب! ومن خلال هذا اللقاء نروم تقديم بعض الأفكار ذات العلاقة بموضوعنا في هذا اليوم، وأوزع كلمتي في النقاط التالية:

1- **قراءة في شعار اليوم العالمي لحرية الصحافة:** للوصول إلى أفضل النتائج لا بدّ من البحث عن الطريقة السهلة المثلى للوصول إلى مصدر الخبر، وهذا شعار اليوم العالمي لحرية الصحافة لسنة 2021م الذي يروم تحقيق مبدأ حرية الصحافي في الوصول إلى المعلومة لتكون صادقة. ولا بدّ من تحقيق روح المادة التاسعة عشرة (19) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وتصبّ في حرية الإعلام في الوصول إلى المعلومات، وفي ذات الوقت تمكين الناس الوصول إلى معلومات دقيقة ونزيهة وحيادية، ممثلة في تعدّد الآراء، والوسيلة للتواصل تواملاً نشاطاً عمودياً وأفقياً، وبالتالي المشاركة في الحياة النشطة للمجتمع. ولهذا علينا العمل وفق تراتبية:

• لا بدّ من توافر بيئة تنظيمية وقانونية تسمح بظهور قطاع إعلامي متعدّد الآراء ومنفتح؛

- ولا بدّ كذلك من توافر الإرادة السياسيّة لدعم ذلك القطاع وتوافر سيادة القانون لحمايته؛
- لا بدّ من وجود قانون لضمان الحصول على المعلومات وبخاصّة المعلومات في المجال العامّ؛
- لا بدّ من توافر المهارات التعليميّة اللازمة لدى متابعي الأخبار ليتمكّنوا من تحليل المعلومات تحليلاً نقدياً، وتجميع ما يصلهم منها لاستخدامها في حياتهم اليوميّة، ووضع وسائط الإعلام موضع المساءلة في ما يتّصل بأعمالها.

وكما نلاحظ بأنّ العمليّة متداخلة؛ حيث تستدعي التزام الإعلاميين بأعلى المعايير الأخلاقيّة والمهنيّة التي وضعها الممارسون هيكلاً أساسياً لحرية التعبير التي يجب أن تسود. وبناءً على هذا الأساس، تخدم سائط الإعلام كهيآت مُنتجة للأفكار، وينخرط المجتمع المدني مع السّلطات وصنّاع القرار ويتدفّق سيّل المعلومات في المجتمعات بين بعضها البعض. ويمكن تفسير الحقّ في الحصول على المعلومات ضمن الأطر القانونيّة التي تُدعم حرية المعلومات، كما تنطبق على المعلومات التي تحتفظ بها الهيآت العامّة، أو بمعنى أوسع لتشمل الوصول إلى المعلومات التي تحتفظ بها الجهات الفاعلة الأخرى وتعميمها؛ حيث تصبح مرتبطة ارتباطاً جوهرياً بحرية التعبير.

2- الالتزام في حرية الصحافة: سيحلّو الكلام إذا بدأنا تحليل هذه النقطة بعدم الوقوف عند النّصائح لكثرتها، بقدر ما نريد استهداف الالتزام الصحافي الذي يجمع بين حسن الأداء والعمل ثمّ المطالبة بالحقوق، بين

الممارسة وحسن الممارسة، ونعرف أنّ واجبات الصحفيين ثقيلة وما أكثرها. ونشير إلى بعضها تذكيراً: توصيل أفكار الأمة لتعلم حقائق الأحوال + نشر كلّ ما يرقى أفكار الأمة والوطن + مهمّة الصحفيين الإصلاح والتثذيب + الصحفي يرتقي فوق كلّ تدجيل وخرافة وتدليس + الالتزام بأخلاق المجتمع + السعي الصريح تجاه التكامل الوطني... ولا شك أنّ العمل الصحفي يتمتع بأهميّة لا تقلّ عن أهميّة أسمى الأعمال الإنسانيّة، ولهذا تتمتعون بالسلطة الرابعة نظراً لأهميّة دوركم في تعميم المعرفة والتّنوير، وهذه حرّيّة ضمنيّة في الحقيقة. ومع ذلك فإنّ حرّيّة الصحفيين في واقعنا الحالي تكون في خلق قاعدة متينة للتّهوض بصحافة نزيهة، وهذا يحتاج إلى التوعيّة بمعايير العمل الصحفي. ويكون البدء من مفهومي: الموضوعيّة والحياد؛ وهما ضروريان ووضعهما في ميزان زيادة قوى البلد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من الضروري تحقيق أخلاقيات العمل الصحفي بما يعزّز دوره في المجتمع على أنّه يُسهم في عمليّة البناء. وهذه معادلة لا تكون إلاّ بجرية الرّأي والتّعبير والحقّ في الكلام، والحقّ في حماية الحريات العلميّة والتّعليميّة والفنيّة والأدبيّة والحقّ في إنشاء المحطّات التّلفازيّة، وإصدار الصّحف اليوميّة، وتعدديّة الصّحافة ووسائل الإعلام، وتجاوب الحكومة والسلطات السياسيّة مع الصّحافة الحرّة، وهذا متوفّر في بلادنا بقوة عندما ننظر في الضّخ الإعلامي الفضائي أو المكتوب، وننظر الباب الأوّل من الدّستور في المبادئ العامّة التي تحكم المجتمع الجزائري، وبخاصّة المواد 48 و50 و51 نجد الضّمان التّام لحرّيّة الصّحافة، وكلّ هذا ميزة نسجلها لمكتسبات الصّحافة، بله الحديث عن الصّحافة الإلكترونيّة التي لها امتدادات شبكيّة لا تُحصى، في مجال هوامش

الحرية، فأنعم بها من حرية! ومع كل ما ذكرناه، فإنه يجب أن تكون هناك ممارسة إعلامية مُحترفة مهنية مُضيفة عن طريق مُدونات أخلاقية بعيدة عن الابتزاز والتشهير، وكل ما يدخل في الخصوصيات، وهذه كذلك حرية تدخل في منظومة احترام الأخلاقيات، وضرورة التفاعل الإيجابي مع الأمن الوطني في هذا المسار الذي نشهد تحولات عميقة في جزائر التغيير، جزائر حرية التعبير من خلال المساءلة الإعلامية وما يتبعها من مجالس مُنتخبة.

وهكذا أقول، لا بد من نسج معادلة بين أخلاقيات المهنة وسرعة الانتشار والتفاعل في ظلّ المستجدات الحديثة ليكون الخبر الصحفي راقياً عبر قيم الجودة والسرعة والتفعية وعبر التقاطعات التي بينها الصحفي بين المواد الإعلامية، وبين ما يطرح من إشكاليات معيار الأمانة الصحفية وأخلاقيات العمل الصحفي ومصادقته. وعبر الحرية التي لها أطرها النظامية التي لا تصل إلى انتهاك أخلاقيات الممارسة المهنية. ويبدو لي بأنّ التلازم بين الحرية والمهنية والعمل الصحفي يفضي إلى صحة المعلومة، وصدقيتها وإلى درجة الوثوق بها؛ لأنها في الأخير تعني الحياد والموضوعية. وبخاصة في ظلّ انتشار عديد المحامل الاتصالية المنافسة ووسائل التواصل الاجتماعي، وتقديم السبق الصحفي على معايير الموضوعية، والدقة والمصادقية في العمل الصحفي.

3- الحرية في الالتزام: يبدو لي بأنّ الحرية هنا تعني ميثاق الشرف في الإعلام بتقديم الحلول لبناء مجتمع أكثر استنارة واندماجاً، بعد أن أصبحت قاعات التحرير تعاني الصعاب للحفاظ على قاعدتها الأخلاقية، في ظلّ تضخم المضايقات في العمل الصحفي، ولكن الحرية هنا تكمن في الالتزام بمعايير الأخلاق المقررة في الموثيق والإعلانات والمعاهدات العالمية كالدقة

والمصداقية في المعلومة، والموضوعية والتزاهة والتزام استقلالية التغطية الإعلامية، واحترام الحقيقة، وحرية التعبير، ومراعاة التوازن والإنصاف والتعددية، وإعطاء مكونات المجتمع فرصة التعبير في الوسيلة الناشرة بالرد والتصويب، وعدم إطلاق الأحكام المسبقة، وتوخي الدقة والوضوح في المصطلحات، ومراعاة التعبيرات المستخدمة في التغطية الصحفية، وعدم استغلال الوضع الاجتماعي والإنساني والاقتصادي في مناطق التغطية وذكر المصادر وتحديد بدقتها، والإشارة إلى أسباب التحفظ على ذكرها عند الحاجة إلى إخفائها، وحماية المصادر والشهود وعدم الإفصاح عن شخصياتهم باستثناء الضرورات القانونية، والامتناع عن نشر الصور ومقاطع الفيديو التي تُسيء إلى حرمة وكرامة الضحايا واحترام حقوق الطبع والنشر والتأليف، والإشارة إلى المصادر عند الاقتباس، والتمييز بين مواد الإعلان والدعاية والرعاية وبين المواد الصحفية، والامتناع عن الترويج لمنتج أو سياسة أو تنظيم عبر تقديمها على أنها مادة صحفية أو إخبارية، وتجنب التحقير والقبح والذم بالأفراد أو الجماعات أو المؤسسات والهيئات.

4- **الصحافة والمهنية:** تُعتبر مهنة الصحافة من أهم وسائل نشر الأخبار والأحداث العاجلة وتطورات الأحداث الجارية، وبخاصة الأحداث التي تشغل معظم الناس، والصحافة من أهم وسائل الأخبار والإعلان، وقد عرفت هذه المهنة منذ فترة طويلة جدا قبل اكتشاف الأجهزة التلفازية والوسائل الإخبارية الحديثة. والصحافة لها دور مهم في نقل الأحداث إلى الناس في جميع مناطق العالم، حتى يكونوا على دراية بما يحدث حولهم. وهذه كلها تدخل في المهنة التي يلتزم بها رجل مهنة المتاعب. بالفعل أنتم رجال

المتاعب، ولكم وسام السلطة الرابعة، وأضيفت لكم السلطة الخامسة، وهل أضيفت لكم مجانا؟ أضيفت لكم لأثركم وتأثيركم وفعلكم النبيل، فأنتم لها بما تشير لكم منظمة (مراسلون بلا حدود) لأنكم في الواجهة، ومع ذلك فأنتم واقفون رغم التشهير أحياناً، والتقود في أحيان أخرى، مع ما يعرفه وضع العمل من إشكاليات، وبخاصة في سياق الأزمة الصحية التي أثرت إلى حد ما في مهنة السبق، ولكن استمرت الحياة.

إخواني رجال الإعلام، لا نقف في بعض المقاييس على غرار: إيدلمان+ شبكة مراسلون بلا حدود+ ضد قانون الأمن القومي... والتي تضع الدول في الخانات الخضراء والحمراء والسوداء، أو في تلك المقاييس المغرضة التي ترفع البطاقات الصفراء ضد دول، أو تلك الإنذارات التي تقدمها بعض المنظمات، بما تضعه من تصنيفات حسب المناطق، بقدر ما نريد التذكير بالمهنية التي تتطلب مواجهة المعلومات المضللة أو المدلسة، والسعي لتطوير المهنة بموضوعية وسقف مستقبلي بقاء.

5- صفات الصحفي الناجح: لا نقول يجب الذي يجب، بقدر ما نوصي بضرورة الالتزام بالقواعد المهمة مثل: إتقان اللغة العربية بطريقة ممتازة+ المصداقية في الكتابة ونقل الخبر+ التأكد من مصادر الأخبار+ الموضوعية في كتابة العمل الصحفي+ الثقة في النفس+ الفصل بين الحقيقة والرأي+ الدقة العلمية التي لا تُحيل إلى اللبس+ الحياد+ الابتعاد عن الحشو. ومن وراء هذا دعوني أقول: من الممكن للصحافي أن يتعد عن الإسهال الفكري، وعن إثارة الرماد الذي لا فائدة منه، ويمكنه ألا يلقي بمسامير في رأس المفجوع، ولا يزكي الأخطاء الشائعة، ويبعد عن الركافة، وعن استعمال العامية والألفاظ

الدّخيلة، من الممكن للصحّافي أن يغرس ذائقة صحافيّة تُلامس إحساس القارئ أو المستمع بتجديد أسلوبه؛ لأنّ اللغة تموت بترديد ذات الأنماط التي عفا عليها الماضي، من الممكن أن يكون رجل الإعلام وسيط تعاشٍ، ويفتح باب الحوار للعيش معاً بسلام، من الممكن أن يكون أ نموذجاً في رفع التّحدي في التّوازن، من الممكن ولا يوجد المستحيل إذا كانت التّيّات صادقة للتّحسين والتّفعيل والتّأثير تحت سلطة لها التّأثير، وبخاصّة وهو يستعمل لغة لها من المرونة ما لها، ولها الجمال وحسن المرافعة التي تقع على الأسماع كوقوع رأب الصدع وجبر الخواطر. ولهذا ندعو رجال الإعلام كلُّ في موقعه إلى ضخّ دماء جديدة في العربيّة بما تبتدعونه في نشاطاتكم؛ تستفيد من مستواكم اللغويّ شبكات التّواصل الاجتماعي التي تبحث دوماً عن الجديد وتعتبر خبر الأمس قديماً، فالصحّافة يجب أن تكون مدرسة متغيّرة على الدّوام.

إخواني، إنّ التّطوير والحداثة يجعلان السّلطة الرّابعة سلطة متجدّدة والصحّافي البارِع يستخدم من الكلمات ما يكفي لنقل المعلومة، ويطبّق القاعدة الدّهبيّة "لا تقل في كلمتين ما تستطيع أن تقوله في كلمة". وما أحرص عليه في هذه المناسبة أنّ رهان تحديّ حسن استعمال العربيّة يقع عليكم بعد المدرسة، والحرص على الفصحى والفصحى ثمّ الفصحى وبفضل الإعلاميين أمثالكم والغيورين على السّلامة اللغويّة تنتصر الفصحى ورجائي ألاّ نقدّم السّبق الصحّافي على حساب سلامة الفصحى. ولا بدّ أن نبحث عن أسرارها وعن جمالها وحسن تقديمها واحترام أجروميتها، وما له علاقة بالسرد والتداوليّة البسيطة، والبحث عن الإمتاع والفكر التّقدي

المضيف. ونرجو من خلال هذا المقام والحدث العالميّ بامتلاك ناصية اللغة التي تجمع المهارات الأربع: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة.

- **الخاتمة:** لا أريد الإسهاب في هذا الموضوع الشّائق، بقدر ما أشير إلى التحوّلات الكبرى في ميدان الإعلام وهو مؤسّسة كبرى تدير حيث تريد أن تدير، ونرى تحوّل الجمهور إلى منتج عبر صحافة المواطن، وقد مكّنت الإنسان من تمثيل نفسه بنفسه والتعبير عن رأيه عبر مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات، ويصنع الأحداث عبر: التوترة والفسبكة والإنستغرام والسناپ شات والماي سبيس وغيرها من الحامل التي يستغلها الناشطون في نشر الأخبار العاجلة بصورة مستمرة، قد زادت من دور الشّابكة في الترويج لسياسة التعبير أكثر من أيّ وقت مضى. فما موقع الإعلامي في هذا الزّخم التنافسي؟ وماذا يقدم ليكون من المتنافسين؟ وكيف تكون المحافظة على اللغة العربيّة في ظلّ ما تضخّه من هجّة لغويّة؟ أسئلة مقلقة وبخاصّة أنّ معظمها تصدر من مدوّنين شباب يحتاجون إلى مرافقة من قبلكم؛ ليحصل التّكامل الإعلامي على نطاق جيّد يخدم البلاد والعباد. تلكم إخواني رجال الإعلام هي أسئلة الحاضر الإعلامي الذي نروم أن تسهموا فيه، وأنتم تعيشون حدث هذا اليوم، ألا ترون أنّ بعض الحريات لم ترافقها المسؤوليات، كما غابت عنها الممارسة المهنية. تلكم مضايقة معاصرة أقرب إلى إعلام هجين لا يقبل القيود العلميّة ليس إلّا.

إخواني السّلطة الرّابعة والخامسة، بكم نتألّق ونرتقي، ولا أقول أنقذوا العربيّة من رجال الإعلام، بل أقول: ألقوا بالعربيّة لرجال الإعلام يطوّروها ويعملون على نشرها ورفدها، ولا نقول (قل ولا تقل) بل نقول (قلّ ولا

حرج) لأننا ندرك قيمة كلمة الصحافي وما لها من بصمة في الاستعمال. وكلمتي هذه رؤية جديدة تشمل كلّ الوسائط الإعلامية بالدعوة إلى إقرار مدونات سلوك تشمل كلّ الأطراف المشاركين في إنتاج مضامينها، وهذا ما استخلصناه من رصد علمي تمّ عن طريق الاستبانة التي وزعت على فرق التكوين التي أنجزها المجلس الأعلى للغة العربية من الإعلاميين من سنة 2018م إلى الآن. كما خلصنا إلى أنّ العربية بخير؛ لأنّ الإعلامي شهد نقلة في تطوير لغته، رغم بعض الأحداث اللسانية التي يُرأب صدغها بسهولة وأنّ انفتاحاً إعلامياً ظاهراً في ظلّ الجزائر الجديدة، وهذا ما أقرت به الاستبانة ومجلس الصحافيين الجزائريين المنظمة المهنية التي وصفت الوضع بالجيّد.

أيها الصحافيون، إنكم اليوم في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية نبارك يومكم العالمي وهو يومنا بما سوف يقدم لكم من محاضرات، وما نقدّمه من تكريم رمزيّ لبعضكم في المرحلة الأولى، وهو تكريم يمسّ كافة إعلاميينا، ونجزل لكم كلّ الشكر على الخدمات التي تقدّمونها للوطن وما تقدّمون للعربية عبر المجلس الذي يناديكم لتعضدوه في مشاريعه الكبرى ومن خلال فعالياته وأيامه العالمية، وهذا من أجل المواطنة اللغوية. فسلامٌ عليكم أيّها الصحافيات، وسلامٌ عليكم أيّها الصحافيون دام عيدكم ويومكم وتألقكم ونحيي الصحافيين الذين فقدوا أرواحهم في أداء واجباتهم، ونحيي كلّ الصحافيين الباحثين عن المعلومة كمنفعة عامّة. كما نجزل الشكر للأساتيد الذين يتواصلون معنا عبر هذا اليوم الخالد وبوركّت خطوات العاملين من أجل البحث عن المعلومة العاملة على المنفعة العامّة.

ولكم وافر الاحترام، ورمضان كريم.

نريده إعلاماً خارقاً لا مُخترقاً[♥]

- **الديباجة:** في هذا اليوم التاريخي، يوم الذاكرة الوطنية الذي يعود بنا إلى استلهم العبر من تلك القوافل الوطنية من رجال الحركات الوطنية إلى حرب التحرير العظيمة، والتي سالت دماؤها من أجل هذا الوطن المفدى، وكان هذا اليوم تذكيراً بتلك المواجهات الروحية التي ألهبت الحماس من أجل أن يكون للجزائر التاريخية موقعٌ بين الشعوب، كأمةٍ وحضارةٍ ومساحةٍ. وهذا التاريخ الذي تجسّد فعلاً من قبل السيد رئيس الجمهورية (عبد المجيد تبون) الذي أعطى للمواطنة مقامها التليد من أجل تعظيم فعل السلف، ولولاهم ما كنّا، فأين موقعنا من خلال منظومتنا الفكرية (كونوا خير خلف لخير سلف) وسيعود الشهداء، ويسألوننا هل حافظنا على الأمانة التي تركوها في أيدينا، تلكم إخواني عظمة حماية الأوطان بكلّ غالٍ ونفيس.

أيها الحضور، لقد وسمتُ كلمتي (نريده إعلاماً خارقاً لا مُخترقاً) وأعني بالمصطلحين: الخارق فاعل في النفاذ والتأثير في الغير، ويكون عن طريق الموضوعية والحياد والاحترافية ومنظومة احترام الآخر في حدود أخلاقيات المهنة. والمخترق؛ لا يعني أن يكون صورة للآخر، أو يركع أمام النّد، أو يقبل بالإملاء، أو يكون من التّبّع، وهذا ما نسمعه من حرب مكتملة الأركان وهي تُشنّ علينا بإشاعات لا مقام لها، وكلّ ما في الأمر لا بدّ من فرملة

♥ - الكلمة التي ألقيت بتاريخ 8 مايو 2021، من تنظيم الاتحاد الوطني للصحفيين والإعلاميين الجزائريين. المكتب الوطني، قاعة المحاضرات نيلسون مانديلا. كلية علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر 3.

التنمية المجتمعية في الجزائر، وتعطيل حركة الوطن. ولهذا أيها الجمهور التخوي من الإطارات، وأصحاب الشأن العام، ورجال مهنة المتاعب والسلطة الرابعة والخامسة، أجدني أمامكم فقيراً في تقديم أفكار بخصوص سلاح الكلمة النافذة، وأنتم أهلها، وتملكون أسلحة الرد على ما يواجهنا من الدعايات المغرضة التي تستهدف أمننا واستقرارنا، من الحرب الإعلامية عامة، وبالخصوص الحرب الإلكترونية، التي تعتمد على توظيف التكنولوجيا الحديثة عبر المنصات الإعلامية التقليدية أو عبر أدوات الإعلام الاجتماعي الذي أتاح الحديث للجميع.

1- كلمات في عنوان هذا اللقاء: أجزل الشكر للمنظمين الذين اختاروا هذا العنوان (دور الإعلام الوطني في التصدي للحرب الإعلامية على الجزائر) وهي مناسبة لأقول، لا بد من إعداد العدة التي تفوق القوة، بقدر ما يعني إيجاد سبل كفيلة للتعامل مع مصطلح (الذات الممتدة) وتعني الهوية التي نخلقها نحن في كل من الهواتف الذكية ووسائل الشبابة من: فسيبة وانستغرام وتوترة وتيليغرام وماي سبينس... فهل لدينا مواقع مؤثرة لها جمهور كبير على غرار بعض البرامج والمنتديات التي يتابعها الملايين، وهل للمشاركين الذين يزداد عددهم في هذه الوسائل أثر وخطط في التوجيه، أم عبارة عن دردشات قضاء الوقت، فإذا عرفنا السبب بطل العجب، ومن هنا علينا أن نعي حجم المتابعين، ولا يخيفنا العدد إذا كان دون هدف. ومع ذلك هناك علامات لبعض المدونين الذين ينشرون خطب التقسيم والكراهية والتحريض على العنف، وعلى العصيان المدني، وهناك من يريد تهيج الشوارع، وتلهيج المحيط العام، وهذه الوسائل الجيئة تحمل رسائل عديدة

رقمية تذهب في بعض الأحيان إلى ردّ فعل عنيف ونروم أن تكون بخطاب توجيهيّ في المقام الأوّل تحت وطأة الترشيد والمرافقة، والدال على الخير كفاعله. وهنا يمكن لرجال الإعلام الإسهام في تأسيس فيديوهات توجيهيّة أو قنوات وطنية تبثّ الوعي الجمعي المغذي لخطاب التآلف؛ المفدّ لآليات خطاب التحيّزات الإيديولوجيّة، ويكون بخطاب بديل عن طريق حقائق ودراسات وخطباء وأئمة وإعلاميين لهم وزنهم الوطني في التكامل والبناء. ومن شأن كلّ هذا الاستفادة من هذه الوسائل لبناء السّلام عن طريق بثّ رسائل من شأنها التّأثير الإيجابي في سلوكيات مستخدميها، من خلال مبادرات تعزيز التّسامح والتّرويج للخطاب المضاد للكراهيّة. وهذا هو المأمول من المبادرات التي تؤدّي إلى نتائج ملموسة في التّربيّة والتّوعيّة عن طريق الترشيد والتدبير ليس إلّا. وكان من المفترض أن تكون "حرب الكلمات" من حوافز الخطاب البلاغي الذي يقوم على إخماد قرع طبول الخطب البلاغيّة الرّنانة المعارضة والموجّهة. وهذه المسألة مشتركة بين التّخبة ورجال الإعلام، ولكن محتوى التّغطيّة الإعلامية هو العنصر الأكثر إقناعاً في العملية. وهنا تكون صيغة الحجّة أو الجدال هي العنصر الأكثر إقناعاً وبخاصّة عندما تأتي بأدوات الخطاب البلاغي الرّنان. وتلاحظون استبصار أدوات حمل السّلاح الإعلاميّ كلامياً، وكيف ننجو من الحرب الكلاميّة، لا بدّ من الكلام ببراعة، وعدم الإذعان للعدوانيّة الكلاميّة، وهذا لا يتطلّب إلّا الوعي اللغويّ لمصطلحات الكلمات الموظّفة في التّشر أو في الرّد.

2- **كلمة موجّهة للإعلاميين:** إخواني الإعلاميون، تتأكّد لديّ معلومات كثيرة أنّ إعلامنا له من الطّاقات العالّية في مواجهة التّحدّي، بل

استثمار هذه الفرصة الشبكية لخدمة الأهداف الوطنية، إذ يعدّ إعلامنا من عناصر حماية الوطن، ودعم قضاياه، والمحافظة على المكتسبات. وها هو دوركم للردّ على تلك القروع المضلّلات، بما لديكم من رجال رشيدين، وما تملكون من غرس التوعّية الإعلامية، وتوجيه مجتمع رقمي نحو التّرصيص والتّأسيس اللذين يتحلّيان بأسس وطنية واعية، ويعملان على تعزيز المواطنة الرّقمية التي تهدف إلى رفق المستهدفين بقواعد الأخلاق والسّلك والأمان وإلى التّثقيف القانوني، وممارسة الحرية تحت إمرة القانون والقيم الوطنيّة والاستخدام المناسب للشّابكة، والتّحذير من أخطارها، وبخاصّة منصات التّواصل الاجتماعيّ، التي أصبحت سلاحاً ذا حدين، في ظلّ الاستقطابات المتعدّدة التي تهدف لإحداث ثورات ناعمة في المجتمعات؛ بالتأثير على الشّباب، بأفكار وسلوكات لا محلّ لها في بناء الأوطان، وباسم الحريات والايديولوجيات التي تُسوِّغ التدمير، وأنا وبعدي الطوفان. أليس فيكم من يقوم على دفع الشّباب للولاء للوطن؟ أليس من مهام الإعلاميّ أن يكون كاشفاً للمزايدات ونشر الدّعايات؟ أليس من اهتماماتكم المرافقة الثقافيّة لحماية جيوش من مستخدمي الفسبكة من المعلومات المغلوطة، ومحاربة تكريس الإحباط واليأس والاحتقان وتشويه المنجزات؟... بلى يمكن للإعلاميّ أن يكون على مستوى الحدث بتخطيط استراتيجيّة ذاتية تهدف للارتقاء بالإعلام الوطنيّ ليكون في المستوى المشهود لحماية الوطن، وتحويل التّحدّيات إلى فرص، وعدم الاكتفاء فقط بواجب الدّفاع والوقاية، بل أحياناً يكون الهجوم خير وسيلة للدّفاع، وذلك من خلال استثمار وسائل الإعلام المتنوّعة؛ لتكون أدوات تأثير فاعلة، سواء عبر إبراز الإنجازات الوطنيّة، أو

إبراز الثقافة المحليّة الرّاقية؛ ثقافة الوسطيّة والاعتدال والتّدين الرّشيد والقيم الأخلاقيّة والتّسامح وقبول الآخر والسّلام والعمل الإنسانيّ ودعم قضايا الوطن في سياساتها الدّاخليّة والخارجيّة وتعزيز سمعة الدّولة الجزائريّة والمحافظة عليها، وإيجاد منصّات إعلاميّة متنوّعة داخليا وخارجيا تخدم هذه الأغراض بما يُكافئ حجم التّحدّيات والتّطلّعات الوطنيّة أو الخارجيّة، أو عبر التّصدّي للجهات المعادية؛ بإعداد البرامج والمقالات والدراسات وغيرها والتي تكشف زيف دعاويها، ومن الضّروري توجيه هذه المسائل بلغات الآخرين غير النّاطقة بالعربيّة للتأثير الإيجابيّ في الرّأي الخارجيّ بما يخدم القضايا الوطنيّة.

أيّها الجمع الكريم، يقع على عاتقكم، وعلى مسؤوليّة النّخبة الوطنيّة توجيه الخطاب الإعلاميّ المناسب؛ بلغة الحُجج والبراهين والأدلة والوثائق أمام الرّأي الوطنيّ والعالميّ؛ لرفع اللبس عن كلّ المضايقات، والتّصدّي لتلك الكلمات الرّنانة التي تعمل على التّأثير السّلبيّ، وقد حان قطّافها بدحر سُمّها، ولتتعاضد جهودنا في أمن الجزائر وهو خطّ أحمر على قول المسؤولين السّياسيين. ولهذا، لا بدّ من تطوير استراتيجيتنا، وتجنيد جديد في ظلّ التّطوّر التّكنولوجيّ المتسارع. والجزائر دولة الكفاءات والمواهب الزّاهرة التي تسعى باستمرار للارتقاء في مختلف المجالات وتبوؤ الصّدارة، وبخاصّة في مجال الإعلام بتلك الأرمادة العامّة والخاصّة، وهذا يقودني إلى تأكيد أهمية الإعلام الوطنيّ الذي ينطلق من شعوره الوطنيّ نحو خلق فضاء إعلاميّ وطنيّ قادر على أداء مهمّته الإعلاميّة بكلّ اقتدار ومجرفيّة ومهنيّة، فأنعم به من إعلام! فحان الأوان لتمايز أفضل في وسائل إعلامنا للانتقال من درجة

وطنية الإعلام إلى الإعلام الوطني، وأقصد بالإعلام الوطني ذلك الإعلام الموجّه نحو تقديم الصّورة الحقيقة للوطن، ورموزه، وسياسته، وإنجازاته.

3- **دور الإعلام في البناء الوطني:** للإعلام دور كبير في بناء الدولة والمجتمع، وفي التغيير نحو الأفضل، وفي تسيير التّمط والتأثير والتأثر، لما يقدمه من فواعل اجتماعية في أبواب متفرقة من خلال إعداد البرامج التي تعمل على صدّ الاختراق، وبرامج تقوم على الإضافة والتّميّز، وله أثره في الارتقاء بالمجتمع، بمراعاة مستويات تدفق المعلومات، وإعداد البرامج الضامنة لتعزيز الانتماء الوطني+ معاضدة بناء الدولة+ تعزيز الوحدة الوطنية+ المحافظة على المكتسبات+ الحفاظ على الاستمرارية المتجددة+ بناء الوعي السياسي+ تحقيق الأمن الوطني+ الإسهام في تحصين الوطن من الغزو الإعلامي الفكريّ المعادي+ تهيئة الأجواء لحركة التّسمية الشّاملة... ولهذا نرجو التّباري في وقتنا الحاضر على من يحسن استعمال هذا السّلاح لدوره في التّنشئة الاجتماعيّة، على غرار منظومة المدرسة، وهو أسّ التّوجيه المؤسّساتي لعلاقته مع كلّ أطراف المجتمع: قيم/ سلوك/ عادات/ لدحض الشّائعات/ بناء التّقة/ تحديد مفاهيم... والكلام يتمدّد في هذا المجال في حدود أثر وسائل الإعلام على الدّول والمجتمعات، واختراق حواجز الزّمان والمكان. فالإعلام اليوم وبخاصّة في ضوء التّقنيات الحديثة أصبح أحد أعتى الأسلحة التي تستخدمها الدّول والجهات المعادية للتّأثير على الدّول الأخرى، فهو سلاح لا يقلّ خطورة عن أيّ سلاح آخر، ما يحتمّ على كلّ مجتمع التّحلّي بدرجة عالية من الوعي؛ لتحصين نفسه من هذه الوسائل الموجهة، والتّصدي لها بوعي وحكمة.

4- اقتراح فعالية جديدة لدور الإعلام الجزائري في هذا المخاض: لا

أعطي وصفة جاهزة للتصديّ أو للتحدّي؛ بقدر ما بصرت ببعض الأفكار التي أقدمها من خلال هذا اللقاء الوطني الذي نأمل أن يكون تنبيهاً للمواجهة العلميّة الهادفة إلى حماية وطننا، وتخطيط سياسة إعلاميّة متجدّدة حسب فقه المصالح والتوازن، وتكون مبنية على الآتي:

أولاً: ما هو من عموم العالم؛ بحيث أصدرت اليونسكو دليلاً بإدراك المعلومات المضلّلة، والتصدي لها في إطار التعليم والتدريب الصحّفي ويشمل سلسلة من الأدوات والتمارين الكفيلة بالتوعية بشأن المعلومات المضلّلة واتخاذ التدابير المضادة في ما يتعلّق بانتشار المعلومات، وتشجّع اليونسكو الدّراية الإعلاميّة والمعلوماتيّة من أجل التصديّ للمعلومات المضلّلة، بما في ذلك مبادرة "فكر ثمّ شارك".

ثانياً: على صعيد التّخبة الوطنيّة فلها واجبات يمكن استعراض بعضها في ما يلي:

1/4- الاستعانة بفنيين متخصصين في مخاطبة العامّة والخاصّة.

2/4- ترسيخ ثقافة المواولة وحبّ الوطن.

3/4- كلّ جزائري جنديّ عمّا يكتب في هذه الوسائل، وعليه مسؤوليات خدمة الوطن.

4/4- التّاس شركاء في تنفيذ الإشاعات والأكاذيب، والدّفْع بقباليّة التصديق إلى التّحقيق.

ثالثاً: ما هو من الإعلام، رأينا اقتراح ما يلي: إنَّ حرب الجيل الرَّابع يقوم على استخدام القدرات العقلية، أو ما يُعرف بالقوَّة الذكيَّة (حرب الإعلام والإشاعات) لاختراق المجتمعات وإحداث البلبلة فيها، فما موقف إعلامنا من هذا؟ ورأينا في البداية الإشارة إلى أهميَّة العمل على تعزيز الثقة في وسائل الإعلام الوطنيَّة؛ بحيث تكون مصدرَ المعلومة الموثوقة لدى المواطنين إضافة إلى:

1/4- تشكيل جبهة إعلاميَّة لوضع استراتيجيَّة واضحة لمواجهة الإعلام المعادي، وضرورة توفير المعلومات السريعة والصحيحة للإعلام؛ حتى يكون قادراً على الرد على الإعلام المضاد.

2/4- ضرورة تبادل الممارسات، وتحديد الأولويات، وتيسير الشراكات ونشر الممارسات الجيدة على نطاق واسع، وإسداء المشورة، وتقديم المساعدة التقنية للحكومات والأطراف المعنية على الصعيد الوطني، واحتضان التعاون بين كلِّ من البلاد التي تربطها العلاقات السياسيَّة، والخروج من التقليديَّة التي لا تؤكِّل الخبز، أو تلك الحركات البطيئة في الرد على الإعلام المشوِّه ولا بدَّ من الرد السريع بأسلوب معاصر يتمشَّى من منهجه وكلامه أو يفوقه وبأدوات حديثة.

3/4- التصديُّ للمضاد بالحكمة والعقلانيَّة والانضباط، وعدم التعدي على سياسات الدولة الداخليَّة أو الخارجيَّة، مع القوَّة في الطرح، والتحليُّ بالحجَّة والإقناع، وكشف ما عند الإعلام الموجه من زيف وافتراء وتلفيق بأسلوب لا يخرج عن إطار الأخلاقيات العامَّة، وتعرية وسائل الإعلام

المُعادية المضادة على حقيقتها؛ بحيث يتمّ تجريدها من ادعائها الكاذبة بالموضوعيّة والحياد.

4/4- الالتزام بالمعايير المهنية والضوابط الأخلاقية التي ترفع من ثقة الناس في وسائل إعلامه.

الخاتمة: إنّ الإعلام الجزائريّ يمتلك العديد من الكفاءات فنياً وتحريرياً، ويمكنه أن يكون أكثرَ فاعليّةً وتأثيراً، إذا تمّ استغلال كلّ الإمكانيات المتاحة وأُحسنَت إدارته. ولو حدث ذلك، فلن نشكو يوماً من الإعلام المُعادي، لأنّه سوف يضمحل من تلقاء نفسه ويتلاشى، حينما تلتفّ غالبية الناس حول إعلامها الوطنيّ، الذي سيقدم إليها إعلاماً مُتنوعاً وجذاباً وصادقاً ودقيقاً. وعليه ألا ينحو منحى تزييف الحقائق، أو الترويج للخرافات، أو تحويل الوعي النظريّ إلى وعي دعائيّ قائم على ما تُصوّره وسائل الإعلام المُغرضة، أو اتباع عمليات التّسقيط الأخلاقي والاعتباري للشخصيات، وتلفيق التّهم دون الاستناد إلى أدلّة حقيقيّة. ومرةً أخرى أقول: إنّ للجزائر إعلاماً وطنياً مائزاً مُجرّداً من التّشهير للتّنفير أو دعوات التّلفيق للتّنميق، وهو إعلام معتدل، وهذه هي السّمة التي تجعلنا نستبشر خيراً بأنّ إعلامنا سيأخذ على عاتقه عمليّة سحب البساط من المهرولين والممولين ودعاة الفتنة والمُروجين للدّعاية، فأنعم به من إعلامٍ وطنيٍّ مُحترف!

كلمة في اليوم الدراسي حول التصوّف^٧

الحمد لله على ما أعطيت، الحمد لله حتى ترضى، والحمد لله إذا رضيت اللهم إنك عفو تحبّ العفو فاعفُ عنّا، أيها الجمع الكريم، السّلام عليكم في ختام هذا الشّهر الفضيل الذي نريد أن ننجز عملاً ذات العلاقة بقدسيّة الشّهر، ويكون في مستوى قيمة المجلسين: الإسلامي واللغة العربيّة. ووقع الاتفاق على موضوع عامّ الأدب الصّوفي، وتحتّه محاور رافدة تُعيدنا إلى مؤسّسي هذا النّوع من أدبنا التّليد، ونروم أن يلدّ لكم السّماع بما يأتي من محاضرات في معارف المتصوّفة، وكونوا معنا.

شيخي المُبجّل، حفظكم الله وأدام عزّكم ونظرتمكم الجديدة، ممثلة في الحراك العلميّ في هذا المجلس، العتيد، وهذا يعود إلى توجيهاتكم العالمة التي جعلته يعيش الرّاهن، وقد عرفته يسلك منهج العارفين في الصّوفيات ووجدته يصلح للغرس من جديد، في بيئة تحتاج إلى من يغرس من جديد وله نظرات تُعيد النّظر في التّدر، ولا تمجّد ما هو في الصّدْر، وأراه باحثاً عن الدّر، فأنعم بفيلسوف الحضر. ونشهد لكم بما تعضدون مجلسنا في إطار التّكامل في مشاريع التّطوير. وإنّها شراكة قديمة متجدّدة؛ تأتي لخدمة المشترك الجمعيّ؛ فمن مشروع (معلمة المخطوطات الجزائريّة) إلى مشاريع مشتركة مع وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، ممثلة في الجامعات الوطنيّة، وإلى تلك الأيام الدّراسيّة المشتركة في بعض الولايات، ومع حاضنة (SATICOM) ممثلة

^٧ — كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة في اليوم الدراسي حول (التصوّف) لقاء مشترك بين المجلس الأعلى للغة العربيّة+ المجلس الإسلامي الأعلى. في مقرّ المجلس الإسلامي بتاريخ 10 مايو 2021.

لوزارة البريد والمواصلات السلّكيّة واللاسلكية. والآمال مجسّدة بخطوات والآفاق واعدة بالخيرات. وهكذا تتعاضد أفكارُ المجلسين عبر هذه اللقاءات تجسيدا للمأثور الذهبي "تتعاضد نتكامل من أجل أن نتعالّم" فألفُ شكر يا شيخنا الكبير بعلمكم وأخلاقكم وسموّ قامتكم، وحفظكم الله وأطال عمركم.

السّادة الحضور تحيتي لكم جميعاً بحفظ الأسماء والمناصب، ومرحباً بكم أصدقاء المجلسين، وليس لي من كلمة أقولها، بعد مقول الشيخ، وإنما أرحّب بالمتابعين عبر شبكاتنا في المجلسين، وأجزل الشكر للمحاضرين الذين أتونا وجاهة، والذين يُحاضرون افتراضاً. وأردت الحديث عنهم بما بصرت به من قراءات في مدوّناتهم، وما وعيته ممّا كتبت عنهم، وكان عليّ أن أقف وقفات سريعة، في شكل إبراقات، بالتركيز على محور اللقاء؛ وهو التّصوّف.

وأبدأ بأحمد الصّافي، وهو من أهل الصّوفي، وقد ضبطتُ كلماته من (في رحاب سورة) عقل جزائريّ مهاجر، يجول في القرآن بالحجّة ويردّ على غير أتباعه بالحجّة، ولما اطّلتُ على سيرته العلميّة، خطرت ببالي المقامة العلميّة والتي يقول فيها صاحبها: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: كنتُ في بعض مطارح العُربة مجتازاً، فإذا أنا برجلٍ يقول لآخر: بم أدركت العلم؟ وهو يجيبه قال: طلبته فوجدته بعيد المرّام، لا يُصطاد بالسّهام، ولا يُقسّم بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبط باللجام، ولا يُورث عن الأعمام، ولا يُستعار من الكرام، فتوسّلتُ إليه بافتراش المذرّ واستناد الحجر، وردّ الضّجر، وركوب الخطر، وإدمان السّهَر واصطحاب السّفَر". فرأيتُ هذا الوصف - يا أمّحمد - يليق بكم، بما تجشّمتم من مضايقات طلب العلم في ماليزيا وفي أمريكا وفي

كثير من بلاد الغربة. وبعد خروجكم من وهران حصل لكم التآلق بالأتعاب، ومسحتم الصّعب وبذلك نلتم الإعجاب وإثرها كان لكم المقام وأنتم جديرون بكلّ المهام. وتحيتي الخاصّة لصاحبة العصمة (آمنة بلعلی) الثاقدة المتألّقة التي لا تستريح إلاّ بالتحقيق، المصاحب بالتعليق، وتنال دائماً التوفيق. وعهدتها تسلك منهج العارفين، فتفرّشُ بسائطها، وتبسّط أنماطها وتُمدّد سِماطها. وإلى الأستاذ الشاعر الصّوفي (عبد الله العشي) (صاحب البوح) وما تبعه من مدوّنة (يطوف بالأسماء) والذي رأيتهُ يُطيل التنظير ويُديم التفكير وصولاً إلى حسن التدبير، ورأيت فيه صفات الصّوفيّ المُتعبّد الذي لا يقع منه في القيام كبوّ، أو في الرّكوع هفوّ، أو في السّجود سهوّ، أو في التّعود لَعوّ. وتحيتي الصّادقة إلى الفضلي (شفيقة وعيل) صاحبة الأطروحة في التّصوّف، وهي التي عاشت تجارب المتصوّفة في سلوكها فتمثّلت تجارب حسية وباطنية في معاملاتها، وكانت أثراً في أخلاقها فأراها متأملّة باحثة عن الأسرار، في وعاء شِعرها الصّوفي المليء بالأفكار. وأما الدّكتورة رشا، فننعم الباحثة أنت! نراك في عملك الماتع تشيرين في دراسة موازنة بين الأمير عبد القادر وابن العربيّ وتستعرضين مسير العارفين الباحثين عن إشكاليّة المصطلح الصّوفي أو العرفاني وتغوصين في ثغور الجهاز المفاهيمي، وتشيدن المتعيّن المحسوس من التّجربتين، وتستخرجين ما ترسّب من دلالات في الوعي الجمعيّ من العملين. وأرى منهجك جديراً بأن يُتبع، وطريقتك سوف ترتفع. وأقول لمونسي الحبيب، أنت لها مجيب، فمن خطاب الجامعة، إلى خطاب الزاوية وأراكم أعددت بعد المعاش معاداً، وقد جهّزتم له زاداً. وأنا أتابع ندواتكم في المنتديات، أسمع فيها الصّرخات، بلغة

تؤزني أزا وأسمع لها ركزاً، وتميدُ في مقام مدّاً، وفي مقام كأنها تحمل إداً وهكذا تُواصل المسيرة، وكأني بكم من أهل المحبرة إلى المقبرة. وأحيي أخي المبروك يا زيد الخير الذي يُسقط التّضاد اللغويّ، ولا يُحيل إلى التّرادف المعنويّ ويعطي للغة العربيّة منحة الرّبانيّة ومداليلها التّفسيّة، وتتمتع وأنت تتابع حديث الأربعاء، بما يحاكيه من تلوين العلماء، ومن جلسات إمتاع الفضلاء، ومجالس أهل التّذكر الأصلاء، ولا أخفيكم أنّي أتابع تلك الطّرائف، وأتقصّى ما لها من زخارف. ولا بدّ من التّويه، بمقام صاحبنا الإعلاميّ (بغداديّ) الذي له صولات في الأعلام الدّيني، وسبق أن استمعتُ إليه في المنتدى الثّقافي الجزائري؛ وهو يشير إلى الشّحن الوجداني العاطفيّ الذي يرتبط بالصّوفي، وهو يُمعن في التّسامي وأراه ينافح بالعربيّة عن عربيّة المتصوّفة، التي يراها تحرق التّمطيّة، فهو يلغي حاجز التّحو، للتّعبير عن مكنون الفحو. وأهدي لكم هذه الأبيات التي تحرق التّمطيّة اللغويّة، قياساً على قول السّلف "يجوز للشّاعر ما لا يجوز لغيره":

يا حبّذا أنا ضيفاً لكم وأنت مُضيفاً
رضيتُ منك بهذا ولم أُرِدْ أن أحيفاً

ولا بدّ من تقديم الشّكر إلى سناء، مهندسة ما يُنقل عبر السّماء، من رؤية ما في المنصّة، وما يتبعها من فسبكة وتوترة، وما يدعّمهما من مُستلزمات الشّابكة.

وهكذا إخواني، لا يسمح المقام أن أطيل، وربما أسرفتُ في ما قيل، وقد أخذتُ وقتي بين آسٍ مخضود، وودٍّ منضود، وودٍّ مقصود، وما قلتُ إلا ما

وعيتُ، وأزعم أنني قد أصبتُ. وأسكتُ عن الكلام المباح، وسيأتي الكلام الملاح، ممن هنا أو هناك، ونحن اليوم في رحاب المجلس الإسلامي، وفي مقام اللغة العربية؛ لغة الوعاء الذي تتحرك داخلها مُعانةُ التجارب الصوفية، فهي تخضع بالضرورة للتأمل والبحث عن الأسرار التي تختبئ وراء هذه الحروف المعجزة، ووراء لغة ذات قدرة تعبيرية فائقة. ونستذكر مقولة (أبو يعلى ابن الفراء) من كتابه (العدة في أصول الفقه) "ما لا يتم الواجب إلا به؛ فهو من الواجب".

إخواني الكرام، سنسمع إلى ما يفتق السمع، ويصل القلب، ويتغلغل الصدر، ونستمع جميعاً بالأدب الصوفي، بما يحمل من فيوضات الحلاج وربانيات الأمير، ودرؤشات الرومي، وخشوعات ابن العربي، وصمديات التفري، وروحانيات البسطامي، وخوارق الغوثي، وحدائق الشاغوري وكرامات الخلوات، وشفاعات المعمرات، وتأليهات الحضرات: الله الله الله وعروقات صحرائنا: آمين آمين آمين، وتأويل المفسرين، وتجويد الصالحين وبلاغات المريدين. ونرى ونسمع العجب من خروقات المتصوفة، بما لهم من طقوس ونصوص، ومن مزج بين فكر العرفان داخل القرآن، ومن تدبير العشق خارج منطق الروق، ومن لا يعشق ففاسدُ الدوق، وأحدُهم يقول:

وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى دُفئتُه فعجبتُ كيف يموتُ من لا يعشقُ

فإللهم نسألك أجرَ رمضان، واجعلنا من أهل الرضوان، وعيدكم مبارك والسلام على الجميع.

فلسطين ما ضاع حق وراءه طالب

أيها الجمع الكريم، قرأنا في ماثورنا القديم مقولة "ما ضاع حق وراءه طالب استناداً إلى قوله تعالى ﴿ سَيَهْمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذُّبُرَ ﴾ القمر 45.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾
الأنبياء 105. ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ المائدة 51.

﴿ أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة 100.
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُبْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنَّهُمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَالْبَعْضَاءُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة 64. وها نحن نعيش الحدث بكل تجلياته بأن صوت الحق لا يموت بجثياته، ولا يُحجب عنه ضوء الشمس بشعاعه بوجود الفلسطينيين الذين يتنفسون المقاومة، بأنهم باقون وشرع الله باقٍ بالمكاتبة. فلسطينيون أماجد يعشقون الموت بالمكافحة، ويقولون: خذوا المناصب والكراسي، بس تركونا الوطن.

فلسطين الجريحة منذ سبعين سنة؛ وهي تنزف، جروح لا تندمل نكبات وراء نكبات تعتمل، وأصبحنا في زمن تعددت فيه جراحات تُثقت الحجر قبل كبد البشر، جراحات نازفات ولا يجد المؤمنُ بدءاً من معاضدتها وإلقاء

السَّمع البصير لأحداثها؛ ولكن ليرجع البصرُ والفؤادُ خاسئًا وهو حسير
وفي ذات النفس ألم كبير. تعددت المصائب بتعدد التواكب، ويطول الزمان
بالمصاعب، وتبقى فلسطينُ العروسُ قضيتنا، وفي أنفسنا بها قام إيماننا، ومن
أجلها سالت العيون، ورُخصت المنون، وما نزال نحن إلى خبز أمي، وقهوة
أمي، ونطمح أن نصلي في أولى القبليتين، وثالث المسجدين، ومسرى نبينا
الأمين. فلسطينُ الشهيذة أغنيك قصيدة شد العزائم اشتدي أزمة تنفرجي
بالغرائم، وأحيي فيك الحماسة والتضال ومن أجلك تهون المسترخصات
المنال. فلسطينُ لا أملك إلا الكلمات؛ فهي سلاح المقاومة للملايين من
المؤمنين، وللفلسطينيين الذين يعيشون التشريد والشّتات، فلسطين كلّها
خوف وتعذيب واعتقال، وتهديد وتهديم وتهويد وإغلاق، أه ثم أه يا صلاح
الدين، ألم تترك فينا الرجل الرشيد؟ فلسطين لا تغرنك الخيانة والتطبيع
وسوف ينكشف المهرولون، ومن ينادون بحقوق الإنسان المفتون. من محتل
يلاحق من يشاء، ويقتل من يشاء، وينفي من يشاء، ثم يقول أنا مع السلام
وفي يديه السهام، والمطبعون يصفقون ويدفعون ويتنازلون. وهؤلاء ينطبق
عليهم قول الشاعر:

لا يُلام الدّئبُ في عدوانه إن يكن الرّاعي عدو الغنم
فاحبس الشّكوى فلولاك ما كان في الحكم عبد الدرهم
فلسطين أغنيك قصيدة لا تصالح، ولو منحوك الذهب، أترى حين أفقأ
عينيك، ثم أثبت جوهرتين مكانهما هل ترين؟ عيناك ثم عيناك لا تُشترين
ولا تُستبدلان. فيا أيها المارون عبر الكلمات على قول درويش لنا في
أرضنا ما نعمل. ولنا الماضي هنا. ولنا صوت الحياة الأوّل. ولنا الحاضرُ

والمستقبل. ولنا الدّنيا هنا والآخرة. فاخرجوا من أرضنا. من برّنا. من بحرنا. من قمحنا. من ملحنا. من جرحنا. من كلّ شيء فينا. واخرجوا من ذكريات الذاكرة.

إخواني الحضور والمتابعون عبر الشّابكة، لا يخفى علينا ما تدبّره آلة التّخريب والتّدمير، من ضرب الطّائرات، وأزيز المدافع والمجّنزرات وتدمير عشرات العمارات، آلاف الأنفُس تُزهق في كلّ المرّات. كم من امرأة أيمّت وكم من طفل يئّم، وكم من مقبرة جماعيّة أقيمت؟ القدس لنا والبيت لنا والانتصار لنا، وما ضاع حقّ وراءه مقاومة. وأين رابطة الإيمان، إن لم يكن أحاً في الدّين، فهو أحّ في الإنسانيّة، فمن يتصرّ لهم ومن يُخفّف عنهم؟ القدس باب مدينتنا، فمن أيّ الأبواب ندخل يا فيروز؟

أيّها المرابطون في القدس وفي غزّة، في فلسطين الشّهادة والتّاريخ، في أرض الشّموخ والجهاد والإباء، أيّها الأهل في بلاد مباركة، إنّ الله ناصرُكم فاستنهضوا الهمم، وعلى الله العول. وإنّ التّصرّ لقادم، فاصبروا وصابروا ورابطوا، وإنّ مع العسر يسراً، ولا تيأسوا من روح الله، وهو الذي قال (ألا إنّ نصرَ الله قريب الروم 47). (وكان علينا نصرُ المؤمنين) البقرة 214. أيّها الشّعب الفلسطينيّ الأبيّ؛ إنّهُ امتحان لكم، وهو اختبار للمؤمنين جميعاً؛ لأنّ القدس والمسجد الأقصى من البقاع الطّاهرة للمسلمين كافّة، فلا يمكن التّنازل عن شبر لغاصب أبداً، بل إنّ المَهج تُفدى بالأرواح أيّها المسلمون ولنتصرّ للحقّ أيّها الدّاعمون.

أيها الفلسطينيون، ما اشتدّ ظلامٌ إلاّ ووراءه فجرٌ منيرٌ، وما طال الاستعمارُ إلاّ ووراءه نصرٌ كبيرٌ، فلنأخذ العبرة من أولئك الذين ظلمونا وطرّدونا وهجّرونا وأبادونا طيلة مئة واثنتين وثلاثين سنة، فانكشف زيفهم، وعاد محمّدٌ إلى بيته، وها هو في المحمّدية يبني صرح الإسلام واندحر لا فيجري/ (La Vegerie)، فلا تياسن أيّها المقاوم من الليل الطويل وكلّ شيء قادم بالصّليل، وأنادي أخت الجراح النازفات أنا هنا، وها هي معارك الجزائر ترسل الشّعلة لجبل التّار في أرض فلسطين التّشامى والإباء، وجرجرة تكسبك الإمامة بالكبرياء، ولذا فالتصرّات لا محالة والطّريق تصنعه الأقدام وسيكون مصحوباً بسهام الحقّ الملهام. ومقولتنا التي يكثر تردادها (نحن مع فلسطين ظالمةً أو مظلومةً) مظلومةٌ نعمّ لإعادة الحقّ لذويه، ظالمةٌ نعمّ؛ لردع الظّالم وصدّه. وهذه فلسفة السّلف بأننا نتصر للضعفاء، وكنا ضعافاً فوجدنا المنتصرين، وهذا ما جعل بلدنا محجّ المغلوبين، فهل من ناصر لفلسطين؟

أيّها الجمع الغيور، تخونني الكلمات عن وصف المأساة، والخطب جلل في هه الملمات، وكيف يكون لنا موقف إن لم نقم بأدنى واجبات التّصرة فهنا نحن نلتقي لنستنكر بالكلمة، ونقول: أعيّدوا مدينتنا، ودعوا أطفالنا يعيشون طفولتهم، وكفّفوا دموع اليتامى، وامسحوا الفقر على الشّباب وقولوا الحقّ أمام الإرهابي الذي يعيثُ فساداً في أرضنا وبلداتنا وزيتوننا وأحجارنا وهذا نوع من الجهاد الذي نقوم به نصرةً لإخواننا.

أيّها الفلسطينيون في الدّاخل، إخواننا في الخارج، لم يبق إلاّ سلاح المقاومة، وسلاح الانتفاضات، وسلاح الحجارة، وهو سلاح الكرامة الذي لا يخيب بعدما خابت كلّ الاتّفاقيات، ولم يقطف العربُ إلاّ سرابَ بقية

وشتاتٍ من جُزُرٍ مكانيةً أفضائيةً، فأين السّلام في بلد السّلام؟ ذهب كلّ المواعيد، وتلاشت كلّ المعاهدات، وانمّسحت كلّ القرارات، وسار مسار التّفاوض في صالح التّهود، وبدأ العزف على الرّضوخ للأمر الواقع، وفي الحقيقة مفروض على الواقع، فحصلت الانبطاحات والتّطبيعات، فلا جدوى من الماطلات، ولا للوعود الزّائفات، ولا تقبلوا بالتنازلات، وكلّ ذلك لصالح المستوطنات، واستمرار سياسة التّصفيات، وتحقيق جدار التّأمينات والتّحصينات، فمن الخاسر يا ترى؟ ولا بدّ أن نقرع أجراسَ ومأذن العالم، و؛ ليفرّق بين شعب يكافح لاسترداد بلده، وكيان أجنبيّ يغتصب بلداً غير بلده، ووراء آلة مبدؤها (الغاية تبرّر الوسيلة). إنّها مسؤوليّة تاريخيّة. وهذا يستدعي اليقظة الإسلاميّة، وإعادة التّظر في المواقف السّياسيّة، والتي تركت آثاراً سلبية. ولا يمكن ترميم كلّ ذلك إلّا بمجمل المقاومة والمقاومة ثمّ المقاومة، ولا يتوهّم أحد أنّ المجتمع الدّولي يُمكن أن يضغط على الكيان الإسرائيليّ ليتنازل للفلسطينيين، أبداً لن يكون؛ لأنّ المؤسّسات الدّوليّة المعنية عبارة عن دُمى بيد الدّول العظمى التي لا تعمل إلّا وفق مصالحها. فلا بدّ من المقاومة من الدّاخل ومن الخارج؛ حيث كشفت الحرب الأخيرة عن ضعف الإسرائيليّ وهشاشة جيشه، وإسرائيل الكرتون.

أيّها الحضور، وما دُمنا نستذكر ونتذكّر فلسطين، فإننا نقل تاريخها للأحفاد، والتّاريخ لا يموت رغم ما يتركه من الأحقاد، وتبقى الشّواهد تُروي الحكايات على أنّ الحقّ حقّ لا يموت بالتّقدم، ويعيش يومياته بالتّلازم، وهي سمة الانتصار لفلسطين، وفلسطين حُبّ عروبتنا المُبين وهي تُنادينا بصيحات الصُّمود، ونداءات الجهاد، فهلا استمعنا ووعينا المصير وأين

حسن التدبير، بعد هذا الزمن العسير. ولكن علمنا الإصرار على أنه لا مستحيل في ما هو راغب، وعنوان كلمتي فلسطين ما ضاع حق وراءه طالب.

منبر الترجمة للمجلس الأعلى للغة العربية*

- **الديباجة:** لقد عملنا مدة زمنية على أن يكون للمجلس لسان حال علمي عبر مجالاته الثلاث المعتمدة: اللغة العربية؛ وحققت معامل التأثير 2،1 مجلة معالم للترجمة؛ وحققت معامل التأثير 7،1 ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وقع عليها الطلب من مختلف الفئات الطلابية لنشر مقالاتهم وحصل أن نالت الاستقطاب الوطني والدولي، كما حصل لها الانتشار عبر سبع شبكات عالمية، وهي متداولة فيها في صورة PDF. ومجلة العلوم والتكنولوجيا وهي في صنف C وأول مجلة عربية لمؤسسة أكاديمية تنضوي تحت إمرة اتحاد الجامعات اللغوية، وعليها الطلب، وهي في بدايتها الأولى.

إن مجلة (معالم) حصلت سنة 2020 على أعلى معامل عربي، وأفضل مجلة عربية في نظام المجلات المعتمدة، وتحقق كل ذلك بفضل العمل الذي تعاضدت فيه جهود المخلصين: كتاب المقالات، رئيس التحرير + المدققون اللغويون + الموضبون + المصنفون... وكان عملاً جماعياً أعطى ثماراً لهذه المجلة التي أخذت اليوم بعداً آخر، ويصبح لها منبر ترجمي يتابع أحداث الترجمة من وإلى العربية، وكل ما يدخل في باب التلاقح اللغوي، وتكون مجلة (معالم) لسان حال هذا المجلس في ميدان الترجمة فأجمل بكم أيها الساعون من أجل تطوير الترجمة في الجزائر! وبوركت خطوات الذين رفعوا التحدي لتكون مجلة (معالم) في مستوى قيمة المجلس الأعلى للغة العربية وفي ما تتأثر

* - الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس في افتتاح المنبر الافتراضي بتاريخ 20/05/2021 تحت عنوان تنصيب اللجنة العلمية لمنبر مجلة معالم الافتراضي.

أو تؤثر، وهذه هي الأبعاد التي نسعى إلى تحسينها وتفعيلها حالياً ولاحقاً. وكلّ الشكر للمساهمين ليحصل للمجلة الصّدارة في العالم العربي.

- **المقدمة:** إنّ نظرة عجلى لهذا العمل يتطلّب منا الإدلاء بقراءة وصفية تحليلية نقدية تخصّ المجلّة، والعهدّة ليس على مسؤوليّة المترجمين، بل هناك أعمال مشتركة تعود إلى فقهاء اللغة ورجال المعلومات العاملين على سدّ الفجوات في برامج البحوث الدلاليّة، ومن تعقيداتها، وهي عمدة أولى لا بدّ من تذليل عقباتها؛ ليجد المترجمون ما يمكن أن يُضيفوه في مجال وضع البرامج التّرجمية اليدويّة. ولهذا، لا بدّ أن يقع التّركيز الآن على صناعة تّرجميّة بشريّة بمساعدة الذكاء الصّناعي، ولا بدّ إخواني الحضور والمتابعون من الرّهان من خلال هذا المنبر على سدّ التّأخير الذي تعرفه العربيّة في مجال التّرجمة بالتّرجمة القائمة على التّحويل وباستخدام اللغة الوسيطة، والعمل ببرمجيات التّرجمة الآليّة الموجودة مع استحداث أنماطها، ويقع العول على الأدوات المساعدة في هذا الأمر؛ من مثل برنامج (Arabox) وبرنامج (Muti-trans) وهذه موظفة حالياً في أعمال شركة صخر للمعلومات وتصلح للعربيّة كوسيلة منطلق في برامج تّرجميّة (Arab comnirage) وبرنامج (Readiris). وبهذا يمكن أن نستدرك الضّعف والتقص والتّأخير، وإلاّ لا يكون للعربيّة موقع بين اللغات. وما نريد تحقيقه:

1- استكناه أهميّة التّواصل اللغويّ الذي اعتمده اللغات في تطوير لغاتها؛ من تأسيس بيوتات تضمّ المتنوّرين في فعاليات المجتمع، وشهدنا كيف

تطوّرت اللغات عبر محطّات كان لها وقع وأثر في المجتمع، ويكفي أن نقرأ عن العربية وما شهدته في عهدها الأولى على الخصوص عبّر:

• بيت الحكمة؛

• الأسواق الشعرية؛

• الصّالونات الأدبية؛

• اللقاءات الدورية.

2- فتح النقاش حول المثاقفة والأخذ والعطاء بين الثقافات واللغات.

3- تبادل الأفكار حول التجارب الناجحة في مسائل: الاستعراب/

الاستشراق/ الاستغراب.

4- تبادل المنافع اللغوية والأدبية بين الحضارات.

5- خدمة اللغة العربية في جانبها الترجميّ؛ نظراً لافتقار العربية إلى:

• المصطلحات عموماً؛

• المصطلحات العلمية خصوصاً.

6- افتقار العربية إلى الجوانب التقنيّة؛ وبخاصّة ما له علاقة بـ:

• الجوانب التطبيقية من برمجيات ومدونات تقنيّة؛

• علم المختصرات؛

• صناعة النانوتكنولوجي.

7- حاجة العربية إلى المعالجة الآلية في حوسبة تراثها الممتدّ في الزمان

والمكان.

8- حاجة العربيّة إلى البحوث الدلاليّة.

9- حاجة العربيّة إلى الترجمة الآليّة من العربيّة وإليها.

10- حاجة العربيّة إلى أساليب تقويم المهارات اللغويّة التي تعمل بها اللغات الأوروبيّة.

وهكذا يروم هذا المنتدى أن يمسّ قضايا الترجمة المعاصرة في مجالات عدّة ويمكن أن نشير إلى أهمّها:

- الترجمة الآليّة والترجمة بتوظيف تقنيات الحواسيب؛
- الكتابة العلميّة ومنطق الرياضيات؛
- نظم توليد المصطلح؛
- الترجمة الفوريّة الشخصيّة والآليّة؛
- تطبيقات ترجميّة مساعدة؛
- هندسة اللغة، وهندسة المعرفة وحسن إدارتها في المؤسّسات العاملة على الترجمة؛
- التجارة الإلكترونيّة والترجمة؛
- النشر الإلكتروني والترجمة؛
- المعاجم الإلكترونيّة ودورها في صناعة الترجمة؛
- نظم تسمية المواد والقطع والشفرات بين اللغات؛
- استهداف الترجمة لسلاح قادم؛ وهو تحقيق العيش معاً باحترام الخصوصيات، والعيش معاً ضمن التقد اللغويّ والتنوّع الثقافيّ، وتجسيد

صور حيّة حقيقية للأيام العالميّة التي أقرتها اليونسكو وهي: حماية اللغة الأم/ العيش معاً بسلام/ التنوع الثقافي+ يوم الترجمة؛

▪ معالجة صعوبات ومضايقات الترجمة، وأراها تكمن في الآتي:

- قلة المختصّين في مجال الترجمة في معناها امتلاك اللغتين امتلاكاً تخصصياً؛

- نقص الترجمات من العربيّة إلى اللغات الأخرى؛

- معظم خريجي الترجمة مدرّسون، وليسوا تراجمة وهم يُنظرون ولا

يترجمون؛

- ضعف التوثيق الترجمي، وقلة ميكنة مرحلة التوثيق الإلكتروني؛

- عدم الاهتمام باللغات الوظيفيّة بصفة عامّة.

وبالنسبة للعربيّة، هناك مفارقات كبيرة من حيث ضعف قاعدة البيانات ذات العلاقة بالمعاجم، رغم أنّ مؤسّسات ومنظّمات ومجامع لغويّة تنتج هذه المصطلحات لكن دون التنسيق في ما بينها. وهناك بنوك مصطلحيّة عربيّة حيث لا تواصل معها ولا تمكّن أعمالها شبكياً على غرار: البنك الآليّ السعوديّ للمصطلحات+ بنك المصطلحات+ المعجم الآليّ الشامل لمكتب تنسيق التعريب+ البرامج المصطلحيّة الموزّعة عبر الجامعات ومراكز البحوث العربيّة.

- ضرورة الدراية بالاختلاف الثقافيّ وهو اختلاف لغويّ: لست هنا مُنظراً

ولا مقدّماً نصائح لأصحاب الدراية، بقدر ما أريد تأكيد فعل خميرة الترجمة من بناء جسور التّواصل، وإعادة ترميم طريق الحرير عن طريق تلاقح اللغات، وتحيين طريق الملح من جديد، ليحصل من جديد تلاقح الثقافات

وبناء الآداب العالميّة، وهي نظرة جديدة لطريق العبور بين الضّفاف وتواصل لأولئك الذين نقلوا إبداعنا إلى الآخرين: الطّاهر بن جلون+ أسيا جبار+ محمد شكري+ محمّد أركون+ چاك برك+ جمال ميموني+ محمّد ديب+ كاتب ياسين+ محمّد يحياتن... وفي كلّ هذا سوف يقوم هذا المنبر على خدمة العربيّة، وكان قبلهم الذين انجذبوا للحضارة الشّرقية، وهاموا بها على غرار: فيكتور هوكو+ چان پول سارتر+ Jean jenet+ زگرید هونكه+ ليونارد دافيننتشي+ محمود الصّيني+ لويس ماسينون+ فرنسيسكو غابريلي+ ميزرا كاظم... وهؤلاء قامت في نفوسهم خدمة التّراث العربيّ، فقال بعضهم فيها وبها بأنّ العربيّة أمّ اللغات، ولها إمكانيّة جعل متنها علماً قياسياً كاللّحو وليس في العربيّة بحسب الأصل اضطراب، ولا يقال فيها بالشّدوذ ما وُجد وجهٌ للقياس، وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، ولا يحتجّ في اللغة العربيّة بشعر ولا نثر لا يُعرف قائله، ولا يُقبَل في اللغة العربيّة قولٌ لا يعضده قياس، ولا يسنده سماع، وعدم السّماع لا يقتضي عدم الاطراد مع وجود القياس... وكلّ هذا يتطلّب الدّراية العلميّة والعمل دون التّواكل ونعلم أنّ أحد الذين هاموا بهذه اللغة (محمّد إقبال) وليس عربياً، ولكنّه مسلم ذاب في لغة العرب؛ يحثّ على دور الشّخص في صناعة عقله وتطويره، لا تركّ المسألة إلى أمرٍ جَلَلٍ؛ بل الحكمة في صناعة وجدية واستعداد أهل اللغة، وهذا ما يستشفّ من هذه التّصيحة إنّك يا الله خلقت الليل، وأنا صنعتُ المصباح، وخلقت الطّين، وأنا صنعتُ القدح، وخلقت البوادي والجبال، وأنا صنعتُ الحدائق والبساتين..، ويدي أجعلُ من الحجر

مرآة، وأستخرجُ الترياقَ من السموم". هي صناعة الأمل في التغيير المنشود في الكون، واللغة عماد التغيير.

وكان لا بدّ من تفعيل خصوصيات الثقافة بين اللغات من مثل: تقدّم الفعل في العربية في حالة الإخبار عن مبتدأ مجهول: يقرأ محمّد، وفي الفرنسية يتقدّم الاسم عن الفعل في الفرنسية Mohamed lit. وفي الفرنسية يطابق الفعل فاعله من حيث الافراد والجمع، ومن حيث كون الفاعل متكلّماً أو مخاطباً أو غائباً، ولا يطبّق في التأنيث كما في اللغة العربية. وانطلاقاً من ألفاظ الارتفاق باعتماد ألفاظ الارتفاق التي فيها خلاف، رغم أنّ الشيء هو هو:

- صفّ مذكر في العربية ≠ فرنسيّة مؤنث une classe

- مِحْبَرَة مؤنث بالعربية ≠ فرنسيّة مذكّر un encrier

- المرآة مؤنث ≠ في الفرنسية مذكّر le miroire

- الحزام مذكّر ≠ في الفرنسية مؤنث la ceinture

- القميص مذكّر ≠ في الفرنسية مؤنث la chemise

- الرّأس ≠ في الفرنسية مؤنث la tête

- القفص ≠ في الفرنسية مؤنث la cage

أيّها الجمع المتابع، إنّ الحاجة تقتضي منّا معرفة الخصوصيات الثقافيّة ويعني ذلك حسن الممارسة والانتقال السّلس بين لغتين/ أكثر، مع ما يصحبهما من إعداد تطبيقات مصطلحيّة حاسوبية جبارة تقتضي على التّرادف والتكرار والمشارك اللفظي، ولهذا، نريد من أهل الترجمة العمل على

تدليل هذه البيانات المصطلحيّة بين اللغتين؛ بالتركيز على إيجاد آليات كفيلة بمجرد جيّد للتراث العلميّ واللغويّ العربيّ جرّداً منهجياً لسدّ هذه الفجوات ولا يكون ذلك إلاّ برصد مختلف المولدات المصطلحيّة العلميّة والثقافيّة والحضاريّة التي تظهر في مختلف الدّول العربيّة والتّعجيل بتوحيدها، وهذا من مقتضيات حوسبة المصطلحات على الصّعيد العالميّ، وتجريب النّظم والبرمجيات الجديدة، وتعميم بتاريخ ذلك على الجهات المعنيّة، وهذا ما يعطي لنا وللغتتنا موقعاً في خريطة العالم، وإلاّ فنحن خارج التّغطية. وأمام هذا الوضع بات الأمر جديراً بتخصيص منبرٍ أكاديميّ ينطلق من المجلس الأعلى للغة العربيّة، ويكون رافداً من روافد نموّها العلميّ، وبدوره يعمل على الاستفادة من اللغات الأجنبيّة، ويحرص على التّفنّح على اللغات الشّرقية لما لها من تكامل منطقيّ بحكم الأرومة اللغويّة، والتّلاقح الذي حدث بينها في ما مضى من الزّمان.

- الترجمة وخريطة اللغات في المستقبل: يجب الوعي بأهميّة اللغة العربيّة في خريطة لغات المستقبل، وهذا الوعي يمسّ كل القوى الحيّة وبخاصّة المترجمين، فما موقع العربيّة في سنة 2026م، وهناك دراسات تقول: هناك تغييرات لغويّة تمسّ موقع اللغات بصفة عامّة، فما محلّ العربيّة في هذه الخريطة القادمة؟ وهناك دراسات مستقبلية تقول: هناك كوليرا اللغات سوف تأتي على قتل الكثير من اللغات مع سنة 2050م، فما موقع العربيّة في هذه الخريطة التي تتقلّص فيها اللغات الطّبيعيّة، ولا تبقى إلاّ اللغات القويّة مثناً وإنتاجاً وانتشاراً. وهل لدينا العُدّة العلميّة للمبادرات الحديثة خارج ميدان الشّعور، وهل نملك آليات الوقوف للنّدّ أمام الصّراع اللغويّ القادم، وأمام

الإنتاج الفكري والتّقاني؟ تلكم هي استعدادات كان علينا تهيئة الأجواء التي تُعلي من مقام العربية كلغة حضارة إنسانيّة، ولغة الحضارة الشّرقيّة، ولغة علم في ما مضى من الزّمان، ولغة علم في لاحقٍ منه. وهذا ما يجب التّخطيطُ له عبر الاستفادة من اللغات التي لها موقع علميّ جيّد لضمان الدّيمومة وبخاصّة اللغة الإنكليزيّة.

وبهذا المنبر الافتراضي للترجمة، نقوم على جمع مدوّنات وأفكار للقاءات افتراضيّة تكون عدّة المجلس، يعمل على نشرها، ويفيد منها غير المتابع افتراضياً، كما تبقى مدوّنات يعتمدها المهتمّون بأمر الترجمة ونأمل أنّنا نضبط بيت اللغة العربيّة في هذا المجال بسدّ النّقص في مسألة التّواصل اللغويّ، وفي بريد اللغات كما نطلق عليه في المجلس الأعلى للغة العربيّة.

إنّ المبادرة حيث في خطواتها الأولى، وتحتاج إلى تعضيد من مختلف الشّركاء: مؤسّسات + أفراد مختصّون + طلبة + تراجم + أقسام الترجمة + هواة الترجمة + المدوّنون الافتراضيون في ميكنة الترجمة + مواقع الترجمة... ليحصل للعربيّة حسن الأداء وهي مبادرة من رئيس تحرير (معالم) الأستاذ المترجم (هشام بن شريف) وصحبه الأستاذ المترجم (هشام بن مختاري) من جامعة حسيبة بن بوعلي بالشّلف، وفريق المجلس الأعلى القائم على مصلحة الترجمة، فنسعى جميعاً للتّكامل، ورغد العربيّة في جانب التّلاقح اللغويّ عن طريق الترجمة. وسوف يعمل المجلس على تحسين أداء هذا المنبر الافتراضي باقتراح موضوعات مثيرة قيّمة تتطلّبها معطيات الرّاهن، كما يعمل على تسيير تطارح أفكار الترجمة بما يستضيفه من مُنظرين ومُترجمين ومُدّرّسين لهم أفكار نيّرة في هذا المجال، بالانفتاح على كلّ الفئات الترجميّة من داخل الوطن

وخارجه وعلى مستوى كل اللغات، وبخاصة اللغات الأهميّة؛ كون العربيّة لغة أُمّيّة، وكذلك على مستوى اللغات الشّرقيّة لما لها من تلاقح قديم جداً. وسوف تكون لقاءات مع كتاب اللغتين / أكثر؛ للاستفادة من التثقل بين الثقافتين / أكثر، على غرار: (Jack lang) + عبد الله حمادي + غولدا يولدا + إبراهيم بن مراد + عبد اللطيف عبيد + واسيني الأعرج + محمد ساري + عبد الحميد بورايو + عبد القادر بوزيدة + السّعيد بوطاجين + الأمين الزّاوي + (Jean jenet) + زهرة حاج عيسى + عبد العلي الودغيري + الدّكتور ظاظا + محمد شكري + عبد القادر الفاسي الفهري + عبد الرزاق عبيد + الطّيب ولد العروسي + عبد الرزاق دوراري + عمر أزراج + محمد مگاني + عمارة لخص + رشيد بن مالك + عبد السّلام شدّاد + محمد آيت موهوب + إبراهيم الكوني + محمد داود + محمد علي اليوسف + محمد العلوي + عبد الرزاق مزيان + جيلالي خلاص + عبد العزيز بوباكير + أحمد منور + عبد السّلام يخلف + رشيد بوجدرّة + محمود إيراغن... ويسعى المجلس الأعلى للغة العربيّة أن يمتلك مدوّنة مغاربيّة بأسماء التّراجمة من وإلى العربيّة؛ لتحسين وتفعيل هذا المنبر، وجمع شملهم في منبر عربيّ يكون في مقابل ما سوف تفرضه العولمة اللغويّة في لاحق من الزّمان بالإضافة إلى السّماع لمقترحاتهم التي تعمل على الدّفع بالعربيّة إلى العالميّة.

ولهذا، إخواني المتابعون، إنّ هذا المنبر لكم، فأنتم الذين تعملون على تطويره وازدهاره واستمراره، وبأفكاركم سيكون له الانتشار والمُتابعة ونسعد أن تكونوا أكثر عدداً في المُتابعة، وفي تقديم الأفكار التّحسينيّة وهي خطوة أولى نسعد أن تتبعها خطوات منيرة، والطّريق تصنّفه أقدامكم إذا عقدتم

العزم على حسن تدبير المبادرة، وأحسنتم صنع المتابعة وبادرتم بتطبيقات ميدانية، وعملتكم على فعل الترجمة لما لها من خميرة الأخذ والعطاء، فأنعم بكم جميعاً! ونسعد بنقودكم المضيئة العاملة على التحسين ولا شك أنها ستكون من التجوم المهداة لعمل التبيين؛ للوصول إلى حسن الإضاءة بحسن التدبير وبما له من فكر التنوير، ورفع العمة عن لغة الأمة، وما يعلق على الحراك اللغوي الذي يولد التفاعل البيئي، ولدخول محراب التبادل اللغوي؛ الذي يُقدّم الإضافات المفيدة لكل اللغات.

باسمي، وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية، ومن هذا المنبر الافتراضي أعلن البداية الافتراضية لهذا المنبر من رحاب المجلس الأعلى للغة العربية من خلال هذا اليوم (الخميس) الموافق العشرين من شهر مايو ألفين وواحد وعشرين (20/05/2021) ونسأل الله أن ينفعنا بعلمكم وبأفكاركم وبتشجيعاتكم. وعاشت الصداقة بين اللغات، ونعم للتكامل بين اللغات ولسرعة بريد اللغات، ولفعل خميرة اللغات، والسلام عليكم يا من يهتم باللغات.

النصوص التراثية في المناهج الدراسية ♥

الديباجة: شكراً لجامعة بسكرة محمد خيضر ممثلة في رئيسها المحترم على الاستضافة عن بُعد لإلقاء الكلمة حول موضوع الملتقى (النصوص التراثية في المناهج الدراسية) وتحية تقدير وتشجيع لأساتذة كلية الآداب واللغات وخبر (وحدة البحث والتكوين في نظريات القراءة ومناهجها) وإنه موضوع جدير بالدراسة من قبل مُنتجبي الأفكار (البحثة) بمعية صانعي القرار (رجال الميدان) وبخاصة ونحن نسمع ونقرأ من بعض الباحثين بأن هناك أزمة في التراث العربي/ الإسلامي، أزمة التطرف/ مواجهة التطرف، وهناك توجهات ونقود تدعو إلى تطهير هذا التراث؛ ولا بد من تطبيق سياسة الإغفال والتعمية والإخفاء، أو التعامل مع التراث بالقطعة والانتقاء، ونحن نواجه هذه الأمور في التدريس، وخاصة في التعليم الجامعي. والسؤال الذي نطرحه الآن كيف نتعامل مع هذه النصوص التراثية؛ وهي جزء من منظومتنا الحضارية والفكرية؟ وهل يمكن أن نواجه المستقبل وتراثنا مُغيّب، وهو في الحقيقة هوية الماضي وزاد المستقبل، ولا بد من الإيمان به، وهو عماد الأمة ويستدعي الاعتزاز به باعتباره جزءاً من الوجود والتاريخ والبقاء.

- **المقدمة:** يتفق الباحثون بأن تراثنا المازيغي والعربي غني وكبير، وهو جدّ مهمّ لحمولته الفكرية والمعرفية والعرفانية، وما يُربيّه من قيم وأخلاق وعلم

♥ - ألقى الكلمة عن بُعد، لصالح جامعة بسكرة بمناسبة عقد ملتقى وطني حول عنوان موضوع النصوص التراثية في المناهج التربوية الجزائرية، بتاريخ 20 مايو 2021م.

وفقه وعُرف، ويكفي أنّ كبار العلماء أنتجوا فيه وبه أرقى تجليات خطابات اللغة العربيّة في شتى الميادين، دون حذف أو تقطيع، بل بحسن التبليغ وطريقة التدريس، وعماد ذلك تحيين وإصلاح مناسب للوضع ومرتبطة بالمتغيّرات والتراث هو هو لا يتغيّر، ولكن الحكمة في فهمه حسب المكان والزّمان وتبليغه بأريحيّة ومواجهة بعض التّأويلات المغرضة التي لا أساس لها في القاعدة، ومن الضّروريّ حماية حقّ التّأويل المضيف، وهو حقّ أصيل في كلّ إصلاح تربويّ. والآن نحن بحاجة إلى إجراءات حقيقيّة نحمي بها منظومتنا التّربويّة، ونبني مجتمعاً لا يحمل الخدوش، ولا يُؤسّس للتّطرف. ومن هنا كان على أجهزة الدّولة أن تُعيد الأمرَ للمؤسّسات البحثيّة التي تقدّم لمؤسّساتنا التّربويّة آليات التعامل مع تلك التّصوص بفقّه الواقع على ضوء المأمول. وهذا ما هو من المنتظر من هذا الملتقى الذي نروم أن يُشخص التّصوص التّراثيّة التي تحملها الكتب المدرسيّة في مراحلها العامّة، وعلى الخصوص في المراحل القاعدية، وعلى هديها يُبنى المجتمع المرغوب، نحو أخلقة عامّة لمجتمع الحدّثة وما بعد الحدّثة، ومجتمع المعرفة. وإلاّ سنبقى نجري وراء بقية لا تُدرك، ونغيّر الإصلاح بإصلاح أو نعيد إصلاح الإصلاح، وهو تعطيل لطاقت وطنيّة، ونزيف للقدرات الطّبيعيّة. ومن هنا لا بدّ من حسن التّعرف على تراثنا، ففيه الكثير الكثير من المحاسن، وفيه ما هو من الغث، وفيه ما يحتاج إلى قراءة معاصرة وفيه ما يحتاج إلى حذف، وفيه ما لا يُدرك إلاّ بقاعدة فقهيّة، وما يُدرك عن طريق علماء موصوفون بقوله تعالى (الرّاسخون في العلم) وهم غير رجال الفقه ﴿لَكِنَّ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ

سَنُوتِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ النساء 162. ويقول: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ آل عمران 7. وحضور الراسخين في العلم يعمل على اختيار النصوص التراثية التي لها مواصفات الاستمرارية المتجددة، وهي تلك النصوص التي أخرجت جيل السبعينيات، وكانوا يتحكمون في علوم اللغة وفي قضايا معرفة التعامل بين الدالات الثلاث: الدين والدنيا والدولة. ونشهد بأن تلك النصوص مختارة وعالية الجودة وأكسبتنا التحكم في مهارات اللغة، ولم ترب فينا السطحية رغم قلة ذات اليد، ونقص الدراية بتكنولوجيات العصر، والعهدية فيها أن إصلاحات كانت تتم بوعي لغوي مرن، يشهد بعالمية العربية، وبتفتح المدرسة الجزائرية على مختلف التيارات الفكرية. ولم تعرف المدرسة الجزائرية الانتكاسة إلا مع إصلاحات العصر التي قوّضت أركان المنظومة التربوية بعدما أصبحت تخضع للمسؤول، ولا يتبعها التقويم/ التقييم، وتسير من وراء المكاتب، في ظلّ تغييب الفاعلين الحقيقيين، ولم الكفاية المطلوبة في باب التخطيط التربوي وهو عماد قيام المنظومة الاجتماعية، ولذلك لم تكن مخرجات الإصلاحات في المستوى المنتظر.

والآن ماذا عساني أقول في هذا الموضوع الذي نأمل أن نقدّم أفكاراً في تحسين مستوى الاهتمام بمنظومتنا الدراسية التي نريدها تجمع بين الأصالة والحداثة، منظومة وطنية عالمة متفتحة. وقد بصرت ببعض الأفكار، أقدمها في مجموعة من القضايا، وبالاختصار المضيف الذي ينيف في حدود متطلّبات المناسبة، وما تقتضيه الدراسة:

1- **في صلب الموضوع:** إنَّ ملتقاكم يحمل بذور الأمل نحو التَّغيير التربويِّ الواعي بأفاق الغد، ملتقى حول التَّصوص التَّراثية في منظور العصر، وأراها ثنائية من جدلية مثيرة تطرح أسئلة عميقة ذات أوجه متعدِّدة، لأنَّها تتعلَّق أولاً بنص تراثيِّ، تحيطه هالة من التَّقديس بما يكتنزه من معرفة وجمال، وما ينام عليه من أسرار عديدة، وتتعلَّق الأخرى بإيديولوجية صادمة، تحاول أن تفرض سلطتها ورؤاها على التَّصوص؛ بما تملكه من مناهج قرائية، وما تقدّمه من تصوّرات، وما تفرضه من اختبارات توجه أسئلة ذات طابع شموليِّ مُقلق. في ظلِّ هذا التَّجاذب الذي لا يهدأ، وتتلوها أسئلة من مثل إلى أيِّ مدى سيظلُّ النصُّ التراثي مفتوحاً قابلاً للسؤال، حاملاً للإشكالات، قابلاً للمتغيّرات مفتوحاً على التَّقَد والتَّجديد المعرفي والخطابيِّ؟ وما المكانة التي يحظى بها تراثنا في الفكر الحدائلي وما بعده؟ وهذا من المطلوب أن يجيب عنه هذا اللقاء العلمي، والوصول إلى رسم خطط تُؤثِّث لهذا الموضوع، وتكشف عن بُور القراءة الحدائية لدى الدّارسين والمعلّمين والتَّقاد، ولا بدّ في هذا المجال من مقارنة نقدية من خلال نماذج مختارة من التَّصوص في ضوء إشكالية التَّواصل الحدائلي.

2- **مركزية اللغة العربيّة:** وتقوم هذه المركزية على أنّ التَّراث الذي وصلنا كان بواسطة اللغة العربيّة وهي التي حملت هذه الجبال من التَّصوص ولهذا لا بدّ من التَّماهي في أدبيات: السَّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. وهي من الأمور في المركزية الثقافيّة التربويّة وتشكّل كلّ الانغماس في تراثنا الكبير وعن طريق اللغة العربيّة تُحترم الثّوابت التَّراثية التي تسم أدبنا، وتجنّب أحاديّة المنهج التَّحليلي، والإفادة من المناهج الحديثة دون تبنيها كلياً، والحرص على

المراجعة الدينية والاجتماعية والعلمية، وتعمل على إعادة النظر في أساليبنا وطرائق عرضنا، وفي ذات الوقت تتيح خيارات للمتعلم في الكتاب المدرسي وتعمل على الابتعاد عن عيوب تكديس النص والتراكم المعرفي الذي لا يبني الكفايات.

3- ارتباط العربية بالهوية والثقافة: وإنّ العربية باب من أبواب الهوية

في معناها الشامل، فهي رمز للمجتمع الذي تعبّر عنه، وأداة تفاعله وطريقة عيش أهله وتفكيرهم. وللغة العربية موقع مهمّ في التراث الثقافي من حيث ما هو ملموس، وما هو غير ملموس، وهذا سبب اعتزاز الأمم بلغاتها، لما لها من وقع في الوجدان. ومن هذا المنطلق تعدّ الهوية الثقافية تعبيراً في غاية الأهمية وهي من مكتسبات الأمة التي تجمعها اللغة. ولهذا لا يمكن الفكك بين اللغة العربية والهوية، فكلاهما صناعة الأجداد، وتجب المحافظة عليهما متكاملتين.

4 - السيطرة على مخرجات العلم والبحث العلمي والتقني: وهذا موجود في

تراثنا، وهو متوقّف بالقوّة في ثقافات الشّعوب الأخرى، وعلينا إرساء ثقافة الإبداع والتّطوير من خلال الأخذ والعطاء، ومحاربة الفكر الاستعماريّ والاستعبادي ضروري، ولكن من الضّروري أكثر الاستفادة من لغاته والعمل على تعميم استعمال العربية في ما يُنقل من اللغات الأجنبية.

5- أهمية تراثنا في مناهجنا الدراسية: ويكون ذلك عن طريق ربط

التراث بالهوية، وعن تحرك الشّعوب لحماية تراثها، وموقف الإسلام من التراث الذي أبقى ما هو صالح من العادات والتقاليد، وأدخل عليها بعض

التحسينات، ونبذ ما هو غير صالح ليكون تفاعل الإسلام مع التراث تفاعلاً إيجابياً.

6- ضرورة تعزيز التراث في المناهج الدراسية: وهي ضرورة حضارية على

استمرار تواصل اللغة العربية دون انقصاص وانفصال منذ ما يقرب من 2000 عام. وفي هذه النقطة نوّكد بناء الهوية الوطنية كآلية إجرائية مركزية وهذا ما نادى به المقاربات التعليمية الحديثة، فوجّهت عناصرها إلى خدمة المتعلّم؛ فاهتمّت بالمحتوى من جانب وظيفته، وذلك بتلبية متطلباته وحاجاته. وأظنّ أنّ عناصر الهوية الوطنية في النصّ التعليمي يأتي على رأس حاجات المتعلّم الآنية ومتطلباته المستقبلية. وبخلاف ذلك تكون المنظومة التربوية قد أسهمت بتعرّض مَنْ هُم في داخل الوطن من أبنائنا إلى الاغتراب، في حين نرى ضرورة توجيه نداء إلى المغتربين بضرورة حماية أبنائهم في ديار الغرب من الغربة الماسحة للهوية. وهذه النقطة تؤدّي بنا إلى الافتخار بمآثر الأجداد أمامهم، وبالاهتمام بنصوصهم على غرار نصير الدين الطوسي في الهندسة+ أبو بكر الرازي في الطب+ أبو علي الحسن بن سينا+ رئيس الأطباء، وصاحب كتاب القانون+ والجراح ابن النفيس+ والعالم الكبير محمد بن موسى الخوارزمي+ وصاحب البصريات ابن الهيثم+ والفقيه السرخسي+ ابن مالك+ ابن خلدون+ الخليل بن أحمد+ ابن فارس+ ابن منظور... وهذا كلّه يعمل على ترسيخ مبدأ السبق في العالمية والإسهام في الإنتاج المادي وغير المادي.

7- تبليغ أهمية المآثرات الشعبية، وما له علاقة بالسرديات التراثية

التي تعني بالمادة الحكائية في تراثنا: أي التي تتخذ من القصص وسيلتها لإيصال محمولها المعرفي، وبالتالي فهي تعني القصص الشعبي المطبوع والشفهي

الذي يشمل السير الشعبية والأساطير والخرافات، والحكايات الشعبية... وهي تمثل النشاط المدرسي، وتسهم في ربط الناشئة بتراث أمّتهم، وبعضهم البعض، وتمثل أرضية مشتركة للمعرفة، وتعين على تدشين تبادل وتكامل للخبرات في مجال التعليم.

8- اختيار النصوص التراثية التعليمية التعليمية: ومن المتفق عليه أنه لا تصلح

كلّ النصوص التراثية لكلّ علميات التعليم. والنص التعليمي عليه أن يستوعب المعرفة العلمية المستهدفة في المادة المقررة؛ بحيث يذكر القوي النفسية المصاحبة للعملية التعليمية من تذكّر، وفهم، وتحليل، وتركيب واستدلال وتنظيم أفكار، والإسهام في بناء الأفكار الجديدة وترسيخها، وفي إدراك منطق التفكير المميز للهوية المستهدفة.

9- تقديم نماذج مستويات تعليم العربية والاستفادة منها في التراث: وهنا يأتي

دور الجامعة للتحرّك في زيارات ميدانية لجمع التراث ودراسته انطلاقاً من تجارب مدججة ضمن فضاء الخطابات التراثية، حيث تحكّمه مرجعية معينة وينشأ وفق ظروف خاصة. أي تحصل الانطلاقة من وحدات الطالب ذات العلاقة بعلم التوثيق والأرشفة، وشروط المسح الميداني، واعتماد طرائق الجرد والحصر، ثم تقنيات وخصوصيات المادة التراثية من خلال الجغرافية الثقافية وكذا قضايا التنوع في التراث الشعبي الجزائري من خلال دراسة مجاله وتاريخه وأنماطه، وفي ذات الوقت اقتراح بدائل معاصرة لانتقاء التراث وخطط الدفاع عنها في ظلّ العولمة اللغوية.

10- اعتماد تقنيات تعليمية معاصرة في تدريس النصوص التراثية: بحث

تزامن والحداثة في كلّ وسائلها المعاصرة، في عمليات التلقي في الوسط التعليمي للتمكين اللغويّ في: بنية النصوص + تركيب الفقرات + التقنيات الخطابية، وهذا ما يجعل النصوص الغائبة حاضرة، وفهم خصائصه بناء على محاله ومناسباته ومقامه وثقافته، وفي قالب ما تتطلبه الحداثة في العملية التعليمية.

11- ضرورة استبعاد النصوص التراثية العاملة للفكر الخرافي: إنّ اعتماد

النص التعليمي المكتوب في العملية التعليمية مظهر من مظاهر تسليط الضوء على التّمظهر المكتوب للغة، وفي ذلك مجال تتوسّع فيه إمكانية مضاعفة توظيف الخصائص الاجتماعية والثقافية المميزة للمجتمع، فيرقى بذلك النص التعليمي ليكون مصدرا غنيا منه يغرف المتعلم عناصر هويته بيسر، ولا سيما أنّها تتطابق وواقعه المعيش. وهنا يكون المعنيون على دراية بتلك النصوص التي تنمي الفكر الخرافي، وعدم اعتمادها لأنّها نصوص سوف تقوِّض معيشتهم، ولا تقدّم له إلاّ الفكر الغيبي.

12- ربط النصوص التراثية بواقع الحال: ونحن نعيش ألفية جديدة، بما لها من

تقريب المسافات، وما لها من منهجيات التدريس الحديثة في مركزية التعليم على آليات المعاصرة، وفي ظلّ عولمة تتصارع فيها الثقافات وتتسابق في التّفوّق، ولا بدّ من احترام مصطلح الثقافة وحوار الحضارات وتقارب الحضارات، والعيش معا في سلام، واعتراف بواقع يستدعي شحذ الهمة من جديد، ولا نكون رجع صدىّ أو رد فعل للثقافة الغربية، وفي ذات الواقع لا نعاديها، بل نعمل على الاستفادة من حداثتها وفتوحاتها التكنولوجية.

13- تعريف المتعلم مرحلياً بأعلامنا الذين أنتجوا للحضارة الإنسانية فكراً

متنوراً على غرار الوعي الثقافي الذي حملته كتب التراث: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي 232 هـ الذي يقول: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما يتقّفه العين ومنها ما يتقّفه الأذن، ومنها ما يتقّفه اليد، ومنها ما يتقّفه اللسان" نصوص الجاحظ+ ابن قتيبة+ ابن طباطبا+ المرزباني+ السكاكي+ عبد القاهر الجرجاني... نصوص المفضليات، الجمهرة والحماسة... كثيرة هي نصوص تراثية والدينية التي لها وزنها ونحن بحاجة إلى العمل بمحتواها للثبوت في رسمه المتغير في دلالاته. والمشكلة في كلّ أمّات كتب التراث هي الوصول إلى تقنيات الاختيار للتصو، وفي منهجية تبليغها من منظور تربوي يُراعي المتلقي ومستواه الفكري وحاجاته الإنسانية وميوله. وإذا كانت المخترارات القديمة التي تتسم بالجوّدة ولكنها تتباين في أسس تصنيفها وتبويبها، فإنّ كتب الأدب المدرسية تتطلّب أسساً صارمة في التصنيف إضافة إلى الاختيارات الأخرى فهناك محاور هي جماع التربية السوية التي يقوم عليها تدريس الأدب هي: الإقراء والاستيعاب والحفظ والبيان والعمل.

- الخاتمة: إنّ صناعة المستقبل يكون في نهوض الأمة نهوضاً يعود بها إلى النّظر في تراث السلف وإحيائه، والإفادة من منابع الفكر الخارجي واستصفاء ما يتناسب مع فكرها وتاريخها، وهنا لا بدّ من اعتماد النظرية التي تقول: لا بدّ من رجل في التراث، ورجل في الحداثة، والتّماهي في الهوية من أجل التّكامل في بناء شخصية المتعلم الذي يتأثر أيّما تأثير في المرحلة القاعدية، وكان على التراث أن يكون بوابة على العالم من أجل التّفّتح ومواصلة الديمومة التي تعمل

على تحيين التراث؛ بما تعرفه طبيعة الإنسان أنّ له أرضية معرفية متغيرة فكيف يكون على مستوى ثبات القاعدة وتغير الدلالة، وذلك ما يكسب المتعلم فهم العالم، بالربط بين الخبرة الراهنة والمعرفة السابقة. وأختم قولي بأنّ النهضة العلمية أو الثقافية لأية أمة لن تتحقق إلاّ بوعي مكوناتها، والنظر إليها لا كماضٍ غابٍ وانقضى بل هو حاضرٌ دوماً وحيٌّ، والتراث يبقى مُحفّزاً في الاندماج في الحاضر والإطلاقة بثقة على المستقبل، لا كقيدٍ يمنع عنك الصعود إلى القمر، أو يمنع عليك تأدية شعائر الدين، أو حج بيت الله الحرام. وفي هذا المنظور هناك الوسطية في كلّ شيء، في اختيار التصوص التراثية، وفي التعامل معها بمنهجية شاملة جامعة بين الأصالة والحداثة. والأصالة في فلسفتها ترفض القطيعة مع التراث، أو التماهي مع الحداثة، ومتى أسبيء استخدام التصوص التراثية تُصبح سلاحاً يدفعنا إلى الماضوية والتخلف، ومتى أحسنّا استخدام نصوص تراثنا تُصبح حافزاً ومعيناً للرقى والتقدم، والنهوض بالأمة، وذلك هو المأمول والمبتغى من مُخرجات هذا اللقاء العلمي في جامعتنا العتيقة بيسكرة السكرة، فأنعم بها من جامعة العلم والعلماء! ونأمل أن يتواصل اللقاء في شكل فرق البحوث التربوية والعلمية بين الوزارات المعنية؛ لتجسيد التواصل البيئي، وبناء جسور التلاقي، لبناء جيل يحترم تاريخه ويتطلّع لمستقبله ويبنى مجده بنفسه بحكمة الأجداد، وبراعة الأحفاد.

النص التعليمي في المدرسة الجزائرية^٧ محطات تقييمية لقواعد: الانتقاء والبناء وآليات الإقراء.

- **الديباجة:** إنَّ أهمَّ قضية تربوية في إشكالية هذه التدوة تكمن في المقاربة النصية التي تنشدها الإصلاحات التربوية المعاصرة؛ بالخروج من النظرة الجزئية: جُمَل / مَسكوكات / أمثال / حِكَم في ذاتها وليس في غيرها. والمقاربة النصية نظرة معاصرة تنظر إلى أجزاء النص في إطار الترابط الكلي المؤدّي إلى التّواصل، وأنَّ الجزء إذا اعتُور يُصيب الكلَّ. ولا بدّ من بناء بُنى النص بناءً يتوافق وكامل الخطاب في مستوياته اللغوية الأربعة بوعي تداوليٍّ لتحقيق التّواصل حسب المقام والحال، وكذا المرسل؛ بما يحمل من رصيد معرفيٍّ مناسب، والمستقبل ممّا له من رصيد معرفيٍّ واعٍ بآليات استقبال مصطلحات اللغة بشكل طبيعيٍّ في المقام الأوّل قبل أن تكون اللغة صناعيةً تُتعلّم بُناها التّحوية.

- **المقدمة:** نرى بعض المخابر في الجامعات الجزائرية تعمل على طرح أمثال هذه الموضوعات من جانب من الجوانب، وكثنا على تواصل مع جامعة حمّة لخضر بالوادي، وهذا الأسبوع مع محمّد خيضر ببسكرة في موضوعات متقاربة، وقد شخّصنا الأمر في بعض الأبعاد، وبدا لي غياب طرف فاعل في هذا الأمر، وهو وزارة التربية الوطنية؛ لأنّ ما له علاقة بميدان التربية لا بدّ

^٧ ألفت المداخلة عبر الزوم، لصالح مخبر تعليمية اللغة والتّصووس، جامعة يحي فارس بجامعة المدية، بتاريخ 22 مايو 2021.

أن يكون طرفاً. ولهذا أمثال هذه الموضوعات تحتاج إلى رافدين: رافد منتج للأفكار، وهم أنتم أيها الجامعيون؛ بما لكم من تنظير وقراءات، ورافد مُطبّق للأفكار؛ وهم رجال الميدان؛ رجال التربية الذين يمارسون سلطات توصيل التّصوص إلى المتعلّمين. وهكذا يحصل التّكامل في ميدان التّعليميّة التّعليميّة وفي ذات الوقت يحصل التّقاش بين المعنيين في سدّ الثّغرات التي تظهر في التّنظير، وتظهر تأثيراتها في التّطبيق. ولهذا نروم الوقوف عند محاور التّدوة في معالجة ديداكتيكيّة تُراهن على نظراتٍ جديداتٍ مع الشّريكين في المهارات الأربع: السّماع + القراءة + الحوار + الكتابة؛ وهذا من مستلزمات القاعدة التّعليميّة، وفيها يتمّ تشكيل وعي لغويّ في استكناه التّصوص ومعانيها والتي تقدّم بتقنيات حديثة تداوليّة، وفي المدرسة تتمّ عمليات التّعليم وما يليها من طرائق المعرفة في اكتساب الخبرات المختلفة، وترتبط بكلّ المواد التّعليميّة الأخرى في جميع مراحل التّعليم، فلا يستطيع المتعلّم أن يتقدّم في أيّة مادة تعليميّة إلاّ إذا تحكّم في مهاراتها الأربع. وبما أنّ إشكاليّة التّدوة جدّ دقيقة، وهي تقنيّة غير مفتوحة إلاّ للخاصّة، فلا يمكن أن نُحيط محاور التّدوة من جميع جوانبها، إلاّ اقتراح أفكار بصّرنا بها تمييزاً لاختياركم موضوع هذه التّدوة؛ بدءاً من التّصوص التّراثيّة التي تعمل على نظرة كليّة، مثل المناظرات الأدبيّة أو النّص الشّعريّ القديم الذي لا يقف على المقدّمة الطّليّة، وما هي إلاّ استفتاح لمكّمات القصيدة. وحرّيّ بنا نحن الباحثين تقديم طرائق بديلة في هذه المحاور المقترحة في تقييم القواعد التي تُعطى للمتعلّم، واقتراح بدائل في انتقاء التّصوص، وفي كيفية بنائها، وآليات تتابعها، ومنطق إقراءها. وذلك ما سوف أقترحه على البحتة المتابعين؛ بأنّه من الضّروريّ العودة إلى الكتب

المدرسية، والتّظر فيها لذاتها، ومن خلال التّظريات الرّافدة لها، والاستدلال بالوثائق المرافقة للمنهاج، ومن ثمّ التّزول للميدان لتفحص إمكانيات التّطبيق، واقتراح البدائل التّوعوية.

1- في صلب المشكلة: هناك جملة من المتغيّرات المعاصرة تدعونا إلى التّجديد والبحث في المشكلات المُستقبلية في ميدان التّعليم والتّكوين، مما يعزّز أهمية البحث العلميّ والتّربويّ في حلّ المشكلات التّربوية التي تطرأ في الميدان حيث سيُسهم ذلك في عملية إصلاح النّظم التّعليمية، وهذا يعمل على تشخيص مواطن الضّعف، ومن ثمّ يعطي المواصفات المطلوبة للعلاج من خلال الاجتهاد في الإصلاح التّربويّ. ويكون ذلك من خلال البحوث في المقاربات النصّية في المنظومة التّربوية الجزائرية، ولا ندري إلى أيّ مدى استطاعت الإصلاحات التّربوية الجزائرية حلّ المشهد التعليميّ في هذا التّوجّه الجديد؟ وهل أعطت المتعلّم الأولوية باعتبارها القطب؟ وكيف تعاملت مع الدّعامات البيداغوجية في ترتيب الأولويات، وفكّ الاشتباكات والتّداخلات، وتناصها مع تخصصات أخرى؟ وهل هناك دراسات معرفية لفتح باب البحث العلميّ التّربويّ وتشجيع الباحثين على الإبداع؟

2- في صلب الموضوع: في مفهوم المقاربة النصّية لا يمكنني أن أرفع أمامكم في تحديد مفهومها، أو الوقوف عند أسسها وأعلامها، بقدر ما أريد التّركيز على منطلقها من اللسانيات السردية النصّية؛ بدءاً من النصّ باعتباره وحدةً قاعديةً وليس الجملة، وأنّ النصّ يحمل الوحدات اللغوية والروابط ولا يمكن أن يفهم إلاّ بالتّعلق الذي يتمّ بين الوحدات والنّظام اللغويّ ومعطيات

السِّيَاق. وأنَّ اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة؛ بل في نصٍّ متماسك، بدءاً من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل الكبير (النَّص). ويعني ذلك أنَّه سلسلة من الأفعال الكلامية، وأنَّ دراسة النَّص لا تعني معرفة آليات تتابع الجمل؛ ولكن دراسة بنيته في علاقته بالبنى الاجتماعية التي تحيط به، فهو منتج المقام الذي يولد فيه، ومن ثمَّ لا يمكن أن يكون خارج السِّيَاق الذي يُنتجه ويتحكَّم فيه، وبذلك فهو في علاقة بمقام الفعل الملموس الذي هو جزء من التَّشاط اللغويِّ الذي يأتي به التَّحليل؛ والمقصود به القراءة العميقة للنَّص؛ أي الاحاطة بالمقاصد والمعاني والدلالات التي يسعى النَّص لتبليغها للمتلقِّي الذي تتفاوت قدراته القرائية، بين القراءة السَّطحية والقراءة العميقة. ومنهجية التَّحليل للنَّص تظهر في قراءة النَّص + تصنيف النَّص + تحديد عنوان النَّص + مصادر النَّص + القضية المُعالَجة + تصنيف النَّص من حيث نوعُ الخطاب + الخطاطة المناسبة للتَّحليل... وهذه تبرز في منهاج المقاربة النَّصية، وتُصوِّر مدى تمثُّل المنهاج للمقاربة النَّصية؟ ومدى انسجام الكتاب التَّعليميِّ مع المطالب التي حدَّدها المنهاج لتطبيق هذه المقاربة. وهذا مظهر خارجيِّ، بله الحديث عن المظهر الدَّاخلي والمقصديَّة من: قدرة التَّلقِّي للمتعلم + فهم الموضوعات + إدراك البنية الكليَّة التي تكون وراء وحدة الموضوع + إدراك التَّرابط بين البنيات الفرعية + التَّمييز بين التَّصوص من حيث أنواعها وانتماؤها الأجناسي هذا من جهة، ومن جهة أخرى تُظهر قوَّة الإدراك للمتعلم، وتسمح له: بابتكار الموضوعات + وضع مخطَّط مجمل للموضوع المبتكر + التَّرتيب السَّليم لعناصره + إمكانيَّة بناء نصٍّ مطابق للأنواع والنَّماذج النَّصية الجديدة، وهنا تكمن عبقرية المقاربة النَّصية

لأنه يستحيل قراءة نصّ ما دون معرفة مُرضية بالمستوى المعجمي والتركيبيّ للغة التي كُتبت بها، وتتطلب عملية بناء المعنى إقامة علاقة بين المؤشّرات الملتقطة من النصّ والتجارب القرائية السابقة للقارئ، وتفترض أيضاً جمع المعطيات النصّية وتصنيفها وتحويلها إلى مؤشّرات دالة تُمكن من صياغة فرضية من فرضيات المعنى.

3- **في صلب النص:** لم تدرس النصوص العربيّة عند القدماء دراسة مستقلة، بل كانت هذه الدّراسة تحت باب (علم اللغة) ومقسّمة بين التقد والبلاغة وعلم القواعد، ودرست النصوص العربيّة صرفاً أو نحواً على مستوى الجملة، وحدّدوا نحو الجملة في غلط تعليمي قديم يعني بـ: استقلاليّة النحو+ إخضاع كلّ الجمل المركّبة لمجموعة من التراكيب البسيطة+ الاطراد+ المعيارية+ الإطلاق+ الاقتصار. لكن علم لغة النصّ الحديث لا يرى أن النصّ توالي جمل كثيرة أو معيرة بحتة؛ فالنصّ جزء فعليّ من الواقع لا يتوقّف عند كلمات النصّ وتحليلها في مستويات الدّرس اللغويّ صوتاً ونحواً وصرفاً ودلالة فقط، بل يهتمّ بالتفاد إلى ما وراء النصّ من جميع العوامل المعرفيّة والتفسيّة والاجتماعيّة ومن العمليات العقليّة؛ لأنّ النصّ حصيلة تفاعل عوامل حدّدها المختصّون وهي توالي: المقاصيّة/ الموقفية+ السّبك التحويليّ+ الحبك (التماسك الدّلالي)+ القصديّة+ القبول+ الإعلام+ التناص. وجميع هذه العوامل مجتمعة تستدعي العلوم الأخرى؛ وبخاصّة التي تهتمّ بالاتّصال الإنساني مثل علم الاجتماع، وعلم النفس وغيرها. ولعلم لغة النصّ ملامح واضحة وقسمات محدّدة؛ فقد بنى لنفسه معايير تأسيسية وتنظيمية وكلاهما يساعدان في أن يتميّز النصّ عن غيره من المنطوقات

ويدرسان جودة النص وفعالته وملاءمته. ولذلك لم يظهر مصطلح (علم لغة النص) في الدراسات اللغوية عند القدماء العرب، ولكننا نجد الاهتمام بدراسة/ بقراءة الأفكار عند البعض على غرار (عبد القاهر الجرجاني) وهو سابق أوانه بما أشار إلى هذا المعنى من خلال فكرة التّظّم. ولهذا، فعلم النصّ جديد ظهر عند الغربيين بمصطلح Discourse Analysis الإنكليزية. وأهدافه متعلّقة بأشكال النصّ الممكنة، وبالسياقات المختلفة، وبمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية وهو متداخل الاختصاصات، ومرتبطة بظواهر ومشكلات تُعالج في علوم أخرى مثل علم اللغة العامّ، وعلم الأدب، وعلم الأسلوب، وعلوم الاجتماع، علم النفس، وأخيراً علم النصّ.

4- في صلب التقييم: من روافد نجاح العملية التربوية أن تكون هناك متابعة لمختلف عمليات التدريس: تقييم أولاً، ويؤدّي إلى تقويم؛ حيث يعطي للعملية التعليمية بعدها التّواصلي أو بعدها التّراجعي، ولما تكون العلمية تخضع للمتابعة تدخل في صلب المراجعات لا التّراجعات، وهذا سنّة التّطوير في أية منظومة. ولا يأتي التّقويم إلاّ حصيلة التّقييم التي تتعلّق بالنسق العامّ بأنّ المنظومة التربوية تحتاج إلى قاعدة تخطيط على الأماد الثلاث: سريع / متوسط المدة / طويل المدة، ويأتي هذا من نسق مجتمعيّ فكريّ هوياتي مخطّط له من قبل المنظومة السياسيّة التي تتّبع في البلد، ومنها تستشفّ السياسة التربوية التي تُعتمد في أركانها النسقيّة: نظرية لغوية + مشيخة تربوية + مريديون + تطبيق جزئيّ + تقييم وتقويم + تعميم + استمرار التّقييم.

ولهذا إخواني الحضور، ترون خصوصية هذا الموضوع الذي يحمل في ذاته الخصوصية التسقيية الفكرية لنوايا التحسين في المنظومة الاجتماعية، وعمادها الاستثمار في التربية والتعليم، وهذه خصوصية تُستمد من المرجعيات السياسية التي تعتمدها الدولة، ومن ثم يأتي التخطيط التربوي الذي يأتي من خاصة الخاصة، ونجد فيه خصوصيات اختيار بناء التصوص من حيث الهيكله والروابط بين الفقرات الضمنية أو الظاهرة لتحقيق الانسجام الداخلي والخارجي للمتكون، بما للمنهاج المدرسي (الرسالة التخاطبية) من أهداف ومحتوى؛ ممثلة في محمول قناة الألفاظ ودلالاتها وحقولها الأدبية/ غير الأدبية وتركيب الجمل والوحدات الدالة. وبعد هذا البناء تأتي آليات الإقراء ويقوم بها المختصون وأهل الحل والعقد؛ حيث يتم دعوة المتعلم إلى متضمنات التصوص، وما يجري عليها من انتقاء بهدف التكوين المطلوب. ولما تتم كل العمليات الأساس سيحصل حسن التحكم في أركان المهارات وبخاصة مهارة القراءة وفهم مضمونها، وما يتبع ذلك من تدريبات مثيرة مكملة في العملية الفكرية ذات العلاقة باحترام ما يحتاج إلى احترام، وتقديس ما هو أهل لذلك، وفي كل مرة تحدث إصلاحات تربوية تحصل فيها نقل سلسلة أفكار هدفها البناء على بناء جيد وهو قاعدي، وتشطيب ما هو غير صالح للمتغيرات، ويكون مقبولاً بفعل الحراك التربوي الذي يعيشه المتعلم من خلال المحيط العام الذي يتأثر ويؤثر. ومن هنا نرى عملية التقييم من الأهمية بمكان كي تتواصل مسيرة السيرورة في إطار التحسين لا التراجع. وبكل ذلك نكون قد ضمنا مسيرة البناء التكاملي في سلسلة الحضارة التي

توضع لبنائها من صاحب الفكرة إلى مُطوّر الفكرة، والعاملين على توسيع الفكرة.

أيها المتابعون، لا يمكن أن نحكم على نجاح المقاربة النصية إلا بحسن انسجام محتويات الكتاب المدرسيّ الحامل للتصووص التعليميّة، وفي ذات الوقت لا ينجح الكتاب المدرسيّ إلا بوعي مبلّغيه؛ أي العول على الانسجام الرباعي: المكوّن، والمكوّن، المنهاج، الكتاب المدرسي، وترون بأنّ هذه العمليات حلقات مكوّنة للطريقة التعليميّة. ولضمان نجاح هذه السيرة لا بدّ من تحقيق المهارات التي تعمل على تحليل النصّ في إطار تفاعل وانسجام التصووص الأخرى، والتواصل معها، وبناء معناها بناءً ملائماً، وإظهار الكيفية التي يُبنى بها انسجام التصووص، من خلال اكتشاف مكوّنات النصّ الصّرفيّة والتحوّية والدلاليّة، والتعرّف على أبعاده النصيّة والتداوليّة، وعدم الفصل بين الأنشطة اللغويّة، وفسح المجال لحرية التحليل بشكل يسمح للمتعلمين بترسيخ كفاءات علميّة تضمن استقلاليتهم وهم بصدد تلقّي التصووص. ولهذا من الأهميّة بمكان أن تُسند مهمّة صياغة المناهج وتحديد أهدافها وغاياتها، ورسم الطّريقة التعليميّة وصناعتها لذوي الاختصاص ممّن تشبّعوا بالمعارف القديمة والحديثة في مجال التعليميّة والدّراسات اللّسانيّة، وإشراك ذوي الكفاءات والخبرات في سائر التخصّصات الاجتماعيّة والتفسيّة والتربويّة والعلميّة في تأطير العمليّة التعليميّة، وفي ذات الوقت العمل على صياغة المناهج والطّرائق التعليميّة باعتماد نتائج تحريّات البحوث الميدانيّة القائمة على الدّراسات التحليليّة، ومنطلقها البحوث الجامعيّة ذات العلاقة بالتنظير أو ذات العلاقة بالميدان، من أجل الضّبط

الدقيق للمحتويات، وإطلاع القائمين على تنفيذ التصورات التعليمية من مفتشين ومعلمين على كيفية تطبيق الطرائق التعليمية الحديثة المعتمدة في المنهاج في دورات تكوينية منتظمة، فهم أهم حلقة يكتمل بها نجاح تطبيق أي تصور تعليمي.

3- ما قبل الخاتمة: أيها الجمع المتابع، إن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسات تطبيقية لمعرفة الترابط النصي الجملي الجزئي داخل النص الكلي وكيف يُعالج في ترابطات عبر مستويات: إعادة اللفظ + التضام + التعريف + الإحالة + الاستبدال + الحذف + الربط الرصفي. وكثير من الدراسات التربوية تُراهن على تحليل المحتوى بالنظر إلى الكتاب المدرسي على أنه وسيلة من وسائل الاتصال، تلك العملية التي تتكون من مُرسِل، ورسالة، ووسيلة ومستقبل. ولهذا لا بدّ من استيعاب أدوات تحليل المحتوى، وحسي أنها تُبرز ما في الكتب المدرسية من قيم، وما يسودها من اتجاهات أو مواطن اهتمام وما يحمله البحث عن المعنى الذي يحمله النص، أو القصد التبليغي المضمّن داخل الموضوع، أو الرسالة الكامنة في النص المراد تبليغُه الى مجهول أو معلوم. ويمكن أن أقول إنّ تحليل المحتوى يُعدّ نوعاً من القراءة الأخرى المختلفة عن القراءة التقليدية، وغايته الكشف عن النص المكتوب، بل تتخطاه نحو اللغة الشفاهية والصورة والحلم والموسيقى والمواقف والأصوات، والإشارات والإيماءات والحركات. وعلى هذا يكون السعي نحو التحليل بلوغاً إلى المعنى، استناداً إلى إحصاء مفردات بعينها داخل النص. ويؤدّي الأسلوب الإحصائي، والأدوات الكمية دوراً بالغ الأهمية في تحديد المضامين المستهدفة، حيث يتمّ الوقوف على صياغة كلمات يستخدمها كلّ

طرف إزاء الآخر؛ وصولاً إلى تحديد موقفه وميوله واتجاهاته. ولهذا نرى ضرورة الاهتمام بتحليل المحتوى الذي يُعتمد في ميدان الإعلام لما يُشخصه من تحليل الخصائص اللغوية/ الدلالية للرموز الاتصالية المستخدمة، وما يُحدده من تكرارات أو ظهور أو ورود أو حدوث هذه الخصائص بدرجة عالية، وتحديد القيم الكمية لهذه التكرارات، وإمكانية تمييز هذه الخصائص بمصطلحات ذات صبغة عامة، وتمييزها باصطلاحات ذات صلة بفروض الدراسة ومجالاتها، وهذا كله يؤدي إلى الضبط الدقيق المحكم لهذه الاصطلاحات المستخدمة التي تعمل على تحديد الأجزاء المكونة للمحتوى وتحديد العلاقات بين هذه الأجزاء، وتحديد طرائق تنظيم العلاقات بين الأجزاء في بنية المحتوى.

- **الخلاصة:** لا بدّ من التّويه بأهميّة هذه التّدوة، ونروم أن يتواصل البحث في هذا الموضوع من الأطراف المعنيّة؛ نظراً لما يكتسيه من أهميّة، وما توليه الدّراسات الحديثة من تحيين، وكى نقل المدرسة الجزائرية إلى المحطّات العالميّة المنتجة للعلم، والمسايرة لأحدث تقنيات التّواصل التربويّ في الانتقاء والبناء والإقراء؛ بناءً على مقاربات معاصرة التي تلحّ على:

- 1- إعداد الخطط التعليميّة الفصلية واليومية.
- 2- اشتقاق الأهداف التعليميّة التعلّمية.
- 3- اختيار الاستراتيجيات التعليميّة التعلّمية المناسبة.
- 4- اختيار الوسائل التعليميّة والتقنيات المناسبة.
- 5- بناء الاختبارات التّحصيلية وفق الخطوات العلميّة.
- 6- تبويب أو تصنيف عناصر المحتوى لتسهيل تنفيذ الخطة.
- 7- الكشف عن مواقف القوّة والضعف في الكتاب المدرسي.
- 8- زيادة كفاءة المعلّم في مواجهة الفروق الفرديّة من خلال تحليل المهارات.

9- تجنّب العشوائية في التّدريس.

ولا يسعني في التّهاية أن أشكر جامعة (يحي فارس) بالمديّة على ما ثوليه من تقديم أفكار تربويّة في عماد مستقبل الأمة، وهو ميدان التّربية والتّعليم كما أشكر الحضور طلبة وأساتذة ومُسيّرين، وكذا المتابعين على وسائل التّواصل الاجتماعيّ الذين ينقلون نشاطات المجلس الأعلى للغة العربيّة. وأجزل لكم الثّناء والحمد على حُسن استماعكم ومتابعاتكم هذه الكلمات

التي رأيتها تعمل على تقديم أفكار في ندوتكم العلميّة العالمة هذه، ونأمل أن تُشبع بالبحوثِ والدّراساتِ والنّقودِ المُضيفَةِ التي تعمل على حَسْنِ الأداء في لاحقٍ من ندواتكم، وبوركتِ خطواتِ العاملين على صناعة جيلِ الرّدِ المُنيفِ، جيلِ الغدِ المُضيفِ. والسّلام على طلابنا في المديّة، وتهاني الخاصّة بيومكم الوطني، وعسى أن نُحتفيَ بكم ناجحين، علماء راسخين، وللأفكار منتجين، وللمشاريع حاملين، وبكم نستنير، فأنعم بكم يا رجال الغد المنير! وهذا اللقاء من لقاء البديع، والسّلام على الجميع.

اقتراح استراتيجية موحدة

للمصطلحات العلمية العربية[♥]

الديباجة: في الحقيقة يعدّ المصطلح العلميّ بالعربيّة من مضايقات اللغة العربيّة في عصرنا الرّاهن؛ نظراً لأهمّيته المتنامية في التّواصل الحضاريّ بين اللغة العربيّة وغيرها من اللغات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يدخل ضمن آليات تطوير العربيّة وجعلها وافيةً للغة العلم، وهذا ما يعطي البعد الحضاريّ للأمة العربيّة، وتحديد ملامح ثقافتها، ووجودها على خريطة اللغات الحيّة؛ بما لها من حظّ وفير في كثرة المصطلحات وبما لوحده مصطلحاتها من أثر مباشر في وحدة الأمة الفكرية والسياسية. وفي كلّ هذا فإنّ قضية توحيد المصطلح العلميّ من القضايا المائزة لتشكيل الأثر الإيجابيّ والتنوعيّ في متن العربيّة- والدّفع بها إلى سوية اللغات العلميّة. ولا يمكن أن نستفيض كثيراً في هذه المسألة وسبق أن قدّمتُ محاضرةً موسومةً (نحو استراتيجية عربيّة لنشر المصطلح العلميّ) في رحاب مجمع اللغة العربيّة في دمشق بتاريخ 9- 12 أكتوبر 2004م، وقد وقع التّنصيب على توحيد منهجية وضع المصطلح مهما كان مجاله وهي التي تفرض توحيد، إلى جانب قضتي: الاستعمال والانتشار، وبصرتُ بضرورة توفير التشريع الثقافيّ

♥ — ألقىت المحاضرة عبر تقنية الاّتصال عن بُعد، لصالح الألكسو (المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم) بتونس، بالاشتراك مع الأراسكو (منظمة المجتمع العلمي العربي) يقطّر في 26 و27 مايو 2021.

والإعلامي في وضع وتوحيد المصطلح، وفي دعم المؤسسات المنتجة للمصطلحات مادياً وأدبياً في مشاريع التعريب، وفي إعداد العقول العاملة المؤهلة لهذه المهمة، وضرورة وجود مؤسسة مرجع واحدة. وخلصت إلى التنصيص على حلّ القضية بشكل نهائي عن طريق استصدار القرار الملزم لكافة الدول العربيّة والذي يكون من الزّامات تطبيقية من دورة من دورات الجامعة العربيّة، وتكون لجنة مراقبة تُتابع تطبيق القرار.

المقدمة: أبدأ كلمتي بالتذكير بما تقرّر منذ مؤتمر التعريب الأوّل في الرباط سنة 1961، وما جاء بعده من مؤتمرات، والقضية لا تزال تُراوح مكانها. خمسون (50) سنة مرّت، ولم نخرج من أزمة المصطلح عامّة والمصطلح العلمي على الخصوص، فأين الخلل؟ نصف قرن ولا نزال نعيش في التّنتظير وفي خطاب الوعظ والإرشاد ممثلاً في (يجب الذي يجب). وما أحوجنا إلى خطاب واقعيّ يُخرجنا من المقترحات إلى المُستلزمات؛ لأنّ مشكل المصطلح العلميّ ليس في الوضع، بل في الانتشار والاستعمال في تدريس العلوم بالعربيّة في مختلف المراحل التّعليميّة. وهنا تأتي مسؤوليّة مؤسساتنا الجمعيّة واتّحاد المجامع اللغويّة ومكتب تنسيق التعريب، في وضع استراتيجية إيصال سفينة تعميم استعمال اللغة العربيّة إلى شاطئ الأمان عن طريق فرض استعمال المصطلح المنتج مهما كان مجاله، وتقديم استراتيجيات نشر الوعي المصطلحي بين الأساتذة والطلّبة، وتوفير المعاجم المتخصّصة والتّشرّات والدوريات التي تُعنى بالمصطلح العلمي، وفي إثراء المجالات العلميّة الحاملة للمصطلح العلميّ العربيّ... ولكن هي الآمال التي نُحلم بها، وهي من المشاريع التي نرفعها دون تبليغ مقاصدها، ونُحن لا نزال نعيش الفشل

والارتهاال، وما يصحبه من اليأس من اللغة العربيّة التي لا يقع توظيفها في الجانب العلميّ، فلا يُعطي ذلك إلاّ العقم.

1_ انفراط عقد الأمة في عدم انسجامها لغويّاً: إنّ انفراط عقد الأمة

العربيّة، وعدم انسجامها وتوحّدها، قد فرض عليها تبعيّة في مختلف المناحي ولهذا التّبعيّة آثار على لغتها بما تعرفه حالياً من تشتت الجهود وتعدّد المدارس، وكثرة الاجتهادات، وجعجات دون أثر، وهذا ما أبانته الدّراسات في مجال فوضى المصطلحات بشكل عامّ، فانفرط عقدنا المشترك وضاع دمّ العربيّة في الخلاف، وفي ازدواجيّة التأسيس المُنافي للتّنفيذ. وتشهد العربيّة حالياً بلبلة في مصطلحاتها على فقرها بالنسبة إلى التّقدّم العلميّ، وما توصم به وأهلها (بالشّعوب المتخلّفة) وتحصيل حاصل بلغة متخلّفة؛ حيث نأخذ ولا نعطي، فنعيش حقيقتين (20): التّخلّف العلميّ والتّقنيّ، وتشتّت الأمة العربيّة سياسياً وإدارياً؛ ممّا ينتج عنهما ازدواجيّة المصطلح العربيّ مقابل المفهوم الأجنبيّ. هي مضايقات معاصرة وعظيمة لا يمكن التغلّب عليها إلاّ بالعلماء والباحثين وأصحاب القرار وكان عليهم الاستئثار لا الإيثار، والبُعد عن التّرويج في الفرديّة والانحياز إلى أعمال الفرق من أجل أنّ خدمة العربيّة؛ لتكون لغة علميّة مطوّعة تجمع شتاتنا، وتكون لسان حالنا في الحاضر والمستقبل.

2_ معرفة الخلل بطلان للعجب: إنّ جوهر القضيّة في توحيد المصطلح

العلميّ وغير العلميّ تعود إلى تعدّد اللغات الأجنبيّة التي تستقي منها العربيّة مصطلحاتها العلميّة، وتعدّد الجهات التي تتولّى عمليّة وضع المصطلح العلميّ والتّقنيّ، إلى جانب تلك العمليات التي تتعلّق بالترادف والاشتراك

اللفظي في العربية ذاتها، وعزوف واضعي المصطلحات عن العودة إلى التراث العلمي العربي أثناء وضع المصطلحات العلمية الحديثة، وأهم نقطة عدم وضع المصطلحات العلمية موضع الاستعمال والتطبيق، وتعدّد المنهجيات المتبعة في وضع المصطلحات العلمية. ويبدو لي بأن هذه الحوصلة كافية لاعتماد استراتيجيات لحلة هذه القضايا في الراهن. ومن هنا بصّر المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر بمجموعة من المقترحات نقدّمها لمن يُهمّه الأمر، ونرجو أننا أسهمنا في نظرة مستقبلية لمسألة المصطلح العلمي التي تعيش عيش اللبد.

3- اقتراح استراتيجية موحدة: إنها استراتيجية عملنا عليها مدة منذ سنوات ونحن نحوض ميدان المصطلح بصفة عامّة، وقد دافعنا عن ضرورة توحيد منهجية الوضع وهي السبيل لتوحيد منهجية التوحيد. وسبق أن دافعنا عن الخطوط العامة للوضع وهي مستقاة من لقاءات عربية في ملتقيات دراسية، ومن خلال ندوات التعريب، ممثلة في:

1/3- ضرورة وجود مناسبة أو ما شابه بين مدلول اللفظ اللغوي ومدلوله الاصطلاحي.

2/3- لا يشترط في المصطلح أن يستوعب كلّ دقائق المعنى.

3/3- رفض الترادف في المصطلحات العلمية.

4/3- استخدام الترجمة الدلالية والمجاز.

5/3- إذا تعدّر إيجاد مصطلح عربي يُلجأ إلى التعريب.

- 6/3- تحديد الدلالة العلميّة للمصطلحات المتقاربة، وعدم تقييدها.
- 7/3- توخّي وضوح الدلالة وتجنب الإمام.
- 8/3- توحيد ترجمة المصطلحات المشتركة بين مختلف العلوم.
- 9/3- ضرورة وضع تعريف موجز لكلّ مصطلح عربيّ إمعانا في تحديد الدلالة.
- 10/3- مراعاة صلات الترابط الاشتقاقي والتصريفي والمعنوي بين المصطلحات.
- 11/3- تُقدّم الكلمة الخاضعة للاشتقاق على التي يصعب الاشتقاق منها.
- 12/3- تقدّم الكلمة الكثيرة الدوران على النادرة، والكلمة المنسجمة الحروف على المتنافرة.
- 13/3- تفضيل الكلمات العربيّة الفصيحة على الكلمات المعرّبة.
- 14/3- اعتماد تعريف المصطلح عند دلالاته على مهنة خاصّة.
- 15/3- تجنّب استخدام العاميّة وبخاصّة المحليّة أو الإقليميّة.
- 16/3- تُقدّم الكلمة الخاضعة للاشتقاق على التي يصعب الاشتقاق منها.
- 17/3- استعمال المصطلح الأجنبي لضرورات القاهرة.
- 18/3- الالتجاء إلى التّحت عند الضّرورة العلميّة.

هي أفكار نزعم أنّها نوعيّة تعمل على تقديم أجزاء من الحلول في أزمة توحيد المصطلح العلمي في اللغة العربيّة، ورأينا أن نستكمل بمجموعة من المحدّات المكمّلة لها.

4- **رفع اللبس عن العربيّة:** لا بدّ من رفع اللبس والرّدّ على مَنْ يرمي العربيّة بالعمق؛ فهي لغةٌ منجّاب ولود، بما لها من إمكانات التّمو اللغويّ في شتى المجالات، وبما تحملها في ذاتها من: توليد واشتقاق ومجاز وترادف ومشارك لفظي، دون الحديث عن طواعيتها في الترجمة والتّحت. وإذا عرجنا على منتج المؤسّسات فإنّه لا يمكن أن توفي هذه المحاضرة الحديث عن ذلك الكمّ، كما لا ننكر جهود الجامع والمؤسّسات والأفراد في إثراء العربيّة بكمّ معتبر من المصطلحات العلميّة في مختلف المجالات، ويكفي أن ننظر في الأعداد الكبيرة للمصطلحات الموحّدة من إنجاز (مكتب تنسيق التعريب) سنرى الوفرة في مختلف المجالات، وفي آخر التّقانات المعاصرة، بله الحديث عن منتج مجمع القاهرة والعراق والأردن والمجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر، واتّحاد الجامع ووزرات التّربيّة في الوطن العربي، والجامعات العربيّة، والمراكز العلميّة ذات العلاقة، ومختلف البحوث التي عملت على ظهور مدارس مصطلحيّة مشرقية ومغربيّة... ولعلّ الناظر في الأعمال الكبيرة التي صدرت ولا تزال تتوالي في الصّدور يلمس مقاربات نوعيّة في منهجيات الوضع والتّوحيد، وفي الدّعوة إلى المرجعيّة الشرعيّة في صناعة المصطلح، وهذا ما يشكّل قطب الرّحى في دراسة المصطلح العلميّ في الوطن العربيّ كلّ، فإنّه من الواجب القومي والعقديّ أن نقول: إنّ جهوداً معتبرة أنجزت، ولكنّها دون رجوع الصّدق في التّوحيد قبل التّعميم، فلم تضيع

الجهود إذن؟ وما الغاية من كثرة المؤسسات المصطلحيّة وهي تنتج الشّتات المصطلحي، كما لا مفعول لمتوجّها، فذلك في نظري تشتيت الجهود الكبيرة التي تُبذل لخدمة المصطلحات العلميّة. وإذا كانت النظرة إلى قضيّة توحيد المصطلح تمثل مشروعاً قومياً حضارياً، لا مندوحة لنا من السّعي للتّهوض به وإنجاحه؛ فإنّ المسألة جدّ بسيطة يمكن التوصل إلى حلولٍ شافية وسريعة. لذلك، ينبغي أن يكون اتحاد المجامع اللغويّة العلميّة العربيّة قاضياً عدلاً يفصل في قضايا المصطلحات المتراكمة باعتباره مؤسّسة جامعة ومنتجة للمصطلح، ويقدم ذلك لمكتب تنسيق التعريب؛ باعتباره مؤسّسة تنفيذيّة.

5- توحيد المصطلح استراتيجيّة حضاريّة: هناك معادلة حياة المجتمعات

تتمثّل في حركة الشّعوب وسرّ تفوّقها وبقائها، ومشاركتها في البناء الحضاريّ، فنلحظ من خلال تلك المعادلة قائمة في البلاد الرّاقية والتي تهتمّ بلغاتها فاليهود في العصر الحاضر كانوا ملّة شتائاً وظلّوا حتّى جمّعوا أنفسهم وأقاموا دولة، وأحيوا لغة ميّنة غدت في ما بعد لغةً في الأدب والسياسة، بل أرادوا لها كذلك أن تكون لغة علمٍ فأنشؤوا الجامعة العبريّة سنة 1925م أيام الانتداب البريطانيّ، فاضطلعت بدورٍ قوميّ فريدٍ يقوم على أساسٍ تدريس العلوم باللّغة العبريّة؛ فقد أيقن علماءهم أنّ جمّعهم لا سبيل إليه إلّا بلغة جامعة. ومن ثمّ، فإنّهم اليوم أمّة؛ وأمّة هذه حالها لا تنفك أن تكون على خريطة الأمم الحيّة النّاهضة، عداك عن أممٍ أخرى لا تواجه لغائهم المشكلة التي تواجهها العربيّة، كالتركيّة والفارسيّة والألمانيّة والفرنسيّة وغيرها. وعليه فتُقاس الأمّة حضارياً بإحصاء مصطلحاتها اللغويّة واستكناه مدلولاتها وذلك ما يقطع بوحدة الأمّة الفكريّة والسياسيّة من وحدة مصطلحاتها

اللغوية؛ لأنّ حركة اللغات أخذًا وإعطاء، وتمايز من خلال استعمالها من أهلها في التدريس والتأليف وكتابة البحوث وغير ذلك من المناشط اللغوية. وهنا لبّ المشكلة في اللغة العربية، وكان علينا تحقيق غاية الهوية اللغوية وإشاعة العلم بها. ونطرح السؤال كيف السبيل للخروج من هذه الأزمة الحضارية؟ وكيف يمكننا العودة بالعربية لغةً عربيةً إسلاميةً موحدة لأقطارنا؟

6- إشكالية المصطلح العربي العلمي ليست فنية، بل هي إشكالية بحثية: من

الهموم التي يعانيها المصطلحيون العرب الذين يبحثون عن منهج لتوليد المصطلحات العلمية أو ترجمتها عن اللغات التي درسوا بها في دول غريبة مسألة المصطلحات العلمية، فهي ليست مسألة فنية أو تقنية متعلّقة بترجمتها إلى العربية، فهذه مسألة سهلة، ولا تنتهي المهمة بترجمة المصطلح لكنّها مسألة بحثية في حدّ ذاتها، لأنهم لا ينتجون المصطلح في ذات لغتهم بل يأخذونه من غير لغتهم، وكلّ لغة لها ثقافة في وضع المصطلح، ولها أرضية معرفية وثقافية خاصة بها، ويمكنها لا تصلح للغة أجنبية. ولتجاوز هذا الأمر يحتاج إلى تواضع معرفي والاطلاع على ما أنجز في هذا الموضوع من توليد للمصطلحات وترجمتها، وإلى إدراك تطوّر العلوم التي تعكس توليد المصطلحات داخلياً وخارجياً، وذلك ما يعكس تفكيرنا وأبحاثنا بصورة حقيقية، إلى جانب الارتباط الفعليّ بمدى تطوّر العلوم اللغوية والاجتماعية والإنسانية عندنا، واستنباط مصطلحات فيها بيسر وسهولة. ولهذا لا بدّ من إقحام علماء اللسانيات في تقديم خطة استراتيجية متوسطة المدى؛ تبدأ بالبحث في تنقية إشكاليات المصطلح ممّا حصل فيها على مدى السنين الماضية، باعتماد نمط حضاريّ جديد خارج الأطر والطرائق التقليدية التي

سلكها العلماء والباحثون في العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة. إلى جانب الحاجة الماسّة إلى وضع منهج واضح لترجمة المصطلحات بنقل المفاهيم وعدم الخلط بين الترجمة والتوليد. فكلّ مترجم، مختصّ، أو غير مختصّ، يقوم بدور في عمليّة التّقل / الترجمة وخاصة أنّ الأصل في اللغة أن تكون العلاقة بين الدّال والمدلول اعتباطيّة، وهو ما ينتفي في الصّناعة المصطلحيّة؛ ذلك أنّ اختيار المصطلح اختيار واعٍ يعتمد على عدد من الأسس اللسانيّة والمفاهيميّة. وهنا تأتي أهميّة المعيرة اللسانيّة؛ باستحضار قواعد بناء الكلمة وقيودها ولذا لا بد من مؤسّسة تُضفي الشّرعيّة على المصطلحات وتقوم بتعميمها وتوحيدها بين الباحثين.

7- ضرورة تداول المصطلح العلمي: أيّها المسؤولون، أيّها العلماء ليس لدينا الوقت للالتفات إلى الوراء، علينا أن نتطلّع إلى مستقبل أفضل وتتفرّغ عقول علمائنا إلى معالجة قضايا توحيد المصطلحات ونشرها ضمن عمليّات مستقبلية جديدة تداوليّة، والتداول يُغربل ويُظهر المصطلح المقبول، وأؤكد ضرورة تجسيد استراتيجية عربيّة تصل بالعربيّة إلى شاطئ الأمان وإرساء قواعد المصطلح ونشره وإشاعته، وأن تتّصف تلك الاستراتيجية بسهولة التنفيذ وبِقصر المدّة، وهذا يحتاج إلى تعاون وتنسيق بين مختلف الشّركاء. ولهذا من الضّروري تنسيق جهود المؤسّسات والأفراد في وضع المصطلح العلميّ، بغية توحيد، وضرورة الاستفادة من المنهجيات الغربيّة. وإشراك الطّلبة في التّدوات الفكرية بالمصطلحات، وتشجيع الأساتذة الجامعيّين في التّخصّص والتّعريف بالأبحاث والمصطلحات، وربط الجامعات ومراكز

البحوث بنوك المصطلحات العلميّة العالميّة، مع العمل على استحداث بنوك عربيّة للمصطلحات العلميّة.

8- مواصلة تركيب التوحيد المصطلحي: لا نسعى إلى خلق البكرة من جديد، فهناك منهجيات رصينة اقترحت من لقاءات العلماء والمجمعيين العرب، ويكفي أن تعتمد بالتوحيد الالزامي، بدءاً من منهجية الرباط 18 - 20 فبراير 1981م، وهي منهجية جيدة أبانت عن نتائج ممتازة في وضع المصطلح العلمي، إلى جانب تلك المنهجية الشاملة التي تمت صياغتها في مؤتمر الجمعيين في مجمع الأردن سنة 1984م، فهي من الخرائط العلميّة الدقيقة التي تفوق مواصفات توحيد المصطلحات التي تنجز في اللغات الأوربيّة، بنظام الإيزو/ (ISO) فنحن لا نفتقر إلى منهج علمي لصياغة المصطلحات، بقدر ما نفتقر إلى منهجية تطبيق ملزم في ضوء حاجتنا المعاصرة، ومنهجية أعمال (الأكسو) في استراتيجياتها الموحدة وفي التخطيطات ومسارات توحيد المنهجية، وقد نصت إحدى التوصيات على ضرورة إرساء مصطلحات عربيّة قادرة على نقل المفاهيم العلميّة بالدقة المطلوبة، وتوحيد منهجية استعمالها بعيداً عن النزعات القطريّة والفردية انطلاقاً من وضع منهجية محددة بوضوح، ينجم عن العمل بها الوصول إلى الكفاية المصطلحية. وهنا نتحدث عن أزمة تطبيق المنهجية الموحدة لا عن أزمة المصطلح، وأقول: هناك منهجيات عديدة أنتجتها المؤسسات وكلّ منهجية تنضح بما فيها من توجه علمي وانتماء لغوي، منهجيات بعضها متقاربة وبعضها متباعدة، وهناك منهجيات الأفراد... والحل يكمن في تطبيق

تلك المنهجية الشاملة التي أقرت في مجمع الأردن، وكفي الله المؤمنين شر القتال.

9- تخطيط سياسة لغوية رشيدة مسنودة بنظرية لسانية: لا يمكن أن ينجح وضع/ توحيد المصطلح إذا لم يحصل هناك تخطيط سياسة لغوية رشيدة بقوانين فقه اللغة العربية، وبمراعاة خصائصها ومن هنا تأتي أهمية السياسة اللغوية المستخرجة لتقوية التخطيط اللغوي، وهذا يستدعي وعياً جديداً بأهمية البحث في القضايا اللغوية للعربية في العصر الحديث وأن نخطط سياسة لغوية مصطلحية تتموقع في إطار تركيبة من الأهداف يشكل مجموعها تجسيدا لسياسة نظرية معينة للغة، ضمن تحسين جودة اللغة وإصلاحها، وتعليمها وتعلمها. ولا بد من اعتماد النزعة العلمية المستحسنة في توحيد المصطلحات؛ بهدف الدقة العلمية، وفصاحة التعبير وسحر البيان ووحدة التفكير والثقافة في الأمة الواحدة.

10- مؤسسة تشريعية منتجة للمصطلح، ومؤسسة منفذة للوضع: وهذا موجود على مستويين هما: اتحاد الجامعات اللغوية العربية باعتباره يضم المؤسسات الجمعية والمجالس والاتحادات، فهو يستقبل المصطلح ضمن قاعدة بيانات تصفي الكم المصطلحي الوافد، ومن ثم تقدمه إلى مكتب تنسيق التعريب الذي يضيف قاعدة جوهرية يعمل على ضوئها في عمليات التوحيد. كما يقوم بالشراكة مع مختلف الجامعات والمؤسسات على نشر معاجمه. ولماذا مكتب تنسيق التعريب؛ باعتباره له دراية علمية في تنسيق المصطلحات باستراتيجياته المعاصرة القائمة على مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية، بمراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية، دون

التخلي عن استكناه التراث، واعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها في منظومة التّرميز المصطلحي. كما سبق أن وضع استراتيجيته وعمل على تحقيقها بشكل مقبول، وهي قائمة على خطة واضحة المعالم في إعداد المعجمات الموحّدة، بتخطيط رباعي كما يلي: الخطة الأولى (69-1983) وهي مرحلة التّصوّر، والخطة الثانية (84-1989) مرحلة إعداد معجمات في موضوعات التعليم العامّ والتّقني والمهني والجامعي والعالي والخطة الثالثة (90-2000) مرحلة إعداد معجمات عامّة في موضوعات علميّة مختلفة، والخطة الرابعة (2000-2010) مرحلة إعداد معجمات في المصطلحات العلميّة الأساسيّة لمجمل المعارف الإنسانيّة.

11- **استصدار القرار السياسي الملزم:** أعرف سلفاً أنّ القرار الملزم ليس سهلاً استصداره، ولكنّه من الحلول التي تُخرج المصطلحات وما يتبعها من إشكالات العربيّة من نفق التّراجع، أو من رأس قنينة الأمان والتّنظير. بالفعل هناك قرارات صدرت وفشلت، وهل نترك الأمر على عواهنه؟ بل إنّ ذلك كان سبب تردّي أوضاع العربيّة، وحن الوقت لمراجعة استصدار القرار في صيغة المراجعة لا التّراجع كما جرى سابقاً، ويبدو أنّ المعطيات الحاليّة تستدعي ضرورة استصدار القرار السياسي الملزم لتوحيد المصطلح ونشره، وفق سياسة موحّدة في الوضع والتّقييس والاختيار الدّقيق المتفق عليه. ولهذا تقتضي ضرورة التّوحيد ومحاولة إثبات الدّات بعيداً عن الدّعاية والرّطانة والتّبعيّة، ألا نبقي تابعين تائهين حائرين، وأن نكون حازمين في تطبيق القرارات العلميّة التي تصدرها المؤسّسات ذات العلاقة بتطوير

العربية؛ لتبيّن مدى إمكانية صنع هذه القرارات لآليات التغيير المطلوب، مع ما يصحبها من إمكانيات التنفيذ.

الخاتمة: إذا جاز لي أن أقدم خلاصة أوقل: من الأهمية بمكان العمل دعوة الألكسو إلى تنسيق جهود المؤسسات والأفراد في وضع المصطلح العلمي، بعد توحيد المنهجية في بعدها العام، وضرورة الاستفادة من المنهجيات الغربية، وجعل مؤسسة واحدة هي المشرعة والمرجع في مجال المصطلحات العلمية، ولا يتأتى هذا بالسهولة إلاّ بإجراء دراسات سنوية حول شيوع وتقبل المصطلحات وتدارس النتائج. ومن هنا تتبع بتنشيط لجان التعريب الجامعية التي كانت نشطة في الثمانينيات، وتحفيزها مادياً ومعنوياً، وإشراكها في الندوات والمؤتمرات ذات العلاقة بالمصطلح. ولا بدّ من إقامة دورات للأساتذة الجامعيين في التخصصات المتجانسة على المستويين المحلي والعربي؛ يتمّ فيها التعريف بالأبحاث والمصطلحات واهتمام الجامعات العربية بعلم المصطلح، وإقراره على الطلبة ضمن وحدات التدريس وربط الجامعات ببنوك المصطلحات العلمية العالمية. والسعي لاستحداث بنك عربي للمصطلحات العلمية العربية الموحدة. ونقترح ألاّ يوظّف المصطلح العلمي إلاّ إذا صدر عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط. وتوظيف الأصوات العالمية التي نستقي منها المصطلحات الأجنبية، فنحن بحاجة إلى كتابتها كتابة دولية، وإلى نطقها كما ينطقها أهلها.

تلكم هي القضية، والمشكلة في أيديكم أيها الباحثون أيها المتابعون المختصون، وعليكم البحث في استراتيجية إعادة العربية إلى مجدها وعلمها

وكيف السبيل للعودة إلى لغتنا التي انسلخنا عنها، ولبسنا لبوس غيرنا، وهل سيفكر المسؤولون اليوم في جدوى تدريس العلوم بالعربيّة في الجامعات العربيّة؟ وهل تستطيع السفارات العربيّة أن تُوظّف أجهزتها لخدمة العربيّة وهل ستفعل جامعة الدول العربيّة دور مكتب التنسيق التابع لها، والأجهزة الأخرى ومختلف الدوائر التابعة لها؟ ونحن هنا لا نبحث عن المسؤول الشخصي بقدر ما نبحث عن الرجل الرّشيد الذي يجمع شتات مختلف الاجتهادات الآتية من المؤسّسات العربيّة أو الأفراد في مجال المصطلح العلمي الذي سيكون عمدة تعميم استعمال العربيّة؛ لتكون لغة العلم والحضارة. وأعلموا أنّ هذه المسائل مرتبطةً بمحاضر أولادنا ومستقبلهم وكذلك بمضمون عقيدتنا التي نريد أن تُشبع بثقافتها العربيّة فساعتها يكون للعربيّة شأن آخر. وأنا على يقين بأنّه ما ضاع حقٌّ وراءه باحثون رشيدون يُبصرون بالوَحدة الشاملة للمصطلح العلميّ الذي بقي طموحاً لكل عربيٍّ وربّما سيكون الفرج الذي دعا إليه المخلصون أمثالكم في ما مضى من الزّمان، وكلّ ما هو أنت عازم عليه فإنّه آتٍ؛ إذا صدقت التّياتُ بالإكبار وشُدّت العزائمُ بالإصرار، وساندتها الدّولُ العربيّة بالقرار.

الخطّ العربيّ والكتابة

وضرورات مُسايرة نمطيات الرقمنة^٧

■ **الديباجة:** تكمن أهمية هذا الملتقى في اختيار عنوانه (الخطّ العربيّ والكتابة الإملائية من التّأصيل إلى التّفعليل) وهو عنوان جامع بين فعالية تأثيل الخطّ العربيّ الأصيل الذي عُرفت به العريّة، وبين ضرورة تفعيل بعض آلياته وفقاً لمتطلّبات نمطيات الرقمنة في شكل آليات العمل الميكانيكي هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ما يُستشفّ من الخطّ العربيّ باعتباره أحد أعمدة المهارات الأربع: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة/ الخطّ. هذا الخطّ الذي انطلقت بدايته من خطّ المُسند - حسب أغلب الروايات - وعُرف منه أربعة أنواع: الخطّ الصّفوي؛ نسبة إلى تلؤل الصّفّا+ الخطّ الثمودي؛ نسبة إلى ثمود سكان الحِجر+ الخطّ اللحياني؛ نسبة إلى لحيان+ الخطّ السّبئي/ الحميري الذي وصل من اليمن في جنوب الجزيرة العريّة إلى الحيرة، ثمّ الأنبار، ومنها إلى الحجاز غرب الجزيرة العريّة. وهكذا عرّف الخطّ العربيّ تغييرات كبيرة في الكتابة من التّأسيس الذي تجسّد في كتابة المخطوطات، وما قرأناه من الخطّ المكي والمدني، ثمّ الأندلسي والمغاربي...

^٧ أقيمت الكلمة في الملتقى الدّولي الذي نظّمه المركز الجامعي (عبد الحفيظ بوالصوف) بميلة بتاريخ 20- 21 جوان 2021م، بمشاركة: مختبر اللهجات ومعالجة الكلام بجامعة وهران+ مختبر الممارسات اللغوية بجامعة تيزي - وزّو+ مختبر الدّراسات اللغوية والتّطبيقية بجامعة المسيلة، تنظيم خلية ضمان الجودة بنفس المركز.

إلى عصر خطوط الحاسوب وما وقع من تنميط أشكالها في مربعات اللغات الطبيعية. علماً أنّ الخطّ العربيّ فنٌّ وتصميمٌ متّصلٌ قابلٌ لاكتساب أشكال هندسيّة مختلفة من خلال المدّ والرّجع والاستدارة والتّزوية والتّشابك والتّداخل والتّركيب... إضافة إلى ما عرفه من زخرفة مسّت المساجد والقصور، كما تجلّت معالمه الفنيّة أكثر في الأواني والتّحف والزّرابي، وفي تحليّة المخطوطات والكتب؛ وبخاصّة نسخ القرآن الكريم. وهنا تجسّدت آيات الابتكار والإبداع بما عرفه الخطّ من: نسخٍ وتلثٍ ومعلّقٍ ورقعةٍ وكوفيٍّ وفارسيٍّ وديوانيٍّ... وكانت الأقلام تتبارى في جودة هذا الخطّ بشكل لم تعرفه خطوط اللغات الأخرى.

1- الخطّ العربيّ والكتابة: يُعرف الخطّ العربيّ بكتابة الحروف العربيّة المفردة أو المركّبة بقالب الحُسن والجمال، أو ما يُعرف بفنّ الخطّ. ويقول القلقشندي في (صُبْح الأَعشى) الخطّ ما تُعرف منه صُورُ الحروف المفردة، وأوضاعها وكيفيّة تركيبها خطّاً. وقال (ياقوت بن عبد الله الموصلّي) الخطّ هندسة روحانيّة ظهرت بألة جسمانيّة، إن جودتَ قلمك جودتَ خطّك، وإن أهملتَ قلمك أهملتَ خطّك. والكتابة من (كتب) بمعنى إذا خطّ بالقلم وضمّ وجمع وخاطّ وخرزّ، ويقال كتب قرطاساً؛ أي خطّ فيه حروفاً وضمّها إلى بعضها، وكتب الكاتب؛ أي جمعها. وقد شاع إطلاق الكتابة عرفاً على أعمال القلم باليد في تصوير الحروف ونقشها وعلى نفس الحروف المكتوبة. إذأ هما بمعنى واحد، رغم أنّ الكتابة تُطلق في الاصطلاح الخاصّ بالأدباء على صناعة الإنشاء.

2_ التطور الذي عرفه الخط العربي: هناك بدايات قديمة جداً لظهور تدوين اللغة العربية قبل العصر الجاهلي في منظومة اللغات العروبية واختلقت الآراء، ولهذا يمكن الحديث فقط عن تلك الكتابة التي ظهرت في تدوين القرآن الكريم على يد (زيد بن ثابت) وكتبة الوحي، ثم الرسم العثماني، ثم ما عرفه من إعجام منذ أبي الأسود الدؤلي 69 هـ، فاجتهاد (نصر بن عاصم) 90 هـ، فالخليل بن أحمد الفراهيدي 170 هـ، وضبطت الحروف العربية بثمانية وعشرين (28) حرفاً. خضعت لترتيبات مختلفة تفاوتت في الواجهة والمعايير المستعملة:

1/2_ الترتيب الأبجدي: تمّ تصنيفه بناءً على معيار الأصول التاريخية/ خارج الأصوات وهي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت، نخذ ضظغ.

2/2_ الترتيب الهجائي: تمّ ترتيبه شكلياً يعتمد على الأشباه والنظائر أي تشابه أشكال الحروف من حيث الرسم، ويعود هذا الترتيب إلى اللغوي (نصر بن عاصم الليثي الكناني) وهي: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي. يُعدّ هذا الترتيب أكثر تداولاً لسهولة البحث وتوافقه لآليات الكتابات العالمية. كما نشير إلى ظهور اجتهادات معاصرة من مثل أعمال المجمعين واجتهاد لخضر غزال 2004م، في نظامه (العمم - شع). ولقد عرف الخط العربي جملة من التطورات في تجويد الخط على يد الخطّاطين أمثال: أبي علي بن مقلة، علي بن هلال البغدادي، ومير علي الهراوي التبريزي، والضحاك

بن عجلان، وإسحاق بن حماد... ثم ما شهدته التغييرات الخطية في الأندلس وفي عهد المرابطين وعند الموحدين، وفي دول الإمارات، وما عرفه من تزيين نوعي على يد الخطاطين العثمانيين بخطهم المعروف (الديواني) وعند الإيرانيين في لوحات فنية مشكّلة للصّور، ثم ظهور أقلام عُرفت بـ: السّجلات + الديباج + الطّومار + الثّلثين + المُفتّح + الحَرَم + العهود + القصص + خطّ الإجازة/ التّوقيع... وإلى جانب تلك التّطوّرات التّقنية المعاصرة في مهارة صناعة هذا الفنّ، وما عرفه من إضافات عبر نظام ميكني في ما يُعرف (Caractères Spécieux).

وفي كلّ هذه التّطوّرات، فقد شكّل الخطّ العربي أحدَ المظاهر البارزة والرئيسة للحضارة العربيّة الإسلاميّة، منذ صيرورتها الأولى وحتى اليوم فقد تطوّر قليلاً مع تطوّر الحضارة السّريع، وكان الوسيلة الأساس في نشرها وتعميمها، وفي نفس الوقت عمل هذا الخطّ كعمل فني قائم بذاته له خصائصه ومزاياه التّشكيلية والتّعبيرية، والتي شهدت بدورها تطوّراً كبيراً خلال مراحل تطوّر الحضارة العربيّة الإسلاميّة. ومع كلّ ما يعرفه هذا الخطّ من نقائص حديثة لا يزال موضع اهتمام وبحوث وتجارب؛ بهدف استيلاء مُنجز بصريّ عربيّ مُعاصر، بما يكتنزه من قيم تشكيليّة ودلاليّة وتعبيريّة وأضحى محلّ دراسات علميّة في مخابر القياسات، ولدى منظمات المواصفات والمقاييس العالميّة؛ ليكون عامل قياس نمطي يجعل منه محارف نمطيّة تخضع للضّبط الدقيق الذي تقبله الآلة المعاصرة في الطّول والعرض وقابليّة التّشكيل. ولقد احتفظ هذا الخطّ بنظام جعله ينقل العربيّة في التّعليم للأجيال القادمة لما له من مرونة ومسايرة لليدّ التي تكتبه وللآلة التي تُنمّطه

مما خلق فيه هالة/ نظرة تقديسيةً بخصوص حمله للقرآن الكريم وللفنون الإسلامية؛ حيث شكّل هذا الخطّ عنصراً رئيساً من عناصر اللغة العربية في تزيينها وتحسينها، وكان هذا الخطّ الرّافعة الأساس لجمالياتها البصريّة والدلاليّة، وهذا ما دفع أغلبية الباحثين والدّارسين اعتباره أكثر الفنون عُروبةً، لارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم وبالشريعة الإسلاميّة.

وفي كلّ هذا لا تزال العربية تعرف مضايقات في مجال الإملاء؛ رغم ما قدّمه المجمعيون من الاجتهادات التي لم تخرج عن قضايا الهمزة وبعض التيسيرات الخفيفة في الكتابة، وبقيت إشكالات الرّاهن تعيش المضايقات من مثل: الشكّل + عدم الخروج عن الكتابة الموروثة في القرآن (مصحف عثمان) + رفض الخروج عن التقليديّة في الكتابة الموروثة من مثل: مائه/ شئون/ هيئة/ قراءوا، ونظر إلى كتابة القرآن الكريم فيها ما لا يلقاه التلميذ في الكتاب المدرسي، فهنا عليه أن يتعلّم أكثر من خطّ، وانظر مثلاً إلى قوله تعالى ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف 49. وهذا نموذج لا ندخل فيه بقدر ما نسعى أن يكون الخطّ موحداً، وما له علاقة بالقرآن نحافظ على قدسيّة الكتابة العثمانيّة... ولكن المهمّ في الأمر هناك صدور قرارات مَجْمعيّة تحثّ على تطبيق الكتابة المعاصرة، ويبدو لي هناك رفض إضافة أشكال جديدة في منظومة الخطاطة العربيّة (مجموعة القرارات العلميّة في خمسين عاماً، 307 - 325) وظلّ المحافظون متمسكين بموروث السلف في المكتوب على أنّه من التاريخ المقدّس، كأنّه نزلت القراءة القرآنيّة بذات الخطّ، وكان ذلك من المشكلات التي تُرهق متعلّم اليوم في

كثرة الخطوط وفي نقص الخطوط الوظيفية التي ظهرت مع الحركات الثقيلة التي تعرفها المجتمعات العربية والإسلامية في الاحتكاك بالآخرين، وما تُضيفه التقانات المعاصرة من تسميات تحمل أصواتاً ليست في منظومتنا الخطية... وكلّ هذا كان من العوامل التي تجعلنا في موقف إعادة النظر في قضايا لم يقع الفصل فيها في مسألة المكتوب العربي، ونحن بحاجة إلى فتوحات معاصرة بهذه اللغة.

ولأهمية هذا الموضوع في وقتنا المعاصر، ظهرت دراسات تحمل مصطلحات: التيپوگرافي/ الكاليگرافي بخصوص تجسيد التشكيل بواسطة الحروف، وهي من هواجس العصر في الرفع من سوية الخط العربي ليكون له موقع في خريطة اللغات التمتية التي تُكتب بالسماع، ويحدث فيها ما يحدث من كتابة دقيقة حسب المسموع. وبات حرياً الآن تحقيق أيقونات خطية جديدة تُحافظ على استمرارية الخط العربي، وتستوعب أبعاد تحقيق ذلك في كتابات الخطّاطين على مدى قرون عديدة ممتدة من القرون الهجرية الأولى حتى وقتنا الحاضر، بتحقيق: القرائية + الجمالية + الدلالية، وصولاً إلى الميكنة الحديثة.

3- مضايقات معاصرة للخط العربي: هناك جملة من المضايقات نعرضها باختصار، وهي:

1/3- كثرة الخطوط العربية التي أصبحت مُتداولة.

2/3- تنوع كتابة المخطوطات العربية بخطوط وحواشٍ لا تكاد تُشفر.

3/3- غياب التّميّط الخطّي في الكتب المدرسية.

3/ 4- عدم التّمييز بين التّزيين والزّخرفة، وبين خطوط التّدريس .

3/ 5- ضعف الاهتمام بالمختصرات في الكتاب المدرسيّ، وعدم تدريس علم التّعميّة.

3/ 6- غياب تدريس مصطلحات المختصرات، وعدم استعمالها في العربيّة إلّا في العلوم وفي الرياضيات.

3/ 7- عدم وقوع الصّائت على الصّامت.

3/ 8- ثبات النّص العربيّ الخطّي على التّسعة والعشرين (29) حرفاً/ نقص جملة الأصوات التي نسمعها في لغة التّداول اليومي، ولا نجدّها في منظومة الخطاطة، علماً أنّ سيّويه (الكتاب، الجزء 4، ص 431 - 433) في باب الإدغام) قال: "... وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروغ وأصلها من التّسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار... وتكون اثنتين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيّته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا في الشّعور... وهذه الحروف التي تَمْتُها اثنين وأربعين جيّدتها ورديتها أصلها التّسعة والعشرون لا تيين إلّا بالمشافهة، إلّا أنّ الضّاد الضّعيفة تُتكلّف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف؛ لأنّها من حافة اللسان مطبقة..."

4- ضرورات مُسايرة نمطيات الرّقمنة: لا نسعى من وراء هذا الابتعاد عن الشّكل العربيّ مُطلقاً، بقدر ما نروم تحسين وإضافة ما يتمشّى مع العولمة

اللغوية التي تفرض علينا جملة من المضايقات الخطية، ولا بدّ من التّفعيل داخلها كي لا تنكمش لغتنا العربيّة، أو تُعرف القهقري، ولا تنال السّوق العالميّة وهذه جملة الأسباب:

1/4- ضرورة التّماهي مع العولمة بالمحافظة على الخصوصيات العربيّة.

2/4- ضرورة الوعي اللغويّ في حاجة العربيّة إلى ترجمة العلوم وترجمة المصطلحات، فنحن نأخذ من اللغات الأجنبيّة فقط، ولا نبدع بالعربيّة، وكان حرياً بنا أن نقل هذه العلوم بأسمائها في كثير من الأحيان.

3/4- لا مشاحة في نقل المصطلحات الأجنبيّة، فالعلوم مثل الرياضيات والطبّ لا لغة لها، بل يمكن نقل المصطلحات مع محاولة تكييف بعض أصواتها وفق ما يقبله الدّوق العربي، أو نقله كما هو، كما نصّت عليها قواعد التّعريب.

4/4- هناك أصوات في اللغات التي نقل منها العلوم لا توجد في أصوات العربيّة، فكان لا بدّ من نقلها كما تُنطق في لغاتها؛ ليكون الفهم أدقّ وأوضح، باعتبار العربيّة تأخذ ولا تُعطي في الوقت المعاصر، من مثل اسم الدّواء (Paracétamol) / پراسيتامول. ونعني هنا تلك الأصوات التي يكثر دورانها في القضايا اليوميّة التي نجد ضرورة النّطق كما هي من مثل: p+v+ ...j+ zz+ g+ q

5/4- هناك أصوات في الدّوارج العربيّة، ولا توجد في المنمّط المكتوب في الحروف التسعة والعشرين، فما العمل ونحن نتعامل مع ألفاظ الحياة

العامة، وفي أسماء الألقاب وفي أسماء الأماكن المرتبطة بواقع لغويّ ما، وفي نقل الأدب الشّعبيّ، وفي المسكوكات القديمة والحديثة، وفي إنزال اللغة الوظيفيّة المحلّ التداوليّ.

4/6- إنجازات أوليّة في المعجم التاريخي للغة العربيّة، والعربيّة منبُعها اللغات السّامية القديمة، وقد تفاعلت معها: العبريّة+ الآراميّة+ الحبشيّة+ السّريانيّة+ الثّموديّة... وفيها أدبنا القديم بما يحمله من أصوات الزّمن الغابر كما نجد نقوشنا التي هي تاريخنا القديم، فهل نترك كلّ ذلك دون نقله كما يُنطق، ونستخلصه من تلك اللغات التي استحوذت عليه، بل تأثّرت به.

4/7- موقف العربيّة في العصر الحاضر والمستقبل أمام لغات العولمة (Lingua –Franca) في تبادل المصالح المُرسلة، وفي قضاء الحوائج التجاريّة وفي الأسفار، وفي نقل التكنولوجيّة، وما يتبع ذلك من التّواصل العالمي عبر الضّخ المعلوماتي بلغات نحن بحاجة إلى الإفادة منها، وإلى العيش ضمن دائرة تبادل المنافع (الأخذ والعطاء).

5- المتغير المطلوب في نمطيات الرّقمنة: كي نلحق الرّكب، لا بدّ أن نتعوّل بلغتنا، ولا نجعلها منعزلة، وعند ذلك نحكم عليها بالفناء. وإنّ العربيّة تمتلك النّظام الاشتقاقي الذي لا مثيل له في اللغات العالميّة، وعليه فإنّ الغاية من هذه الكلمة هي إسباغ الطّابع العربي على العلم؛ بجعلِهِ يبدو كأنه ينبثق من بيئة عربيّة وفكر عربيّ. ولذا من الضّروري الخروج التّدرجي من الأسر الذي كبّلنا فيه أنفسنا في الرّموز الأجنبيّة، ولا يعني هذا عدم الأخذ بما هو مختصر علمي؛ بل كيف نجعل مختصراتنا تنال موقعها في المؤسّسات الدّوليّة

على غرار مواصفات (ISO)، ومن ثمّ البقاء داخل منظومتنا الخطيّة العربيّة والمحافظة على جمالها، دون المساس بها، وقاعدتنا الإضافية من خلال استحداث بعض الرّموز للحروف القريبة من الحرف القديم للاستجابة للصّوت فقط. ومن هنا من الضّروريّ سنّ منهجيّة عربيّة متّفق عليها، ومن ثمّ يأتي الوضع على قواعدها كي لا ندخل في خلافات الرّموز. وهنا لا ننطلق من الفراغ أو البداية من الصّفر فهناك اجتهادات ومشاريع جيّدة يمكن الاستهداء بها، كما يمكن تحيينها والإضافة إليها على غرار عمل المجمع الأردني الموسوم (مشروع مجمع اللغة العربيّة الأردني للرّموز العلميّة والعربيّة، 1985م). وهنا يمكن القول بأنّ القضيّة يمكن أن تفضي إلى حلّ هذه المشكلة بشرط الاستعمال؛ فهو الذي يجعل المصطلح سهلاً ميسّراً مقبولاً.

وفي هذا المجال أوجّه الطّلبة لحسن توظيف الرّموز الرّياضيّة؛ فهي القاسم المشترك بين اللغات، والرّياضيات لا لغة لها. وإليكم هذه الصّورة التي يجب العلم بهذه الرّموز:

1/5_ دلالات الرموز الرياضية:

الرموز الرياضية

\backslash	\times	$\frac{\square}{\square}$	\div	\cdot	\times	\mp	\pm	$-$	$+$
\sim	\parallel	\wedge	\neq	\equiv	\doteq	Ω	\approx	\neq	$=$
\square	\square	\square	π	\triangleright	$>$	\wedge	$\sqrt{\square}$	$\sqrt{\square}$	$\{\dots\}$
\lrcorner	\ll	\gg	\rightarrow	\downarrow	\uparrow	\leftarrow	$ \dots $	$[\dots]$	(\dots)
$\square \nabla$	∇	\vee	\wedge	\forall	\geq	$>$	\leq	$<$	\ll
∞	∇	\oplus	\otimes	$\#$	\dashv	\exists	\leftrightarrow	\leftarrow	\neq
\in	\in	\neq	\neq	\supset	\supset	\cap	$\square \cap$	$\square \cup$	\cup
\emptyset	$-$	$\square \cap$	\cap	α	$\square \sum$	\sum	I	$:$	$-$

1/1/5: إشارات ابتدائية:

الرمز	دلالاته
$+$	إشارة عملية الجمع، وإشارة العدد الموجب.
$-$	إشارة عملية الطرح، وإشارة العدد السالب.
\mp / \pm	إشارتا موجب أو سالب، مثل $4 \pm$ تعني: 4 أو -4.
\times	إشارة عملية الضرب القياسي، والضرب الديكارتي (المتجه).
\cdot	نقطة، وإشارة ضرب، والضرب الداخلي: أ.ب / أ.ب
\div	إشارة عملية القسمة.

-	خطّ الكسر في مثل $\frac{1}{2}$ وقد يكتب $2/1$ أو $1/2$. لاحظ أن المخرج دائماً تحت الخطّ.
/	خطّ الكسر في مثل (أ- ب) / ج. لاحظ أن المخرج تحت الخطّ.
%	إشارة النسبة المئوية.
=	إشارة التساوي.
≡	إشارة التساوي حسب التعريف: $د = هـ$.
≠	إشارة نفي التساوي: $4 \neq 5$.
≈ / ≅	إشارتا التساوي بالتقريب: $3,1416 \approx \frac{22}{7}$.
≈	إشارة التساوي بالتقارب: س ≈ 5، مثل س ← 5.
≡	إشارة التطابق: 3 (مض) ≡ 7 (مض) 2.
≇	إشارة نفي التطابق.
△	إشارة التقابل، في مثل: كل نقطة على الخارطة تقابل (أو تمثل) مليون نسمة).
∠ / ∠	إشارتا الزاوية.
└	إشارة الزاوية القائمة.
⊥	إشارة التعاقد.
// /	إشارتا التوازي.
△	إشارة المثلث.
←	إشارة التقارب، ويستعمل ← / ↔ بمعاني أخرى معروفة.
≈	إشارة تشابه المحاذاة.
()	{ } / [] أقواس وحاصرات تُستعمل بأحجام مختلفة ومعاني تتباين أحياناً

2/1/5: إشارات التباين:

الرمز	دلالته
>	إشارة (أصغر من): $4 > 3$.
\geq	إشارة (أصغر من أو يساوي): \geq ب يعني $>$ ب أو $=$ ب.
\gg	إشارة (أصغر من بكثير): $100 \gg 3$.
<	إشارة (أكبر من): $3 < 4$.
\leq	إشارة (أكبر من أو يساوي).
\ll	إشارة (أكبر من بكثير).
\nlessgtr	إشارة (ليس أصغر من): س \nlessgtr 5 يتضمّن أنّ س \leq 5.
\nlessgtr	إشارة (ليس أكبر من).

3/1/5: إشارات المنطق الرياضي والتحليل العددي:

الرمز	دلالته
\sim	إشارة النفي. مثلا: \sim ق تعني (ليس ق).
\neg	إشارة نفي أخرى.
\wedge	إشارة عطف، مثلا: ق \wedge ض تعني (ق و ض).
\vee	إشارة اختيار بمعنى (أو)، مثلا: ق \vee ض تعني ق أو ض، أو كليهما.
\downarrow	إشارة الإنكار الشامل ق \downarrow ض تعني أنّ كليهما خطأ.
\Leftarrow	إشارة التضمين: ق \Leftarrow ض تعني أنّ ق تتضمّن ض.
\Leftrightarrow	إشارة التكافؤ: ق \Leftrightarrow ض تعني أنّ كلا منهما تتضمّن الأخرى.
\forall	إشارة التعميم: \forall س تعني لكلّ قيم س (يتحقّق شرط ما).
\exists	إشارة تخصيص: \exists س تعني هنالك عدد ما س (يحقّق شرطا ما).

1/1/5: إشارات نظرية المجموعات والتحليل الرياضي:

الرّمز	دلّالته
U	إشارة الاتحاد: $S \cup V$ تعني جميع عناصر S و V (المشتركة والغير مشتركة).
\cap	إشارة التقاطع: $S \cap V$ تعني العناصر المشتركة بين S و V .
\subset	إشارة الاحتواء: $S \subset V$ تعني أنّ S يحتوي على V وإنّ V مجموعة جزئية فعلياً من S .
\subseteq	إشارة الاحتواء: $S \subseteq V$ تعني أنّ V مجموعة جزئية من S (وقد تكون هي S).
$\not\subseteq / \not\subset$	إشارتا نفي الاحتواء.
\supset / \supseteq	إشارتا احتواء: $S \supset V$ ، $S \supseteq V$ تعني أنّ S محتواة في V .
$\not\supset / \not\supseteq$	إشارتا نفي الاحتواء.
\ni	إشارة الانتماء: $S \ni V$ تعني S عنصر من عناصر V .
\notin	إشارة نفي الانتماء.
\in	إشارة انتماء $S \in V$ تعني S هي المجموعة التي ينتمي إليها العنصر V .
\notin	إشارة نفي الانتماء.
$(())$	قوسا الثنائي المرتب، والعناصر الكثيرة المرتبة، $\{\}$ قوسا المجموعات.
\oint / \int	إشارتا التكامل، باعتبار \int حرف الكاف محرفاً.
Δ	إشارة مقدار الزيادة أو النقصان: Δ تعني زيادة ما في S (موجبة أو سالبة).
!	إشارة المضروب، مثلاً $3! = 1 \times 2 \times 3$.

إشارة ضرب عدّة عوامل ينتظمها قانون واحد.	Π
إشارة المجموعة الخالية ¹ .	∅

2/5- ضرورة التّدخل في مجال استحداث المختصرات في كلّ العلوم لأنّ قانون (البقاء للأسهل) قائم ويتعزّز باستمرار، ثمّ إنّ اللغة العلميّة تفرض علينا هذه التّمطية الاختصارية.


3/5- استيعاب آليات الحوسبة والهندسة اللغوية، فهي القاسم المشترك بين اللغات الطّبيعيّة، ولا حرج من استعمال الرّموز المتفق عليه/ ما يكثر دورانها، والحوار بالعربيّة، وهذا ما يجعل للعربيّة موقعاً بين اللغات. فأين الخلل إذا وظّفنا ما يلي: & @ \$ # © ®

4/5- إضافة الأصوات العربيّة الدّارجة والمازيغيّة والتي لا يكثر دورانها في الاستعمال الوظيفي؛ وهي غائبة في منظومة الخطاطة العربيّة على غرار: ژ پ گ چ ڤ ڭ. علماً أنّ إضافة هذه الحروف المعدّلة يدخل في كتابة الأسماء والألقاب وأسماء الأماكن كما تُنطق، وبخاصّة في بلاد المغرب هناك تسميات مازيغيّة من الضّروري أن تكتب صحيحة وكما تُنطق عند السّاكنة.

5/5- ضرورة استعمال الأرقام الرّومانيّة في الكتابة العالميّة الخاصّة بالقرون والملوك، وما له علاقة بحضارة ونهضة أوروبا، وكذلك تدخل في ترقيم الصّفحات، وهذه خاصيّة دوليّة، فلماذا يغيب استعمالها في الكتابة العربيّة، بل تدخل في إطار العولمة:

¹ - مشروع مجمع اللغة العربيّة الأردني، للرّموز العلميّة والعربيّة، 1985.

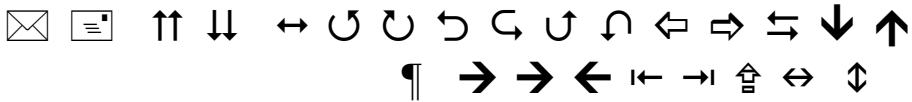
10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
X	IX	VIII	VII	VI	V	IV	III	II	I

6/5- إضافة المختصرات العربيّة في أيقونة اختصاراً لجملة كبيرة لتجسيد نظرية الأقلّ جهد في المكتوب، إضافة إلى ما تحمله من تزيين نوعي يدخل أحياناً في بعض أبواب الكتابة العربيّة، من مثل: .

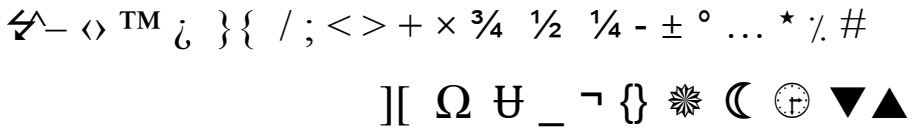
7/5- إضافة ما يستعمل بشكل يوميّ في وسائل التّواصل العالميّ في صورة عربيّة دون مشكلة، ويمكن أن تكتب أوّل مرّة بصورتين هكذا: زووم/ Zoom، وعند تكرارها نكتفي بالحرف العربي، كما يمكن أن تكون مقرونة بصورتها العلميّة. وهذه مرحلة بسيطة والتعود على الاستعمال سيزيل الكثير من الحواجز:

سناب شات Snapchat	يوتوب YouTube	استغرام Instagram	سكاي P Skype	فايبر Vibe r	تويتر Twitt er	زووم Zoo m	واتساب WhatsA pp	فايس بوك Facebo ok
								

8/5- استعمال في الكتابة العربيّة المختصرات العالمية في الشّارات الدّوليّة حالة ما تقتضي الضّرورة، بدل الشّرح؛ فالشّارة تُغني عنه من مثل الرّموز التّاليّة: .



9/5- حُسْنُ التَّعامل مع أنظمة المختصرات المطلوبة في واقعنا المعاصر
من مثل:



10/5- ضرورة التّماهي في توظيف المختصرات العربيّة في جميع ألفاظ الحياة اليوميّة بصورة ذوقية مقبولة، ولا يمكن أن نقول بأنّ هذه العمليّة سهلة، ولكن يعوّل على تجسيدها عن طريق الاستعمال في مختلف مناحي الحياة اليوميّة، ومع الجيل القادم. ونعرف بأنّ كثرة الاستعمال يولّد النسخ ويسبق التّطبيع، ولكن لا نعدم نجاح توظيف مختصرات الحياة اليوميّة عن طريق كثرة التّوظيف. وإليكم بعض المقترحات:

المستعمل الحالي (المطبوع)	المقترح القادم
AG	ج ع
FLN	جتو
SNTV	محطّة نقل
RCD	تشد
PORT	ميناء
GARE	المحطّة
RDC	طبّقارضي
TAJ	تاج

حَرَم	CAMPUS
مجلس العربية	المجلس الأعلى للغة العربية
يونسكو	UNESCO
ألكسو	ALECSO
مجلس بلدي	APC
تسوق	SHOPING
أوكي	OK
وداعاً	BEY BEY
متع	المعجم التاريخي للغة العربية
الطبقات	كتاب الطبقات الكبرى للطبري
تعغن	تعليم العربية لغير الناطقين بها
شواتج	شبكة وسائل التواصل الاجتماعي
ومج	وسائل الميديا الجديدة
لطم	لغة الطيران المدني
ترام	TRAM
قطار	TRAIN
مط	المكتبة الوطنية
مج	المكتبة الجامعية
رئيس مجم	رئيس مجلس الأمة
رئيس مشو	رئيس المجلس الشعبي الوطني
ساج	الساتل الجزائري
موحم	المنظمة الوطنية لحماية المستهلك
أعح	الأمانة العامة للحكومة
ججدش	الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
قأجو	قيادة أركان الجيش الوطني
وزارة دجم	وزارة الداخلية والجماعات المحلية

وزارة البريد واللاسلكية	وزارة بمس
SONACOME	شوص
SONATRACHE	شوبت
SONALGAZ	شونغ
...	

وعلى العموم، فإنّ هذه المختصرات لا يحصل لها القبول في البداية بسبب ترسيخ المختصر الأجنبي بطول المدّة، وتناقلها عبر الأجيال، ولكن نحن نزرع للجيل القادم. وعليه، فإنّه يمكن الآتي:

1- الاتّفاق على تصدير الحرف الأوّل من الكلمة قدر الإمكان.

2- السّعي لمشكلة كلاميّة ذوقيّة من خلال جمع المتخالفات.

3- العمل على توظيفها في الكتاب المدرسي وفي نشرها إعلامياً.

4- تعميم استعمالها سيكون في لاحق من الزّمان؛ عبر ترسيخ قاعدة المختصرات في العربيّة، ولا شكّ أنّ الدّوق اللغويّ للمختصر البديل هو الذي يفرض نفسه إذا كان مقبولاً ولا يُتقرّز منه.

ولذا، لا بدّ من الرّهان على الدّوق والنّحت، رغم أنّ من خصائص العربيّة أنّها ليست من اللغات اللصقيّة، أو من اللغات التي تستعمل بالكثرة النّحت. ولكن إنّ عملية كسب الدّوق تعود إلى استراتيجيّة وضع رموزها الوسميّة في الوثائق، ومن ثمّ إلى الإعلام الذي يعمل على انتشارها، وإلى مدّة زمنيّة حتى يحصل تعميمها. وفي الحقيقة ليست من المشكلات التي نبقى دائماً نستعمل الألفاظ الأجنبيّة التي أصبحت جزءاً من منظومتنا اللغويّة.

ومع ذلك فإنَّ الضَّرورة المعاصرة تقتضي مَّا خلق منظومة مختصرات تواصلية في مختلف مناحي الحياة اليوميَّة، وتكون للعربيَّة السَّيادة الاستعماليَّة.

الخاتمة: لا يمكن الرّهان على التّقلات التي سوف تعرفها خريطة اللغات في التّغيّر الذي تلحقه كوليرا اللغات باللغات التي لا تعرف التّقدّم إلّا بضرورة العيش ضمن السيّورة العولميّة التي لا ترحم اللغات التي لا تُنتج العلم، أو اللغات التي لا تريد مُسايرة الحداثة. والعربيّة لا يمكن أن تبقى حبيسةً نمطيّةٍ وُضعت في القرون الأولى لعصر التّدوين، ونربط ذلك بالمقدّس الذي لا يُمسّ، واللغة ليست (الدّكر) ويمكن أن نتأمّل ذلك في معاني الآيات التي دُكرت فيها كلمتا: (الدّكر + ذِكر):

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر 9.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾
الأنبياء 105,

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ الحجر 6.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
التحل 43.

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
التحل 44.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
الأنبياء 7.

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنبياء 2.
 ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء 24.

﴿ قُلْ مَن يَكْفُرْكُمْ بِأَيْتِلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾
 الأنبياء 42.

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ الأنبياء 50.

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ يس 69.

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّكَابٍ ﴾ ص 49.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ص 87.

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ القلم 52.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ التكاوير 27.

ونرى بأن كلمة (ذِكْرٌ) في هذه الآيات دلّت على معنى القرآن الذي أنزل لكافة الناس، ولا يعني اللغة؛ لأنّ الشعوب غير العربيّة تتلاعى بغير العربيّة وما دام القرآن للعالمين، فإنّه (الدّكر + ذِكْر) يعني القرآن فقط. فالله حفظ ذكره ولم يحفظ اللغات من خلال هذه الآيات. وهناك آية صريحة تدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء 105. يعني أنّ الزّبور لم ينزل في العرب، ولم يكن بالعربيّة، هو ذكر يعني تعاليم سماويّة، والزّبور حفظه الله، ولكن اللغة التي كتب بها الزّبور غير محفوظة، وربط الله ذلك بالدّكر وهو القرآن الكريم، ونفس ما نفهمه من قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ فصلت 11.

وحجّة أخرى أنّ العربيّة والدّين الإسلامي دخلا معاً إلى: آسيا الوسطى / بلاد ما وراء النّهْرَيْن + بلاد السّند + أفغانستان + باكستان + أرخبيلات: ماليزيا / الشّيتنام / الفلبين / بورما / إندونيسيا / تركيا + إيران + أوروبا الشرقية / أوروبا الغربيّة (فرنسا + إسبانيا + مالطا + البرتغال + إيطاليا) + الصّين + منغوليا + روسيا البيضاء + الدّول المستقلّة عن الرّوس ... بلاد كثيرة من أفريقيا من مثل: نيجيريا + النّيجر + تشاد + مالي + ساحل العاج + تانزانيا + الكاميرون + مدغشقر + سيراليون + بوركينا فاسو + السنغال + الكونغو + الزّير + الطّوغو + كينيا ... إضافة إلى جُزُر كثيرة أصبحت مُسلمة، والتي تعرّضت ذات وقت بالعربيّة، وأصبحت لغاتها تُكتب بالحرف العربيّ ... وفي كلّ هذه البلاد بقيَ فيها (الإسلام) ولم تبقى فيها (العربيّة) بل العربيّة عادت إلى بلادها باحتشام. وإنّ الحفظ يكون للغة العربيّة في العمل على تطويرها واستجابتها لمتطلّبات الرّاهن. وهذا هو المطلوب من طُلابنا اليوم؛ بالعمل على الابتكار بالعربيّة، وفي ذات العربيّة، على شعار (بالعربيّة نبدع)؛ كي تنال مواقع إضافية على غرار اللغات الأُمّية؛ وهي منها، فكيف السبيلُ إذاً لرفع المضايقات التّقنيّة التي تجعلها في بعض المواد تعرف القهقريّ؟

ونترك هذا السّؤال ليُجيبَ عنه الطّلبةُ الباحثون بما يُدعونه في عالم التّطبيقات الحديثة التي تعرف رفع قيمة اللغة بما تُنتجه منها، وتحطّ من قيمة اللغة إذا بقيت منعزلة عنها. فلا فائدة في لغة عربيّة لا تأتي على أجنحة التّقانات المعاصرة، أو لا تجعلني أعيش الحداثة لما لها من فتوحات في الهندسة

اللغوية، وفي متوج التانوتكنولوجي، وفي ميدان الرقمنة فأنعم بكل طالب
ينحو هذا المنحى! ويعمل على تقديم الإضافة في ذات العريّة وبالعريّة.
فكونوا أنتم لها معاول بناء، ومَناراتِ ثراء، تَكُنْ لكم مِطْوَاعَةً سَهْلَةً للبناء
مُشِعَّةً للعلماء.

البحث اللساني العربي بين الأصالة والحداثة[♥]

■ **الديباجة:** نعلم بأنّ البحث اللساني العربيّ عرف قاعدة تأسيس أصيلة مبنية على مجاري كلام العرب في مسالك القول في: النحو والفقه والمصطلحات، ونشأت أبحاث مشتركة على شكل (كتاب/ كتب... تجمع علوم اللغة العربيّة؛ عمادها التّفصّح في بنية القول مجارة بالوضع الشعريّ الذي كان السّمة الغالبة في سوق العربيّة التي اعتلت فنون القول من خلال الأسواق والتّفاخر بأجود الكلام أيام الحروب وفي الانتصارات والإغارات. وكان البحث اللساني في مبدئه يدور في ما يحسن السّكوت عنه، وما لا يُقال من مثل البحث الخالص في النّحو الحامل لكلام العرب بما فيه من: قراءات وأصوات ونحو وبلاغة. وهذا ضمن خطاب لغويّ بحت في مفاهيم تخصّ دلالات الكلام، والمقام، والسّياق، وما له علاقة بعلم النّحو في الرّفْع والنّصب والجرّ والجزم. وكان كلّ هذا ظاهراً في الكتاب لسيبويه، ويظهر ذلك في باب حسن الاستقامة من الكلام والإحالة: مستقيم حسن: أتيتكّ أمس. الحال: أتيتكّ غداً. المستقيم الكذب: حملتُ الجبال. المستقيم القبيح: قد زيداً رأيت. الحال الكذب: سوف أشربُ ماءَ البحر. ونجد أنّ مجاري الكلام هنا قامت على أساس التّأليف والتّركيب وبناء المعنى، وصدّق ما ورد فيه. ولقد استخدم سيبويه مصطلح الجملة أوسع من الجملة ذاتها، وقاطع مصطلح الكلام الذي يقترب بمفهوم الخطاب، كما نستنتج أنّ سيبويه يريد

♥ ألقى المحاضرة في لقاء مع طلبة الدكتوراه بجامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم بتاريخ 26

جوان 2021م.

ضمّ مفهوم الكلام بضمّ بعض الكلمات بطريقة خاصّة وصولاً إلى المعاني التّحوّية، مع مراعاة السّياق الكلامي دون الفصل بين المعاني التّحوّية والبلاغية، فهو إذن لا يعتني بالتّحو فحسب أو يعزله، أو يجعله مستقلاً عن الظّاهرة الاجتماعيّة وأغراض المتكلم، ومقام السّامع والوسائل الموصلة للكلام، بل يجعل كلّ ذلك كلاً متكاملًا متناسقًا، مازجاً بين الباثّ والمتلقّي من خلال القناة والفهم، والسّياق. وتواصل هذا البحث عند (ابن جني) عند حديثه عن اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وهي اجتماعيّة اصطلاحية فكرية. وفي كلّ هذا كانت اللغة عنده تحمل شجاعة عندما تحدّث عن أنّ العرب تعني بنظم ألفاظها وترتيبها، لأنّ ذلك هو طريقها لإظهار أغراضها، ومعانيها، وما الألفاظ إلّا خدما للمعاني، وهذا بابٌ من أشرف فصول العربيّة وأكرمها وأعلاها وأنزهها، وإذا تأمّلته وعرفت منه وبه ما يؤنّفك، ويذهب في الاستحسان له كلّ مذهب، وذلك أنّ العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلحظ أحكامها بالشّعرتارة والخطب تارة أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلّف استمرارها، فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخر قدرا في نفوسها وينظر (عبد القاهر الجرجاني) إلى شموليّة التّحو فيجعل العامل مرتبّطاً بالمعمول، وأنّ التّحو أوجد للعمليات التّواصلية، وهذا وفق منطق اللغة القائم على غرض المتكلم ومقصوده. ومن كلّ هذا نراه ينطلق من أساس اللغة وهو التّحو المنسجم مع مقصد التّأليف الكلامي الذي يراعي عنده الدّلالة والسّياق الكلامي، وإقامته على النّظم وعلى المعاني، وذلك أنّ فهم العبارة لا يكون إلّا بفهم أبعادها الدّلالية وموقفها الاتّصالي الذي تتمّ فيه عبر الأصوات اللغويّة، ومدار المتلقين

أساسه التفاعل بين التراكيب. ونجد توالي البحث اللساني يعرف مصطلحات متعلقة بالتحو على يد (الزّمخشري 538 هـ) و(ابن يعيش 643 هـ) و(ابن أجروم 989 هـ) ويأخذ التحو بعد القول المفيد بالوضع، وما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه. وهذا البحث كلّه كان يتماهى مع الأصوليين الذين تحدّثوا عن الخطاب الذي يحمل دلالة تحيل على البروز والظهور، وتستبعد التأويل، حفاظاً على أدلة الأحكام في القرآن والحديث. وبالفعل لقد وضع العرب القدامى بعض أسس البحث اللساني التراثي بما لهم من مفاهيم اصطلاحية متقاربة، فقد ماثلوا به مصطلح الكلمة والكلام كما توجد إشارات مصطلحية أخرى تبين هذا الدال.

المقدمة: هناك مقولة مفادها إنّ العلوم تتطور على اختلاف أنواعها ومباحثها، وفق جبهتين: جبهة التراكم، وجبهة القطيعة، فعلى صعيد التراكم يكون عبر منتج الحاضر الذي يُضاف إلى مجهودات المتقدّم؛ مع بقاء مجال الرؤية موحّداً مستمرّاً على ذات الوتيرة نفسها، وأما على جبهة القطيعة تكون حركيّة علم من العلوم مبنية على الاتّصال والانفصال في آن واحد فبقدر ما يعمن المتأخرون في تغيير مسارات البحث ووسائله النظريّة والمنهجية، بقدر ما يدفعون بالعلم أشواطاً إلى الأمام، أو يبثون نفساً جديداً غير أنّ الأهمّ في كلّ ذلك هي لحظة وقوع الاتّصال وحدوث الانفصال؛ إنّها نقطة انعطاف وتوقّف يستدير فيها العقل إلى الوراء لمعاينة الصّرح المعرفي الذي شيّده، ويحاول تقويمه وتقييمه؛ تحسباً لمواصلة المسيرة، عبر طرح آفاق علمية استشرافية جديدة. ومن خلال هذا نعلم أنّ المنجز اللساني العربي ركّام معرفي كبير وضخم عاش لحظات الذّات العارفة لمعرفة معيّنة معاينة

ومحللة وناقدة، وكانت بعضها محاولة لقراءة الخطاب المعرفي اللساني من خلال أدوات قرائية تصطنعها لنفسها فتنظر بذلك إلى منجزها عبر محطّات زمنيّة متعاقبة، ووفق رؤى ليست بالضرورية متجانسة. ومن كلّ هذا فقد عرف الخطاب اللسانيّ (Le discours Linguistique) بأنّه خطاب علميّ واصف، جمع بين التّقرير والتّفسير، في رؤى مُنفصلة أحياناً، ومتشابكة أحياناً أخرى، بما يحمل من تعدّدية الأنماط؛ حيث تأخذ موضوع اللغة مادة/ موضوعاً بغرض بحثها وفق معطيات منهجيّة محدّدة.

1- **البحث اللسانيّ التراثي:** هناك بحث لسانيّ عربيّ زُرِع في تربة عربيّة بصفة عامّة، وهذه التربة أعطت له خصوصيّة للثُمُو؛ ضمن أرضيّة معرفيّة ومرجعيات فكريّة ولغة شرقيّة. وكان هذا البحث يحمل نمطاً لسانياً أصيلاً/ أثيلاً، أفرزته الرؤى البحثيّة المتقاربة المتمثلة في مقولات القدامى في شتى ضروب المعرفة. وكان هذا البحث اللسانيّ مؤسساً على ثقافة حمل الفرع على الأصل بتناول الظاهرة اللّغويّة من خلال التّظر في قضايا لسانيّة تراثيّة بإسقاط المرحلة الحضاريّة الإسلاميّة العربيّة إبان عهدها الزاهية من تاريخ البحث اللّسانيّ البشريّ عبر امتداده الزمّنيّ من عصر التّدوين إلى مرحلة دول الإمارات، وفيه ظهرت أشهر الكتابات اللّسانيّة بمفهومها التّأصيلي.

2- **البحث اللسانيّ العربيّ المعاصر وخلاف الرؤيويّة:** مع تقدّم الأبحاث اللّسانيّة المعاصرة في الوطن العربيّ ظهرت أفكار متباينة تجاه البحث اللّسانيّ التّراثيّ؛ فمن مؤيد للقديم، ومن ممارس للقطيعة، ومن متنصّل لكلّ أشكال البحث اللّسانيّ التّراثيّ العربيّ، ومن يحمل ميولاً توافقية. ومن هنا يمكن تسليط بعض الضّوء على كلّ البحوث اللّسانيّة التي تحمل هذه الرّؤى

المختلفة ضمن التماهي مع الماضي فقط، وهذا يشكل عائقاً أمام التقدّم وتعيش العربيّة القهقري، كما أنّ ممارسة القطيعة مع التراث/ المنجز يُعتبر حديثاً تنكّرياً للمنجز، ويبقى أنّ أصحاب الميول التوافقية عملوا على التخفيف من حدّة الخلاف الذي وصل في بعض البحوث إلى ميزان التّطرف. على أنّ إعادة قراءة الفكر اللّغويّ القديم على ضوء المباحث اللّسانية المعاصرة ضروريّة، وكلّ بحث تقريبيّ/ توفيقيّ، يزيد من متن البحث اللسانيّ العربيّ. وهذا ما يثبت صلاحية تراثنا في الماضي والحاضر، وأنّ القراءات/ الأبحاث المتنوعة تجعل الحضارة العربيّة الإسلاميّة تقوم على مبدأ النّشوء والتولّد ويتناسل الموروث عبر الزّمن؛ فتتولّد من الموجود الواحد كائنات متعدّدة على قدر ما تتولّد من النّص نصوص تلو النّصوص. وأنّ بعض الأبحاث التراثية مطابقة للدّرس اللسانيّ الحديث لا يعود لخصائص تمسّ هذا الصّنف من البحوث، بل لما وفرته التّقانة من آلات يسّرت عمل الباحث اللّسانيّ المعاصر، ليس إلّا.

3- **خطابات لسانية عربيّة متعدّدة:** في عصرنا نشأت خطابات لسانية تحمل أنماطاً ونماذج متعدّدة، وهذا التعدّد يعكس تعدّد المرجعيّات/ الخلفيات التي تضبط وتحدّد هذا التّموج من الكتابة اللّسانية أو ذاك. وسوف أعرض المفاهيم الكبرى التي قامت عليها البحوث اللّسانية المعاصرة. ويبدو لي بأنّ أنماط الخطابات تنوّعت بين: الخطاب اللّسانيّ التراثيّ (القرائيّ الشّارح) + الخطاب اللّسانيّ المتخصّص (التوليديّ التحويليّ/ الوظيفيّ) + الخطاب اللّسانيّ التّقدي. واعتمدت هذه الخطابات مناهج مختلفة تتوزّع بين: المنهج التّعليميّ + المنهج القرائيّ + المنهج التّقدي. وهي التي شكّلت أنماط الخطابات

اللسانية التي أدت إلى ظهور مؤلفات متباينة على غرار: مباحث تأسيسية في اللسانيات لعبد السلام المسدي/ مبادئ في اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي/ مدخل إلى لسانيات سوسير لمبارك حنون، هذا في بلاد المغرب دون الحديث عن البلاد العربية التي عرفت خريطة البحث اللسانيّ نصوصاً من الثقافة العلمية الموروثة، ونصوصاً من التصوّر القبليّ لمنشأ الخطاب التعليميّ/ التبسيطيّ... وهذا ما خلق بؤرة أخرى في ضعف الجهد المبذول في مجال الترجمة اللسانية.

4- **مرتكزات البحوث اللسانية الحديثة:** عرفت البحوث اللسانية اجتهادات في ذات العربية، كما تماهت بعض البحوث اللسانية في خارج العربية وأسفر العمل على أنّ مضامين البحوث تدور في التعريف باللسانيات من منظور مغاير لمنظور الكتابة اللسانية التأسيسية/ التعليمية+ التعريف بموضوع اللسانيات وهي اللغة+ تناول الظاهرة اللغوية من قبل بيئات معرفية تراثية مختلفة+ الإشارة إلى احتواء التراث على بعض التخصصات اللسانية المعروفة. ويمكن القول بأنّ هذا البحث/ النشاط اللسانيّ جيّد بما يحمله من أنماط الخطابات اللسانية والأنساق المعرفية الحاملة للاستعراض ونقد الأسس النظرية والمنهجية لبعض البحوث اللسانية واستشراف الأبعاد الجديدة للسانيات العربية. وهذا تأثرٌ بمنهج الغرب من (تمام حسان) و(كمال بشر) إلى (أحمد المتوكل) و(الفاسي الفهري) و(مازن الوعر) وظهور المتابعات الغربية في أفكار (فراز بوب) في نظام التصريف في اللغة السنسكريتية - المرتبطة بالتزعة السلوكية- مقارنة مع اللغات الإغريقية واللاتينية والفارسية والجرمانية إضافة إلى بحوث كل من: الإخوة (شليجل) و(كريم) و(شليغر)

وأبحاث النحو المقارن، ودراسات النحاة الجدد، ثم ما أتى به العالم (سوسير) من معالم اللسانيات البنوية، والتفريق بين الدراسات الدياكرونية والتعاقبية واللغة والكلام والقول... وفي ذلك المخاض جاء التسليم بالمرجعية الغربية في كثير من الأحوال وإن كان هذا مقبولاً؛ لأن اللسانيات التاريخية سبق ظهورها لدى العرب، إلا أنهم لم يُولوها ما كان عند الأوروبيين، ولهذا أخذت المفهوم العلمي لدى الغرب، فتماهى الباحثون العرب معها بما لها من مرجعيات تتأسس على حدّ قولهم على منطلق اللغة. وفي هذا الزخم التحليلي اللساني تظهر اجتهادات التحليل التوزيعي (بلومفيلد) و(هاريس) ونجد (ريمون طحان) يميل لهذا التجريد في منطلق دلالة الكلمة في العربية في مفهوم الأصولية والجملة. وكان عماد التماهي مع المدرسة التوليدية التحويلية وهي امتداد لجهود (بلومفيلد) و(هاريس) رغم أنّ لها الكثير من الظواهر التي تسجّل لصالحها من حيث تخطيطها للدراسة السطحية التي تنتهجها اللسانيات البنوية، ولا تأخذ مبدأ التأويل في حسابها، حيث تعالج عمليات التكلم ومكانيزماتها التي تظهر في الاستعمال المبدع للغة.

5- البحث اللساني العربي المعاصر: لا ننكر أنّ هناك بعضاً من التماهي مع اللسانيات الغربية عند بعض الباحثين العرب، ولكن هناك من استطاع فهم النظريات الغربية وعمل على نقدها واكتشف قوائمها، وبدأ في التّقابل بينها وبين اللسانيات العربية، ووضع ترسيمات توضّح أصالة الدرس اللساني العربي، ونمذجات عربية ظهرت في الفرنسية وفي اللغة الإسبانية وكثير من اللهجات الأوروبية، كما ظهر الأخذ والعطاء بين نظرية النظم (للجرجاني) وتوليدية (تشومسكي) وأفكار تحليل الخطاب في البلاغة

العربية... وقد تجسّدت الكثير من معالم التلاقي اللسانيّ في فكر (الفاسي الفهري) من خلال حديثه عن الأدوات اللسانية الكفيلة بخدمة العربية في مشروعيه اللغة والهوية، تمكين اللغة، توطين المعرفة اللسانية. وهو مشروع يعيده صاحبه إلى تأسيس نظرة لسانية مجدّدة، وقائمة على التزامات إپستيمولوجية للنحو التوليدي، ولكونها قائمة في النحو العربيّ. ويدعو إلى الفصل بين اللغة العربية قديمة أو حالية، وبين مفاهيم النحاة وأوصافهم وهذا معطى يُرخص لنا إعادة النظر في أوصاف النحاة، وأنّ المعطيات التي نجدّها عندهم ناقصة وغير ذات تمثيليّ؛ فضلا عن كون كثير منها زائفة وهناك حاجة معاصرة تدعو إلى بناء أنحاء جديدة. وهذا خطاب لسانيّ معاصر يقوّي العمل في تكريس تقاليد علمية قائمة على المراكمة والتّجاوز وفي مأسسة البحث العلميّ ونقله من الخاصّ إلى العامّ المشترك المنضبط وعدم الرّكون إلى المعرفة السّطحية والمبتذلة. ونفس الأفكار نجدّها عند (عبد الرحمن الحاج صالح) في التّظرية الخليلية الحديثة، وهي قائمة على تنظير لا تطبق. وكلا الباحثين فشلا في إيجاد المتن اللغويّ، ولم ينقلا أفكارهما إلى الموردين، ولم يصلا إلى بناء نظرية متّسقة لها صفة الشّمول والامتداد في الزّمان والمكان. ونأسف كلّ الأسف أنّ الرّكام المعرفي اللسانيّ العربيّ لم يصل إلى بلورة نظرية لسانية لها صفات التّظريات المعروفة وهي: التّسق العامّ + البنية الفكرية + وجود الموردين + البعد الزّمنيّ + البعد المكانيّ + قابلية التّكيف، ولهذا لا يزال البحث اللسانيّ العربيّ شبه تابع للمدارس الغربية من مثل: السّوسورية / التّشومسكية / المارتينية / التّوزيعية / الشّكلية. وأين مقام الدرس اللغويّ العربيّ المعاصر من الفكر العربيّ القديم والحديث

الذي لم يستطع تأسيس نظرية تطبيقية تناسب الدرس العربي في قدمه وفي تطوره، وكيف يمكن للعربية أن تعيش المعاصرة مع آليات البحوث المرتبطة باللسانيات الحاسوبية، وهذا كما جعل علماء لم يفلحوا في خلق البنيات الوظيفية من خلال العربية بما فيها من نسق / خطاب ذاتي، وبما له من مرونة التعامل العلمي مع كل اللغات الطبيعية. وأين الخلل؟ نحتاج إلى رجل لساني فقيه؛ يعرف خصائص العربية، ويربط بين ذلك ببنيات الحداثة التي تنقل وعي اللغة العربية للتكيف مع آليات اللغات في متوجها الحضاري المعاصر في بناء أنماط / أنساق لغوية توضع الآن في التعرف على نمطيات الحرف العربي، كما تعمل على قراءته وفق خريطة التحو العالمي، ووفق بنيات اللغات في ما يجمعها من منطق، وهذا ما يجعل قراءة العربية سهلة متوافقة مع الذكاء الصناعي الذي يتعامل مع التمدجات العالمية، وليس الأمر بالصعب، بل نحتاج إلى وصف جديد لمستعمل العربية في حدودها الوظيفية فقط، كما نحتاج إلى مسيرة متواصلة لفرق البحوث التي تجتهد في أعمالها تحت مشيخة لغوية عمادها الصبر والاجتهاد، وتنويع المهام والتنسيق بين الفرق؛ ليحصل التكامل في العربية في خصائصها ومشاركتها، ولا بد من تحريك المؤسسات العاملة على رفا العربية لبناء محتواها الرقمي، والتعامل بينها وبين اللغات التي تكتب بحروفها للعودة من جديد إلى عولمة جديدة في مسيرة الحضارة الشرقية وإلى مسيرة الجيل السالف عربية أفريقيا بامتياز.

ومن خلال هذا يجب أن نعرف بأن البحث اللساني العربي المعاصر له ارتكاسات جعلته ينقل دون وعي في بعض التقول، وبعض البحوث تُترجم دون تكييف لما يتناسب وخصائص العربية، كما نجد طغيان لسانيات (دو

سوسير) هي البانيّة وهي الطّاعية، رغم ما فيها من البنيات المغلقة التي لا تصلح إلاّ للغة في فترة معيّنة؛ من مثل اهتمامه بدراسة اللغة كبنية مغلقة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بمعنى الدّراسة العلميّة، وهذا ما جعله يغفل مفهوم الخطاب، باعتبار أنّ الكلام هو الممارسة الفعلية للقواعد والعلامات اللسانية، أو هو الجانب الإبداعيّ الفرديّ من اللغة، وهو مرتبط بالذات المتكلّمة، وهكذا يأتي الكلام في المرتبة الثّانية بعد اللغة. ومع كلّ ذلك فإنّ أتباعه الوظيفيين لهم مكانة جيّدة في البحوث اللسانية، وهم الذين أرسوا حلقة براغ، ونشير إلى أعمال (تروبتسكوي) و(مارتيني) و(جاكوبسون)... ومن سار على هذا التّهج مثل (دانس) و(بوفودا) و(فيرباس) و(سكال)... وغيرهم الذين عرفوا بوجهتهم الوظيفية للجملّة وأكّدوا مفهوماً مركزياً يتمثّل في ما أسموه بـ ديناميكية التّواصل.

6- البحث اللسانيّ العربيّ وأزمة الخطاب اللسانيّ العربيّ: على الرّغم من كثرة الدّراسات اللسانية والتي تناولت مسألة البحث اللسانيّ العربيّ، إلاّ أنّه لا تزال أوضاع أخرى تحتاج إلى بحوث قد تعمل على حلحلة الموضوع وتكشف بعض الغموض، كما يقتضي البحث العودة الى مجمل آراء القدماء ثمّ بعد ذلك الى مجمل آراء المحدثين، ثمّ الانتقال الى محاولة كشف جوانب من غموض البحث اللسانيّ العربيّ، وصولاً إلى حلّ الإشكال الفكريّ والشّلل الإپستيمولوجي اللذين يكشفان مسيرة التّطور العلميّ اللسانيّ. وفي هذا الوقت نحتاج إلى تدبير الاختلاف بين الخطاب اللغويّ العربيّ القديم والخطاب اللسانيّ الحديث، وهذا من متطلّبات التّهوض العربيّ المعاصر الذي يجمع بين التّراثيين والحداثيين والتّواقفين. ولا بدّ أن نسير ضمن

منحى التواصل مع الماضي بمعطيات الحاضر، لا البقاء في دائرة (كان أبي فقط) وإلا (الخروج من بيت أبي) باعتباره هو الحل. ونحتاج إلى قراءة شمولية وقطاعية وإلى النموذج الواحد؛ بغية استكمال البحث اللساني التراثي القائم على الأصالة لا على النسخ، ويحمل صفات الإبداع التي تتناول كل مستويات اللغة العربية في معناها وفي مبناها، كما هي لغة لها بنية وشجرة ولغة قديمة قدمي؛ قائمة على بنيات عقلية طبيعية. وأن الأوان أن نقل البحث اللساني إلى بحث لغوي وظيفي لساني لتجسيد قيمة معرفية للتراث اللغوي العربي وللتظريات اللسانية الحديثة في الوقت نفسه، حسب ما يدعو إليها (أحمد المتوكل) ولا بد من إيلاء الأهمية إذن للسانيات الوظيفية رغم أصولها البراغمية، ولكن المعرفة لا حدود لها حتى نستكمل آليات البحث اللساني العربي، ومن ثم يقع العول على لغتنا عندما تنتج العلم والمعرفة بشكل تراكمي كبير. وندعو الطالب أن يعتمد قراءة جديدة تصل حاضره بتراثه الفكري والعلمي، ليضع رجلاً في الأصالة، وأخرى في الحداثة، وأن يكون له منهج القراءة المعرفية التي تُخرج التراث اللغوي من جديد إلى حيز الوجود الثقافي المعاصر. وهي دعوة للباحثين أن يعيدوا صياغة مسائل التراث ومواده وظواهره وفق الإشكالات المعرفية الحديثة ليسهل إدراكه، وإلمامة الحواجز التي تراكت عبر السنين. وإن الطالب الجامعي مطالب أن يأخذ مكانته العلمية في الجامعة، وفي المراكز العلمية، وأن يكون عماد الغد وأساس البناء. وإن الأمة العربية مهددة في أبنائها الذين يبيتون ساهرين في أمور تافهة تستهلك طاقتهم وأوقاتهم، وهم يحملون أجهزةهم الهاتفية، ولا تمدهم إلا بسقط الصور، وعلى الطالب أن يعود إلى

فضاء العلم، ويجلس إلى مجالس العلم للسمع والمناظرة والتلقي والمناقشة
فتلك هي بذور رجل المستقبل الصالح الذي يقود الأمة لبرّ الأمان.

الاتصال المؤسّساتي:

الواقع، التّحدّيات، الأفاق^٧

- **الشكر والعرفان:** إنّهُ لمن دواعي الغبطة أن أحضر هذا المحفل الخاصّ برجال (مهنة المتاعب) والذي يُشرف عليه الاّتحاد الوطنيّ للصحّفيين والإعلاميّين الجزائريّين، المكتب الوطني، وأكون أمامكم وجاهةً مثلما كنّا معكم عبر الدّورات التّكوينيّة التي أنجزها المجلس الأعلى للغة العربيّة لصالح رجال الإعلام عبر دورات وطنيّة بدأناها سنة 2017م ولا تزال الدّورات التّكوينيّة تعيش الاستمراريّة، إضافةً إلى تلك المدوّنات التي قدّمناها ورقياً وشبكيّاً تحسّص حُسن استعمال العربيّة للإعلاميّين وعبر الأدلّة المنجزة لهم في حُسن التّحكّم في اللغة الإعلاميّة الوظيفيّة، والكلام بصفر خطأ. وهي على التّوالي: حسن استعمال اللغة العربيّة في وسائل الإعلام + حسن استعمال العربيّة الوظيفيّة + المكملّ في القواعد والبلاغة (المستوى التّهائي) + استعمال اللغة العربيّة في التّلفزيون الجزائريّ + الدّلّيل الوظيفي للإعلاميين، قواعد وظيفيّة + الدّلّيل الوظيفي في حسن استعمال العدد.

أيّها الجمع الكريم، يسعدني أن أكون معكم عبر كلمتي المباشرة هذه وفي جامعة عبد الحميد بن باديس، جامعة الثلاثي المتراكب: الجزائر وطننا والعربيّة لغتنا، والإسلام ديننا، وبرعاية السيّد وزير الاتّصال والتّناطق الرّسمي للحكومة، وحضور رجال الدّولة الجزائريّة من والي الولاية

^٧ - أعدت الكلمة لصالح الاّتحاد الوطنيّ للصحّفيين والإعلاميين الجزائريّين، المكتب الوطني

بجامعة مستغانم، يوم 27 جوان 2021م.

والمديرين التنفيذيين، والبروفيسور بلحاكم مصطفى وفريقه التّشيط الذي أحدث حراكاً ثقافياً في جامعة عبد الحميد بن باديس، بمختلف التّظاهرات التي تتوالى وتكبر كبر المشاريع التي تُنجزها هذه الجامعة. وماذا عساني أقول أمامكم أيتها الصّحافيات أيّها الصّحافيون في موضوع (الاتصال المؤسّساتي: الواقع، التّحدّيات، الآفاق) وباختصار بصّرت بهذه الكلمات عسى أن تكون في صميم اللقاء.

- في الاتصال المؤسّساتي: إنّ مدلول الاتصال يعني ما يذيع ويُذاع وينتشر ويشترك في المعلومات مع شخص أو مجموعات أو مؤسّسات بكلّ ما تحمل كلمة (اتصل) من اشتقاق ومشارك لفظي في تبادل للحقائق أو الأفكار أو الآراء أو المعلومات ومّا يتطلّب عرضاً واستقبلاً ومحتوى؛ وما يؤدي إلى التّفاهم بين كافة العناصر المتبادلة بغضّ النّظر عن وجود أو عدم وجود انسجام ضمنيّ. فهو عملية تفاعل اجتماعيّ معلوماتيّ هادف. إخواني، لست هنا لأحدّثكم عن أنواع الاتّصال والمؤسّسات التي يقع معها التّفاعل، بقدر ما أتحدّث عن أهميّة فواعل عمليات الاتّصال: مُرسل + مُستقبل + مصدر + رسالة + قناة + رجع الصّدى. وكيف تحدث عمليات التّكامل في هذا السّداسيّ المتكامل. وبالنّظر إلى الواقع؛ فإنّ عمليات الاتّصال تتمّ بشكل أو بآخر، وفيها المضايقات التي لا تخلو من حلول، وعلى الإعلاميّ المعنيّ أن يكون مبتكراً لها حسب المعطيات، وما يتطلّبه فنّ التّعامل مع المؤسّسة التي تتّخذها الدّولة وسيلةً لإدارة مرافقها لتقديم خدمات أساسيّة للمجتمع كالّتعليم والصّحة والبريد والأموال والدّفاع والأمن والحّدثات الاجتماعيّة الأخرى... وهنا على الإعلاميّ إتقان فنّ إدارة التّقند، وإدارة التّشجيع

وحسن تدبير اقتراح الأفكار. وهذه من المهام التي تُوكّل لرجال الإعلام في التّصدي لمظاهر التّيل من المؤسّسات على اعتبار أنّها لا تقدّم إلّا الخدّمات البسيطة، وأثرها في المجتمع منعدم. وتلكم قسيمة الهدم في الحوكمة وفي الحكامة وفي مقام المؤسّسات التي ليس لها الانتشار، أو تنعدم فيها وسائط التّواصل بينها وبين القاعدة.

أيّها المعنيون بالأمر، إنّ من مهامكم الانتصارُ في أداء الاتّصال التّنظيميّ ومن مهامكم بناء علاقات وظيفيّة تخصّ الأداء الوظيفيّ ولا يتحقّق الأداء إلّا بجودة الخدّمات التّواصلية، وهي الوسيلة الإعلاميّة الاجتماعيّة التي من خلالها يقع سبل التّفاهم والتّفاعل البناء داخل البنيات المؤسّساتيّة في إطار تحقيق الأهداف المُبتغى إنجاءها. وعليه، فإنّ الواقع لا يكذب المنجز، والمنجز يدافع عن نفسه، وعليكم أن تُبرزوا أهميّة الاتّصال المباشر وغير المباشر في التأثير والتّغيير والتّعديل، وقوّة دوره في الحصول على البيانات والمعلومات الضّروريّة التي تكملّ عمليات مسار حسن الأداء، وما يتبع ذلك من تحقيق عناصر التّخطيط والتّنظيم والتّوجيه والرّقابة والتّنسيق. وعليكم ركوب مخاطر التّحدّيات من الوصول إلى المصادر، وتفهم الأوضاع، وتبادل المعلومات المهمّة، وعدم الوقوف على تفاهات التّعطيل أو سقط المعلومات. وهنا تبرز مسؤوليتكم في فنّ إدارة الاتّصال المؤسّساتي في علاج المضايقات بالإقناع والحجّة والبرهان، وفي تكامل مضيف لتنمية العلاقات الاجتماعيّة والرّفيع من سويّة الرّوح المعنويّة الوطنيّة، والإسهام في الحدّ من انتشار الشائعات والمغرضات والمراجعات التاريخيّة، وفي كلّ مرّة نعود إلى نقطة الصّفر وإظهار مواقع الخلل بقوّة عمياء بدل اقتراح أفكار التّعديل في صور

التحسين الذي يأتي عبر الوقت، بدل الطعن في المؤسسة التي هي شريك اجتماعي، وهي في يد المسير والمؤسسة لا تزول بزواله، بل تتخذ منهجاً مغايراً، ولا شك أنه سيتحسن بفعل عامل التطوير الذي تعتمده المؤسسة في بنياتها القاعدية.

أيها الإعلاميون، عليكم رفع التحديات في المهام الإعلامية من منطلق السلوك الإعلامي للاتصال من خلال حسن التصرف في تدفق المعلومات وفي المهمة الانضباطية، والمهمة الإقناعية، والمهمة التكاملية، وفي كل المهام ذات العلاقة الموصلة إلى إمكانية التفاهم العام، مع ضرورة القيام بالعمل التنفيذي للمؤسسة لتحقيق مهام أساسية في عملية توصيل ونقل المفاهيم والمعلومات المختلفة، وتوضيحها لكل شخص له صلة أو حاجة بهذه المعلومات والاتصالات. وإنه لا يسع المقام للاستفاضة في مهام المؤسسات الإعلامية التي نروم أن نحقق أهدافها بمعالجة الواقع داخل ذات الواقع وتبني جسور الآفاق نحو مزيد تجسيد مقولة (الطريق تصنعه الأقدام) هي مقولة من مقولات القوة الناعمة، التي تبنيتها ثقافة الاستقطاب عبر عمليات الاتصالات التي تُعتبر عندها السلطة الخامسة التي لا تُقهر بل هي العصب الرئيس للمؤسسات وتدفعها في اتجاه تحقيق الأهداف الرئيسية لها.

وإنه لحري بنا اليوم أن نخطط لمنهجية معاصرة ضمن آليات العولمة التي تنافسنا في كل شيء، وكيف يمكن اتخاذ القرار السليم، وتحديد الاختصاصات، وتوزيع العمل، وحل مشكلاته، والوقوف على مدى تقدمه وتقويم نتائجه، وتتبع الجهود التي تُبذل من أجل الوصول إلى الهدف الذي تعمل المؤسسة التي أنت تابع لها، وما هي سبلك الخاصة من أجل التفعيل

ضمن آلياتها القانونيّة، ودرجة الولاء لمؤسّستك، والثّقة فيها وبها والمعايير الإيجابيّة للحصول أو توزيع المعلومة في حدود القانون، وما تسمح به الأنظمة الوطنيّة وما تتطلّبه آليات توصيل المعلومة إلى البيت والمرونة في التّعامل الإداري، وشطب عوامل البيروقراطيّة. وهذه كلّها تضمّنها مستويات الاتّصال عندما تكون مضبوطة وعالمة، وكان لها إعلاميٌّ فذلكيٌّ ناجحٌ يعرف من أين تُؤتّى الكلمة، وكيف يُرافع عنها ويُنافح، وكيف يبتكر الحلولَ من العدم، ويتصرّف حالة سرعة الطّلب، بل كيف يعيش مع المستجدات؛ وهو في تواصل ذاتيٍّ أو بينيٍّ أو وسطيٍّ أو جماهيريٍّ، وكيف يكون وسيطاً ناقلاً للخبر أو مُنشطاً أو مُوجّهاً؛ حيث تستقيم عملياتُ التّواصل التي لا تحدش أذن السّامع، ولا نظر الرّائي. وفي كلّ هذا هناك لغة التّواصل، فما مستوى هذه اللغة؟ تلك قضيةٌ أريد الوقوف عندها أيّها الإعلاميون، فأنتم شريك في عمليات التّطهير اللغويّ أو ما يُسمّى بالتّلوّث اللغويّ. فمن بين التّحدّيات التي نراها حلاً هو إسهاؤكم في آفاق الحلول التّوعيّة لتطوير العربيّة التي هي لغة المؤسّسة الاتّصاليّة التي تتمون إليها عموميّة أو خاصّة، واللغة الجامعة المشتركة وما هي البدائل التي يُعوّل عليها من قبلكم في حسن الأداء اللغويّ. ولغة الإعلام تبني بناءً رصاً ما تضعه المدرسة وكليات الإعلام، بدل أن تهدم المتن الموروث، ولهذا عندما سُمّيتم بالسلطة/ القوّة الرّابعة لم يكن جزافاً واليوم توشّحون بالسلطة/ القوّة الخامسة الحميّة بجناح القوّة النّاعمة فأنعم به من سلطة قوّة!

- اللغة العربيّة والتّواصل المؤسّساتي: أيّها الشّركاء، نحن هنا لا نريد القيام


بتوزيع الأدوار، بل نسعى لتحملّ المهام، هي مهام مشتركة ذات العلاقة

بالوعي اللغوي، والاعتزاز بالمواطنة اللغوية التي لا نريد أن تعيش شذر مذر أو تذروها الرياح حيث الدوبان والهدر، ولا الإقرار تحت بند مقولات لها مقاماتها: غنيمة حرب/ المهمّ الفهم/ اللغة الرّسميّة لغة مثلها مثل كلّ اللغات/ اللغة وسيلة/ البقاء للغة الأقوى... وننسى أنّ اللغة المشتركة سلطة ومركز وأمن ثقافيّ مثل الأمن السّياسيّ والغذائيّ ولم يثبت أنّ أمة في العالم ارتقت وتطوّرت باللغة الأجنبية، فلمّ التّعطيل؟ وهذه اللغة العربيّة هي التي بنت لنا مجدنا، وتحتاجكم للعمل من أجل رفع مضايقات: الأخطاء الشائعة/ أخطاء الوثائق/ أخطاء اللافتات والشّارات/ أخطاء التّواصل المرئيّ والمسموع/ أخطاء إدارة الجلسات/ أخطاء المحال التجاريّة/ أخطاء الشّاشات... وما يسمع من تهجين لغويّ يكاد يميل باللغة العربيّة إلى الخسران، والتّاريخ يُسجّل علينا هذه الثّغرات التي لا نعالج جذورها في البداية، وسيكتب علينا يوماً لافتة تقول (التّوبخ على متسامحي التّحريف). فيا أيّها الإعلاميون، بكم ترتقي اللغة العربيّة التي تعملون على انتشارها وبكم نستنير في توسيعها، وقبول ما تنتجونه من مصطلحات مضيّفة تعمل على الثّراء والنّموا. فنريد شحذ الهمة، في رفع الغمّة، عن كلّ ما لا يخدم لغة الأمتة، وننافح من أجل كلّ منفعة وهمّة تحت راية قواعد اللغة. فالمجلس الأعلى للغة العربيّة يرافقكم، ويسعد أن يكون معكم في التّكوين، وفي تفعيل آليات العربيّة في حوسبتها وهندستها وفي بناء ذكائها الصّناعي ومنصّاتها الرّقميّة، وهو جدير بخوض هذه المشاريع التي فتحها ونجح في تطوير الرّقمنة بشكل مائز وطنياً وعربياً، بل أضحى مرجعيّة في العمل على تطوير العربيّة وتحبيبها، وهو ليس شرطة اللغة ولا من جنس (قلّ ولا تقلّ) بل يسعى إلى

اعتماد سلطة التّكامل البيئيّ في خدمات جماعيّة من مختلف الشّركاء الاجتماعيين، وبخاصّة تفتح المجلس على وسائل الإعلام التّقليديّة والإلكترونيّة، وعلى مقاولات الشّباب (StarTup) وما يقوم به من توجيه واستقطاب واعتماد الكفاءات الشّبانيّة من مختلف الجامعات الوطنيّة ومن مراكز البحوث، ويدعو دائماً إلى بناء الأقطاب في حسن التّمكّن في اللغات ويولي العربيّة فصل المقام، بما يقدّمه من آليات التّطوير ضمن آليات برامج الحوسبة والنّانوتكنولوجي، وما له علاقة ببناء التّطبيقات في مختلف التّخصّصات، وتحت بند العمل على ازدهار العربيّة، وتعميم استعمالها في العلوم وفي التّكنولوجيّة، والترجمة منها وإليها، وهذا من أجل رفع المحتوى الرّقمي لتكون العربيّة فعلاً لغة النّد ولما أهلتها هيئة الأمم المتّحدة من أنّها لغة الحضارة الإنسانيّة، ولغة أميّة بما لها من رصيد لا يوجد في اية لغة في العالم، بجذورها 16800 وعدد كلماتها التي نيّفت 12 مليون كلمة.

أيّها الحضور، إنّ والعهدة عليكم بمرافقتنا في مشاريعنا، وفي برامجنا السنويّة، وندعوكم لزيارة موقعنا وهو www.hcla.dz والتّواصل في عمليات المشاريع العملاقة التي تُفتح لأول مرّة في التّاريخ، وهي مشاريع: الموسوعة الجزائريّة + بناء مكتبة رقميّة كبيرة + المعجم التّاريخي للغة العربيّة + المعجم الطّوبونيمي الجزائري + المعجم الثّقافي الجزائري + معلمة المخطوطات الجزائريّة + أدلة رقميّة في اللغات الوظيفيّة + معجم ألفاظ الحياة العامّة في الجزائر + الرّصيد اللغويّ الوظيفي + الألعاب اللغويّة... وفي ذات الوقت يمكنكم تحميل كلّ متوجنا مجاناً باستعمال الوسائط المعاصرة من مثل شفرة القراءة السّريعة وهي خدمة مجانيّة على أنّ مؤسّسة المجلس الأعلى هيأة غير

نفعية، بل هيئة تقديم خدمات في اللغة العربية، وتوصيلها لكل من يهّمه أمر تطويرها في حدود القواعد المنصوص عليها والتي تأتي من المؤسسات الجمعية التي نحن شريك معها، وهذا ضمن فعاليات علمية نسهم فيها بتقديم أفكار تخدم منظومة العربية في معناها وفي مبناها

 ونروم أن تكونوا معنا عبر الحدث العالمي والذي يحصل لأول مرة حسب برنامجنا وهو الاحتفاء بشهر اللغة العربية، وسيكون من الأول (1) ديسمبر 2021م، إلى الواحد والثلاثين (31) منه برنامج كبير يعزز من مكانة اللغة العربية، ورجال الإعلام شركاء في الاحتفائية العلمية الوطنية الجمعية والتي تزيد من قيمة العربية، فمرحبا بكم جميعاً. ومرحبا بكم عبر الأيام العالمية القارة: 21 فبراير يوم اللغة الأم + 1 مارس يوم لغة الضاد + 16 مايو يوم العيش معاً بسلام + 21 مايو يوم التنوع الثقافي + 18 ديسمبر يوم عالمي للغة العربية.

إخواني، هي كلمتي أمامكم، أشكر دعوتكم لحضور متداكم هذا وأباركم جهذكم جميعاً في هذا اللقاء الذي نريده أن يتواصل في شكل ندوات تُعالج قضايا الرّاهن، وتكشف عن سوء الأداء، وتعالج الثّقائص وتقدّم ما يبصر به الحضور من حلول تعمل على حسن التّواصل بمقولة الأجداد (إن أحسن اللاحق فإنّ الفضل للسّابق) (الاستمرارية المتجدّدة فعل حضاري لا يقوم به إلاّ المتحصّر) (ومن سار على الدّرب واجتهد وصل) سيروا أيّها الإعلاميون وسوف تصلون، ويقع عليكم العول، ومسافة الألف كيلومتر مبدؤها مدّ القدم، والطّريق تصنعه الأقدام، وكرّة الثّلج تكبر كلّما تدحرجت. مزيداً من التّألّق، وزيدونا جمالاً وتألّقاً، وإلى الأمام.

الوفاء لرموز الجزائر ♥

- **التشكرات:** كلّ التّحايا أقدمها لمنظّمي هذا اللقاء في (المنظمة الوطنيّة للطلّبة الأحرار) على هذه الصّحوة الشّبانيّة، وعلى استنكار ما آلى إليه الوضع من تسامح في قضايا تعمل على التّشكيك أو التّراجع عن المكتسبات، وكأنّنا في كلّ مرّة نبدأ من جديد، وإلى نقطة الصّفر نعود بغياب ثقافة (إن أحسن اللاحق فإنّ الفضل للسّابق) وويل لأمة لا تعترف برموزها، ولا تقرّ بعلمائها وتتنكّر لشهادتها. والتّوبيخ التّوبيخ على منكري التاريخ، وهذا نكران وعقوق لمن جعلونا نستريح، ونكون في هذا المكان المريح.

أيّها الحضور، يقول المثل الذي درسناه في المدرسة (أكلتُ يومَ أكلِ الثّور الأبيض) اليوم نطعن في العظماء والشّهداء وفي رجال الدّولة، وفي مؤسّسي أوّل دولة جزائريّة حديثة، ونسكت عن فعل التّقصير، وغداً يأتينا ما هو من التّدمير، بتغييب التّعامل بصرامة القانون، وعدم تجسيد نصوص الدّستور وقانون المجاهد والشّهيد، وقوانين الجمهوريّة. ومن الشّنار أن نفتح الباب أمام تصريحات تفتقر إلى العلميّة والمصداقيّة، ونروج لها دون تحرّز وتحرّج. وهكذا سيؤكل الثّور الأسود، وسيأتي الدّور على بقيّة الألوان وتبقى السّاحة للغربان.

أيّها الجمع الكريم، بالفعل لقد وقع التّسامح في التّعامل مع المسيئين لرموز البلد، فالأمم التي لا تملك رموزاً تصنعها من العدم، بل تأتي بنكرات وتجعلهم

♥ - أعدت الكلمة لصالح (المنظمة لوطنيّة للطلّبة الأحرار) وألّقت يوم 29 جوان 2021م في تجمّع طلابي بجامعة أبي القاسم سعد الله بالجزائر.

رموزاً، ونحن نملك الشّاحات، ويقع التّطاول عليهم، وهذا هو الويل الذي يعلق بالأمّة التي تُحدث فيها الثّغراتُ والطّفرات التي تزيد في التّمزيقات. فويل لأمّة لا ترفع صوتها إلاّ في جنازة، ولا تفخر إلاّ في الطّعن على القدوة وهنا طعن في المشيخة، ويؤدّي إلى البوار، ونسى أثرنا الذي يقول أذكروا محاسن موتاكم". وعلى الشّباب أن يكون على دراية بتقديس السّلف الصّالح ليكون خير خلف، وإلاّ لم ينقلوا رسالة العظماء والعظماء لا يموتون، بل يتناسلون، وبكم أيّها الشّباب لا يموت العظماء.

- كلمات في الأمير: أفتر في حديثي عن الرّمز الخالد عبد القادر محيي الدّين الحسني؛ سليل الشّجرة المباركة العالمة، ومن بيت العلم والعلماء، وقد جمع بين المحاسن: العلم والشّعر والقيادة والتّوجيه والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وحده الدّكاء وحسن البصيرة... وأمام هذا تحونني الكلمات التي تفي هذا الكبير كبر الجزائر حقّه، فلقد شرى نفسه هبةً لبلده منذ بيعة شجرة الدّردارة، وحصلت انتفاضات تلو الأخرى، وظلّ الجزائريون يقاومون حتى يوم استقلالهم، بفضل تلك الملايين التي سالت دماؤها عبر مئة واثنين وثلاثين (132) سنة وكان النّصر المين، ويقول (علي الصّلابي) في كتابه (كفاح الشعب الجزائري) "وبالرغم من ضعف التّخطيط والإعداد لثورة المقراني إلاّ أنّها كانت الحدث الكبير الثّاني بعد ثورة الأمير عبد القادر، وبسبب المشاركة الوطنيّة الواسعة فيها والخسائر الضّخمة التي لحقت بالشّعب في الأرواح والممتلكات تركت آثاراً عميقة في النّفس الجزائرية توارثتها الأجيال لتظهر مستقبلاً في الأحداث".

إنه ابن الأربعة والعشرين سنة يتلقّى البيعة من الجموع التي تعضده وكان لها فتى عصره، وعمل على تحقيق الانتصارات على الغزاة الفرنسيين، ويعمل على تحسين الوضعيّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ويقيم أركان الدولة الحديثة ويؤسّس جيشه الذي يتصدّره دائماً في الملمّات، وهو الذي يقول: "إذا كنتُ قد رضيتُ بالإمارة، فإنّما ليكون لي حقّ السّير في الطليعة، والسّير بكم في المعارك في سبيل الله". إنّه الأمير الذي عمل على وحدة الأمّة رغم عراقيل الاستخراب الفرنسي والصّعوبات التي تلقاها من بعض رؤساء القبائل الذين لم يكن وعيهم السياسيّ في مستوى عظمة المهمة، وكانت طريقته في تحقيق الوحدة هي الإقناع أولاً والتذكير بمتطلّبات الإيمان والجهاد، لقد كلفته حملات التوعويّة جهوداً كبيرة؛ لأنّ أكثر القبائل كانت قد اعتادت حياة الاستقلال ولم تألف الخضوع لسلطة مركزية قوية. وبتلك الحكمة انضمت إليه قبائل كثيرة بدون أن يُطلق رصاصة واحدة. إنّها الحكمة في حسن التسيير، وتحقيق التّدير في شؤون الدولة. وسجّل التاريخ أنّه قام بإصلاحات جبّارة من مثل: محاربة الفساد الخلقي + منع الخمر والميسر + منع استعمال الذهب والفضة للرّجال... إضافة إلى تكوين جيش منظمّ وتأسيس دولة موحّدة، وتقسيم التراب الوطني إلى 8 وحدات: مليانة + معسكر + تلمسان + الأغواط + المدية + برج بوعريّيج + برج حمزة + بسكرة + سطيف، وأنشأ مصانع للأسلحة، وبنى الحصون والقلاع) في: تاكدمت + معسكر + سعيدة. وشكّل حكومة من خمس (5) وزارات، واختار أفضل الرّجال ممّن تميّزهم الكفاءة العلميّة والمهارة السياسيّة إلى جانب فضائلهم الخلقية، ونظّم ميزانية الدولة وفق مبدأ الزّكاة

لتغطية نفقات الجهاد، كما اختار رموز العلم الوطني وشعاراً للدولة هو (نصر من الله وفتح قريب)...

هذا هو الأمير السياسي القائد المحنك الذي تُحسب فرنسا له ألف حساب وهي تمضي معه معاهدة (تافنة) و(لاموريسير) كرهاً، وتعترف له بحقوق الجزائريين، وتهادنه أحياناً، كما تباغته تارة، وهو بالمرصاد، حتى ترجل بالقوة نهاية سنة 1847م، ويتنصر رغم المكاره، ورغم النفي المكروه والسجن، ويكون له المقام والشورى في فرنسا سجيناً، وفي تركيا مستشاراً وفي سوريا المنفى يكون مفتياً ومعلماً مصلحاً وبنياً للمكتبات، ومسيراً للجان فعمل الخير ويتلقى النياشين تلو الأخرى؛ بفضل مهاراته في إدارة الأزمات العالمية، وإطفاء فتن الطوائف، وإنقاذ حياة المسيحيين في سوريا. ويشاد به في المحافل الكبرى وتسمى مدينة باسمه في أمريكا، ويكون له الشأن العالمي، بله الحديث عن بلده، وتعود رفاته إلى مربع الشهداء، بعدما كان بجانب الشيخ الأكبر (محي الدين بن العربي) وإلى الولي الصالح (عبد القادر الجيلاني). فيا أيها الشهيد الأمير عبد القادر أنت لم تمت، أنت حي بيننا؛ حي بما تركته من صدقات جاريات، حي في ضميرنا، في مؤسساتنا. أنت رمز وطني حي، وتبقى حياً رغم بعض التطاول غير المؤسس والتطاول يحتاج إلى سلاح العلم والدراية والحجة والوثيقة وإثبات الدليل. أفي كل هذه العظمة يحصل الشك والتطاول، شخصية بهذا الوزن الذي وشحته نياشين الخلود، وأوسمة المجد:

• وسام المجيدة من السلطان العثماني؛

• وسام المنقذ الذي قلده إياه ملك اليونان؛

- وسام النسر الأسود من ملك بروسيا؛
 - وسام النسر الأبيض من قيصر روسيا؛
 - نیشان بيوس التاسع من البابا؛
 - وسام الشرف درجة الصليب الأكبر من الإمبراطور الفرنسي نابليون في 1860 الذي لم يشبه أيّ وسام منح قبلاً.
 - إهداء الملكة فكتوريا بندقية من ماسورتين مرصعة بالذهب؛
 - إهداء أبراهام لينكون رئيس الولايات المتحدة مسدّسان مدّهبان...
- إنّه الأمير عبد القادر أيّها الحضور، وقالت فيه جريدة (نيويورك تايمز) سنة 1883 "يستحق أن يُصنّف من بين أفضل الرّجال العظماء القلائل في هذا القرن". وقال فيه رئيس وزراء بريطانيا (ويليام كلادستون) حاولت بكلّ ما أملك أن أقنع الأمير السيّد عبد القادر الجزائري بمنصب إمبراطور العرب لكي نوظّفه ونستغله ضد العثمانيين، وبالرّغم من العداء الشّديد الذي كان بينه وبين الأتراك فإنّي لم أفلح بالرّغم من كلّ الإغراءات والوعود والمزايا التي وضعتها فوق الطاولة للأمير بما فيها استقلال الجزائر وخروج المحتلّ الفرنسيّ من الجزائر، لكنّه كان يرفض ذلك جملةً وتفصيلاً ومن دون نقاش... حتى دخلني اليأس أنّ العرب لا يمكن توظيفهم واستغلالهم واستعمالهم، ولكن آخر كلمة أتّرت في مسامعي وبقيت تدوي في عقليّ، وأخبرني أن أنقلها إلى الفرنسيين، إنّ الجزائر ستتحرّر وتنال استقلالها من دون معروف وبركة طرف أجنبيّ، ولن تجد جزائرياً بعدي ولا قبلي سيقبل أن يكون خادماً عندكم أو

وكيلاً لمخططاتكم، وسيكون استقلال الجزائر العائق الذي لا تطيقونه لعقود من الزمن، ومن أرضنا ستتعثر مشاريعكم. فلستُ بحاجة لأن أكون ملكاً أو إمبراطوراً أو سلطاناً، فما يهمني بالدرجة الأولى هو أن أواجه المحتلّ الفرنسي وتغلغلكم في البلاد الإسلامية وفي نفس الوقت الخلافة الفاسدة التي تستعمل الدين لتحقيق أطماعهم الشّخصية الفاسدة.

- **الخاتمة:** إياكم والمغالطات التاريخية التي تروج للكراهية والحقد وربّما تندرج في عمل ممنهج لتكسير كلّ رموز الجزائر، وزرع الشك في تاريخ الجزائر؛ حتى يكبر الجيل الجديد وهو يشكك في كلّ رموزه وتاريخه، وسنصبح بلا تاريخ. وإنه لقول لا يقال ممّا نسمع من بعض المتقولين ومن بعض الذين يخفون أسماءهم في وسائل التواصل الاجتماعي، ويشيرون بعض الفوضى والإرباك بغير وجه حق، في الوقت الذي نسعى إلى رأب الصدع من بعض المقول، وسيحاسبنا الشهداء على كلّ إساءة، وهي تعدّ من الجحود. وما على المشكّكين إلاّ الاعتراف وفاء للشهداء، وللذين أسهموا في استرجاع السيادة الوطنيّة الكُتْر، ومن الوفاء ذكر بعضهم والاحتفاظ بفضائلهم على الجزائر والجزائريين، فاسترجاع السيادة الوطنيّة حقّ كلّ من شارك ودعم بما يملك ويقدر عليه، ولا يمكن بحال احتكارها والادّعاء أنّها لوحده دون غيره. وأمام هذا ماذا نقول: نحن بحاجة إلى ترميم ذاكرتنا عبر المدرسة التي تعمل على احترام الثّواب وتقديسها وعدم الطّعن في الرموز قبل الدّهَاب التعزير. فيا أيّها الطّالبات والطّلبة عليكم استدراك ما فات، والعرض على الدّائرة الوطنيّة بالتواجد، فأمة بلا تاريخ لا مستقبل لها، وأمة تتنكّر لرموزها سوف يأتي عليها الفناء. وأختم إخواني بمأثورة نشيد وطنيّ تربّينا عليها وهي:

يَا شَهِيدَ الْوَطَنِ، يَا مِثَالَ الْوَفَاءِ
يَا شَهِيدُ، يَا شَهِيدُ
أَنْتَ أَغْلَى فَتَى يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ
يَا شَهِيدُ، يَا شَهِيدُ، يَا شَهِيدَ الْوَطَنِ

أَنْتَ فِي الْخُلْدِ أَعَزُّ الْخَالِدِينَ
سِرَّتَ لِلتَّارِيخِ مَرْفُوعَ الْجَبِينِ
وَأَفِرَ الْحَظَّيْنِ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ
ذِكْرُكَ الْغَالِي عَلَى مَرِّ السِّنِينَ
سَوْفَ يَبْقَى عَاطِرًا طُولَ الزَّمَنِ

كلمات في المعجم الطوبونيمي الجزائري^٧

الجزء الأول

- **الديباجة:** إنها لمناسبة كبيرة وعالية وعظيمة أن نلتقي في احتفال وطني مهم؛ احتفال يجمع عيد الاستقلال وعيد الشباب، في هذا اليوم الأغر الذي يحتفل فيه الشعب الجزائري بالانتصار والاستقلال وتقرير المصير يحتفي بالمناسبة المجلس الأعلى للغة العربية بتسلم الجزء الأول حول (معجم الطوبونيمي) الذي يحمل (المعجم الطوبونيمي الجزائري، ج1) وهذا الجزء يحوي ست عشرة (16) ولاية؛ من أدرار إلى الجزائر العاصمة، بترقيم وطني 01 — 16. هذا العمل الذي نحتفي به أيها الحضور لم يأت إلا بتجنيد فرق بحث وطنية؛ نزلت الميدان في تحري الدقة العلمية تحقيقاً وثبتاً في الأماكن/ الأنوماستيكية التي تحمل دلالات مرتبطة في الغالب بالتفاعلات التي تحدث بين الإنسان ومجاله المحيطي، وباستيقاء التسميات الصحيحة التي ترتبط بالواقع اللغوي وما يحيط به من تسميات وفي ذات الوقت ترتبط بنمطيات ثقافة المجتمع الجزائري، إضافة إلى ما تقدمه من معلومات مهمة للباحثين في التاريخ والأنثروبولوجيا، توفيراً للتضارب في الهوية.

إنه علم الأعلام الجغرافية، والمسمى عالمياً (الطوبونيميا) وتكمن أهميته في السعي لفهرسة أسماء المواقع التاريخية، ونحن بحاجة إلى الدراسات اللغوية التي تتطرق إلى تفاصيل دقيقة، كدراسة أسماء الأعلام/ دراسة أسماء

^٧ الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في حفل تسليم الجزء الأول من عمل مجموعة الطوبونيمي، في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية، بتاريخ 4 جويلية 2021م.

المواقع، وكلّ ما يدخل في تصنيف نوع معجميّ واحد من المادة اللغويّة. وترون بأنّ أهميّة هذا العمل تكمن في ماضيه وفي حاضره، وأنّ أسماء الأماكن جزء من ذاكرة الشعوب، وأنّ دراستها تُزوّدنا بمعلومات عن الطّبيعة الجغرافيّة والطّبوغرافيّة والجيومورفولوجيّة للمكان وبيئته القديمة وما طرأ عليها من تحوّل طبيعيّ / مقصود، كما تمدّنا بمعلومات عن مراحل السكّنى البشريّة وتنوّعها؛ وهي تمثّل جزءاً أصيلاً من موضوع دراسة الجغرافيّة التّاريخيّة القديمة، ولها أهميّة في الأبحاث التي تُعنى بدراسة اللغات واللهجات القديمة، وعلم اللغة المقارن، والتي تُعيننا بدورها على الإحاطة بالجوانب الثقافيّة والدينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والحضاريّة المختلفة للمكان وسكانه.

- **المقدمة:** إنّ العمل الذي أقمنا له هذه التّدوة الإعلاميّة هذا اليوم؛ عمل أكاديميّ تعاونت على إنجازهِ فرقٌ من المجلس الأعلى ممثّلين للبحثة من الجامعات الوطنيّة، ومن مراكز البحوث، ومن المعهد الوطني للخرائط والكشف عن بُعد من وزارة الدفاع الوطنيّ، ومن وزارة السّياحة والصّناعات التّقليديّة والعمل العائلي التي أمدّتنا ببعض المواقع والمعالم وكما تعاون معنا المركز الوطنيّ في البحث في الإنثروپولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة في معلومات وأفكار نظريّة حول هذا العلم. كما نُعلم الحضور بأنّ هذا العمل استغرق سنة تقريباً، وسبقته مرحلة جمع المادة وتصنيفها من مصادرها الأولى. وهي تُعد الإحاطة من أدبيات البحث العلميّ، وما يتطلّب من استقصاء معلومات بما هو مكتوب، وما في الشّفاهيّة التي تحتاج إلى تدقيق وتثبيت وكلّ ذلك يتطلّب الحذر ثمّ الحذر لتحقيق المادة في صورتها الصّحيحة، مع العمل

بنظام ما يُجمع عليه، والحذر كذلك من تلك الصّور/ الكتابات المنشورة بلغات غير متداولة على نطاق واسع. علماً أنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة يعمل بتقنيّة العودة إلى المراجع وإلى أمّات المصادر، وهذا منهج يعتمد في كلّ منشوراته. كما نعلم الحضور أنّ المجلس سبق أن مهّد لهذا العمل بملتقى مشترك مع CRASC في 28 أكتوبر 2020، وكان بعض الحضور وجاهة وبعضهم تمّ بطريقة التّحاضر المرئي عن بُعد، وأصدر المجلس أعماله بعنوان (المعجم الطوبونيمي الرقميّ في الجزائر) في السّداسي الأوّل 2021م.

- **أهمية العمل:** أيّها الإعلاميون، إنّ الطوبونيميّة/ الطوبونيميا علم يهتمّ أساساً بالأصل اللغويّ الإنشروپولوجيّ لأسماء الأماكن والمناطق الجغرافيّة في كلّ منطقة من مناطق العالم، وأهميّة هذا التّوع من البحوث والدراسات تكمن في محاولتها التعمّق في فهم الأصول اللغويّة لأسماء الأماكن ودلالاتها؛ فأسماء الأماكن تتسم بالمحافظة بصيغها في أغلب الأحيان كما أنّ مثل هذه الدراسات تُسهم في رفد المادة المعجمية للغة/ لهجة بعينها بمادّة قد لا تكون قد صنّفت، كما توضّح مجال التّوسّع في المقارنات اللغويّة لتشتمل لغات ولهجات في سياق جغرافيّ أوسع، يعني أنّ ذلك يعطيك فهماً أعمق وأشمل للسياقات الحضاريّة للمكان. ومن الطّبيعيّ أنّ لكلّ منطقة جغرافيّة في العالم أسماء خاصّة؛ ترتبط بشكل وثيق وأساسيّ بالمجتمع والإنسان الذي سكن أو يسكن في تلك المنطقة وما يحمل من لغة وثقافة وهي التي تعبّر عن كينونته. وعلى هذا الأساس ففي بلادنا الجزائر ذات البعد التّاريخيّ الكبير، وذات المساحة القارة، فقد عرفت أجناساً بشريّة سكنوا المنطقة وتركوا أسماءهم هنا، وقد بقي البعض، والبعض مرّ، ومع

ذلك لكلّ واحد بصمة وتاريخ واسم، وارتبط كل ذلك باللغة والعادات والثقافة. فنجد تسميات مختلفة من مثل: وهران + أليگايث + غليزان + أذرار + پاليسسترو + إن أمناس + تبسة + عين صالح + المطمر + المدية / جبل عمّور / أولاد نايل / الهامل / سيدي صالح / بسكرة / الزاب / الوادي / طولگة / أفلو / الشلف / الأصنام / الأغواط / الجلفة / باب الصّحراء / ميزاب / بوسعادة / عين الصّفراء / الهامل / المسيلة / الشّعبية / قصر الشّلالة / باتنة / خنشلة / الصّومام / ثوفيرت / المغير / وادي سوفلات / تيميمون / تامنراست / بني بهدل / القنادسة / بشّار / تلمسان / معسكر / تندوف / تعزيت / أمشدالة / السّماش / آث منصور / لعذاورة / وادي سوف / ثيگجذا + شيليا + لالة سّتي + سيدي بلعباس + تيهرت + فراندا + مليانة / سوق أهراس / الطّارف / عّابة / سكيكدة / كالمة / توگرت / ثيفرکانين + خميش الخشنة / خميس مليانة... وإنّ بعض هذه الأسماء لها علاقة باللغة المازيغية / لغات ما قبل الإسلام / اللغة العربيّة / الإسبانيّة / التّركيّة، وأحياناً بثقافة أو لغة المستدمر الفرنسي. علماً أنّ الأعلام الجغرافيّة هي التي تحافظ على الكيان الثّقافي للمجتمع البشريّ في العالم، والعلم الوطني وثيقة تاريخيّة ثمينة لا تقلّ قيمة عن الوثيقة التي تتمثّل في القطع التّقديّة وغيرها. وهكذا إخواني الحضور نرى مختلف التّسميات تُتداول في محيطنا وبعضها لا نعرف مصدرها، ولا كيفيات تشكّلها، فهل نبقى نحافظ على تداولها دون معرفتها أو دون تصويبها، أو العمل على نقلها صواباً لأجيالنا؟ وهل نترك هذا سهلاً في تلك التّسميات القادمة لأحياء عمرانيّة جديدة؟ وهل يمكن ربط هوياتنا بإطلاق تسميات على أولادنا تحمل خصوصياتنا ومرجعياتنا وثقافتنا

بدل الانسياق والتماهي في ثقافة ليست منّا، ولا تقبل بنا؟ أليست لنا هويّاتنا ومرجعياتنا التي يجب العزّ عليها بالتواجد لاستمرارنا في التاريخ والجغرافية؟

أيّها الحضور، تزداد أهمية دراسة الأعلام المكانية في المجتمعات التي تفتقر إلى أرشيفات الوثائق المكتوبة؛ لأنّ الهدف هو قراءة وفهم معاني الأعلام الجغرافية التاريخية التي اندثر بعضها من الوجود وبقي فقط في التصوُّص المكتوبة أو اللغة العامّة. بالفعل لقد اندثرت بعض التسميات واستمرّ البعض منها رغم كلّ التغيّرات التاريخية، وبقيت بعض المعالم دالّة عليها. وبتقدّم العلوم ظهرت طوبونيمات ارتبطت بمجالات متنوّعة: تاريخ/ جغرافية/ بيئة/ نوازل/ مجاري/ أنهار/ فلاحه/ أشجار/ سواقي/ بونة/ معادن/ سيرتا/ موقع الرّيح/ تقديس/ أسماء الحيوان/ لامبيز/ لافيجري/ عيون الماء/ عشيرة/ قبيلة/ شخص/ ألوان/ ولي صالح/ التضاريس/ مواقع... وإنّه عندما نحاول دراسة تاريخ الذهنيات والثّقافات والمعتقدات نستقي كثيراً من المعلومات والإشارات التي تدلّ على ارتباط ديمغرافية مجموعة بشرية بالمجال الحيويّ، ولهذا، فإنّ الطوبونيميا الذي يتسمّى (علم الأماكنيّة) يعني بدراسة الأعلام الأماكنيّة الذين يرتبط بهم الإنسان مثل السّكن والمكان والمحيط العامّ، وتلك التسميات التي تعبّر عن خصائص المحيط والثّقافة، وما يعيش فيه الإنسان كفرد أو جماعة بمكان معيّن تنشأ معه الحاجة على إطلاق أوصاف أسماء على الأماكن بالسّكن أو الارتباط بالفكر والخيال. ويعني كلّ ذلك ارتباطه بالبُعد الجغرافيّ أكثر من الأبعاد الأخرى. وهكذا يعدّ (علم الأماكنيّة) من العلوم البيئيّة لما له من علاقة وطيدة باللسانيات والتاريخ

والعلوم الإنسانيّة والطبيّعة، أضف إلى ذلك مُتعلّقات العَلَم مُقابل مُحيطه ودرجات تقاطع وإحداثيات مَوقعه من خلال خطوط الطّول والعرض وموقع مكانه في الشّرق/ الغرب/ الوسط/ الصّحراء/ السّاحل/ الجنوب/ الشّمال... ومن خلال هذا نعلم أنّ التّسميات نظام فكريّ يساعد على فهم المشهد العامّ لمجال المكان المُسمّى لذلك فالعَلَم المكانيّ يتميّز بخصائص علميّة وشخصيّة وجنسيّة وقصديّة، ولا يأتي عبثاً مطلقاً، إلّا لرابط بينيّ علائقيّ.

أيّها الإعلاميون، لست هنا لأفيدكم في حديثي عن الأماكنيّة، فلقد دعوناكم لتغطية منجزنا في مجال الطّوبونيميا في مجلده الأوّل، وتريّ المجلدات الثلاثة لاحقاً، ونزعم أنّه أوّل عمل باللغة العربيّة؛ يكون له هذه الحثيات العلميّة، وما لها علاقة بالخرائط والأبعاد الجغرافيّة، ويدخل في باب تعميم استعمال العربيّة في كلّ مناحي الحياة اليوميّة، وإعادة تصحيح التّسميات؛ والتي نالتها بعض التّغييرات من خلال التّضاريس، وبعض التّغييرات من خلال تدمير المستخرب لهويّتنا الثقافيّة، والمسح والمسح الذي طال الكثير من مناحي وجودنا. ولقد آن الأوان أن يقع الاهتمام بأسماء الأماكن في البُعد الجغرافيّ لمرجعيتها، هو اهتمام بأسماء أماكن ناطقة تفصح عن شكلها الطّوبوغرافيّ، وغطائها التّباتيّ، ونشاطها الفلاحيّ، ومجراها المائيّ، ومظهرها الجغرافيّ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن يحصل الضّبط في التّاريخ للتّسميات إلى جانب معطيات أخرى تكشف عن جانب مهمّ من تاريخ المكان، وترسم سبُل الوصول إلى التّعرّف على الحلقات المفقودة من تاريخها، مما يبرز جانباً بالغ الأهميّة للطّوبونيميا ليس في علاقتها بالمكان فحسب، بل في علاقتها بالإنسان الذي يعيش في المكان.

أيها الإعلاميون نريدكم تبليغ أهمية محتوى هذا العمل الطوبونيمي الوطني وما يقدمه للذاكرة الوطنية لتبقى حية بنصوصها ووثائقها ومعالمها الأماكنية وإنه لمخزون نوعي، ومهما علا رصيده لن يكون حاضراً بكل اشتقاقته إلا إذا استند على التاريخ لتجلية معانيه، مما يجعل البعد التاريخي حاضراً أثناء ضبط الأعلام الجغرافية. وهذا ما يظهر في أسماء القبائل / الأسر / الجماعات / الأفخاذ / العروش... ولن يكون جاداً إلا إذا اعتمد المصادر والمراجع الموثوقة، وعاد للميدان، واستكنه التاريخ من واقعه، ولن يكون له موقع إلا إذا كانت له رؤية علمية تحت نظرية لسانية على غرار ما تقوم به الشعوب التي عملت على المحافظة على هوياتها دون تزيّد أو إنقاص.

أيها الإعلاميون، إن المجلس في إطار مشاريعه الكبرى، وفي إطار أن تنال العربية موقعها كلغة رسمية يسعى من خلال هذا المنجز العمل بالشراكة مع من يهّمه الأمر لإعادة التسميات إلى أصلاتها بعدما تأدلج بعضها، وبعضها مسّها التحريف، فيريد وضع خرسانية صحيحة لا تتغير بسهولة، ولتوصيل الصواب الاسمي لأبنائنا في أن يهتموا بأصولهم المازيغية العربية؛ في إطار تكاملي مضعف، وبمضارة شرقية يقع الاعتزاز بها، مع المقاربة السياسية الرسمية ذات البعد الوطني الذي يقضي بأفريقيتنا، وبعروبة الفضاء المغاربي وانتماؤه للامشروط للأمة العربية، ولا ندخل في صراعات طواحن الهواء التي لا تأتي إلا بالفراغ. ولا بد أن نراعي خصوصياتنا في إطار الحفاظ على هويتنا، ونعمل على إبرازها والاعتزاز بها، فقانون المنتصر لا يرحم المنهزم كما أن قانون نُشدان الأفضل هو المنتصر في لاحق من الزمان.

إنه يوم الاستقلال الوطني، يوم الخامس (5) من جويلية 1962م، إنه يوم الانتصار الذي نريد أن نحتفي به مع الإعلاميين في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية، لنقل بعض من تحقيق مشاريعنا الكثيرة، وبما يحمله حدث هذا المشروع المهم من هذه الخرائط بإحداثياتها وجداولها وطوبونيماتها الدالة على وجودها وحركاتها وتفاعلها وأنظمتها الاجتماعية وتاريخها المشترك وما له علاقة بالدراسات المتعلقة بالملكية والميراث والزواج والقرابة، وكل أشكال الممارسات الماضية والحاضرة. وهذا ما نريد تفكيكه من مفاهيم ينتجها الأفراد في شكل علاقات وأنظمة محتضنها البناء الاجتماعي لعلم الأنثروبولوجيا، ويكون المجلس قد أنتج مدونات ذات العلاقة بالانسجام الجمعي، وباللغة المشتركة التي تحمل هويتنا التي تجعلنا لا ندوب أمام العولمة التي تأتي على إلحاق الضعيف وجعله مهزوماً ويكون تابعا ودون هوية لها المقام في خريطة العالم.

وفي المحصلة العامة، إن الثقافة الوطنية الجزائرية هي القاسم التفاعلي وهي التي تدخر الثقافة الدخيلة المهيمنة، والتي تسعى دائماً إلى إغراق وطمس هويات الشعوب المهزومة، فصراع اللغات والثقافات والهويات هو وجه من الوجوه الخفية للحرب، وطمس التسميات الأصيلة التي دونها التاريخ في (معاجم البلدان) ومثل هذا العمل يكشف الصواب من الخطأ ويعيد الأمور إلى أصحابه، بل يعمل على غرس المواطنة في أبعادها القديمة وفي أبعادها التفاعلية بناءً على أن الإنسان ابن بيئته، ويتفاعل معها في الغالب بإيجابية. وهذا ما نرومه من خلال هذا المنتج التوعوي الذي نبارك للمجلس عمله المائز والأول من نوعه، ولكل الفرق التي أعملت البصر والبصيرة

وشدّت الهمة حتى بلغت الحقائق المهمة، وكشفت عن تزييف في الهوية، بما مسّ علم الأماكنية.

يمتدّ الشكر ويتّسع؛ لرجال الإعلام في سلطاتهم التواصلية؛ من رابعة إلى خامسة، ومن رقميّة إلى سماعيّة، ومن مكتوبة إلى مسموعة، ومن سمعيّة بصريّة إلى فبكيّة، فيا أيّها الإعلاميون إنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة يتألّق بكم، فأنتم ممّا في حمل رسالة تعميم استعمال العربيّة، وأنتم شريك في الدود عن حياض العربيّة لانتشاركم وتأثيركم، وأنتم ممّا في ما تقدّمونه من فتوحات لغويّة في حسن استعمال العربيّة، وبكم تُشرق العربيّة في كلّ القنوات، فبوركتكم أيّها الإعلاميون، وزيدونا تألقاً زيدونا.

تقهر وهج الفرنسية

وتشبّت النخبة الفرنكوفونية[♥]

- **الديباجة:** طُلب منّي الإسهام عن بُعد في حصّة (للحصّة بقيّة) من قناة الجزيرة بدولة (قطر) حول الفرنكفونية وأبعادها، ودور النخبة في التبعيّة اللغويّة. واستجبت فوراً للطلب، وكتبت هذه المقالة ووسمتها (تقهر وهج الفرنسية، وتشبّت النخبة الفرنكوفونية) وهذا لنشرها لمزيد من الاستفادة. مع تلخيص عامّ قدّمته مشافهة. بالفعل رغبت الحديث في هذا الموضوع الذي أملك أفكاراً كثيرة، وسبق أن لُمت النخبة المغاربيّة على انهزامها وضعفها واستسلامها للفرنسيّة التي يرون فيها الخلاص دون غيرها من اللغات الأجنبيّة، وقدّمت الحجج التي تعكس هذا الكلام والوضع غير الطّبيعيّ المنتهج من النخبة العربيّة بصفة عامّة¹. ولقد سبقت الحصّة بشريط واسع يتحدّث عن (الفرنكفونية) بصفة عامّة، واستعمال الفرنسيّة في المغرب+ تونس+ الجزائر، بصفة خاصّة؛ على أنّ المغرب وتونس أعضاء في المنظّمة الفرنكفونيّة، يستفيدان من برامج المنظّمة ودعمها الماديّ، وأنّ التّعليم في البلدين العضوين جيّد، وأنّ الجزائر ليست عضوة، ودخلت المنظّمة سنة 2001م، بصفة مراقب، ولا تستفيد من خدمات الفرنكفونيّة، ولكنها تُعدّ من

♥ الكلمة التي أعدّها رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة (صالح بلعيد) حول موضوع (الفرنكفونية) وكان الحوار عن بُعد بمشاركة وزير خارجيّة تونس سابقاً (أحمد ونيس) ولخصّها الرّئيس في ربع ساعة/ 15 دقيقة، في برنامج (للحصّة بقيّة) بتاريخ 5 جويلية 2021.

أكثر بلاد المغرب استعمالاً للفرنسيّة وهذا حسب الشّريط/ التقرير الذي سبق الحصّة. وقد عرّضَ التقرير إحصائياتٍ وهميّةً من منبع المنظّمة الفرنكفونيّة، ولم تكن الإحصائيات ولا اختيار المتدخلين في الحديث عن الفرنكفونيّة مُغفلة عن الانتقاء والتّغليط وعن التّوجيه الإيديولوجيّ الفرنسيّ. والمهمّ تابعت واستمعت للشّريط الذي قال: إنّ الفرنسيّة تحتلّ الآن الرّتبة الخامسة في العالم من حيث عدد النّاطقين بها، ويؤكّد معدّ الشّريط أنّ مُستقبلها في أفريقيا وفي البلاد العربيّة جيّد، وفرنسا الحكومة تستثمر في هذه البلاد؛ لأنّ سكانها يتزايدون بسرعة، وسيفوقون عدد النّاطقين بالفرنسيّة في أفريقيا والبلاد العربيّة عدد الفرنكفونيين في بقية العالم. كما يذكر الشّريط بعضَ الإحصائيات التي تشير إلى أنّ بلاد المغرب فضاءً فرنكفونيّ بامتياز، ونسبة النّاطقين بالفرنسيّة في تونس تتجاوز 50 % وفي المغرب 40 % وفي الجزائر 35%. ولم يعط الدليل / المرجع في ذلك. ولم نلمس المصدقيّة في الأرقام ونحن قرأنا وسجلنا عن وسائل الإعلام التّونسيّة والفرنسيّة أنّ سبعة (7000) آلاف من تلاميذ تونس لسنة 2017 أحرزوا صفرًا (0) في نتائج البكالوريا، وأنّ بلاد المغرب لا تسمع الفرنسيّة إلّا في الخطاب المدرسيّ وأما في الجزائر فإنّ نسبة استعمال الفرنسيّة لا تفوق 11%. وأما ترتيب الفرنسيّة في لغات الأكثر استعمالاً في العالم فليس لها موقع بين اللغات الأكثر استعمالاً وهي: الإنكليزيّة + الصّينيّة + الهنديّة + العربيّة + الإسبانيّة + الرّوسيّة + البرتغاليّة + البنغاليّة. إذن هو تضخيم وتضليل ومغالطات من المعلومات التي أخذت من المنظّمة الفرنكفونيّة ذاتها ولا شكّ أنّها تعمل على إدارة الأرقام لصالحها توهمًا.

والآن هناك جدل بين النخبة المغاربية في صلاحية هذه اللغة في التدريس وبقائها في الإدارة وفي الاستعمال العام، وبقاء الوضع اللغويّ دون تعريب تجسيدا لما يعرفه المحيط من تراجع تعميم استعمال العربية في بعض البلاد العربية، ولما تعرفه حالياً بلاد المغرب من تراخ في تطبيق التصوص القانونيّة لصالح تعميم استعمال العربية، وهذا الوضع أسهمت فيه النخبُ المغاربيّة في التّشبّث بلغة المستدمر (الفرنسيّة) على أنّها نافذة اللحاق بالتّقدّم، ولا يمكن أن تنافسها لغةً أخرى مهما علا شأنها لموقع الفرنسيّة في الاستعمال العام، والحميميّة الشعبيّة المغاربيّة تجاه هذه اللغة التي تلقى الكثير من الرعايّة من النخبة المغاربيّة المفرنسة على أنّها (غنيمة حرب) لا يجب الإفراط فيها. وفي المقابل هناك من النخبة المغاربيّة التي لا تذهب هذا المذهب، بل تدعو إلى إيلاء اللغة الأمّ (العربيّة) القيمة العُليا في استعمالها في العلوم، والتفتّح على الإنكليزيّة على أنّها لغة العولمة التي تُطلّب في عقر بلاد فرنسا، وتنهزم الفرنسيّة علمياً أمامها، بل تعيش الانتحار اللغويّ يوماً أمام الفتوحات العلميّة في بعض الجامعات الفرنسيّة التي أصبحت تُدرّس بالانكليزيّة.

كلّ فئة من الفئتين تعتمد حُججاً تُرافع من أجلها، ولكن فئة التيار الوطنيّ الداعم للعربيّة تستند إلى أنّه لم يسجّل التاريخ أنّ أمة من الأمم تقدّمت باللغة الأجنبيّة، وأنّ البلاد التي تستعمل الفرنسيّة في الماضي والحاضر لم تتقدّم، بل تعيش هذه البلاد مشاكل وصراعات وتخلّف وهجرات... فلمّ التّعطيل في تعميم استعمال اللغات الوطنيّة؟ علماً أنّ اللغات الوطنيّة هي المنقذ من التخلّف الذي أسبغته الفرنسيّة على الشعوب التي تستعمل لغتها. وهذه الفئة/ التيار ضدّ الفرنكفونية ترى أنّ الفرنسيّة عطّلت التّنميّة في كلّ البلاد

التي حلّت فيها، وماذا قدّمت لبلاد المغرب التي تستعمل هذه اللغة منذ 1830م بدخول المستعمر ولغة المستعمر أوّل بلد مغاربيّ (الجزائر). ثمّ دخوله إلى تونس 1912م كمستعمر خارج المسح الثقافي، والحماية التي كانت على المغرب. وهذه الفئة/ التيار تتبى خطاب المواطنة اللغوية بإنزال العربية المقام العالي مع المازيغية لغات رسمية والتفتّح على لغة عولمية وهي (الإنكليزية) وغلق ملف الفرنسية للحاق بالركب، إضافة إلى تحقيق التعددية اللغوية التفعيية، فحيث وُجدت المصلحة العامة فثمّ شرعُ الله، وأنّ العِلْمَ لا يقطر من الفرنسية دون غيرها من اللغات؛ حيث يوجد في ثمان (8) لغات، ومن الضروريّ اعتماد التخطيط التربويّ العلميّ المرحليّ التراتبيّ لتحقيق المواطنة اللغوية والتفعيية اللغوية في لغات العلوم، لا لغة العلم (الفرنسية وحدها كما تتوهمها بعض النخب المغاربية والأفريقية).

وهكذا رافعتُ -في الحصة المذكورة- لصالح الدعوة إلى تمكين العربية تمكيناً قوياً لاكتساب آلياتها التحوية وأنماطها الفكرية والمنطقية بما لخصوصياتها من مسكوكات وحكم وأمثال وشعر في المرحلة الأساسية مع الاهتمام بالمازيغيات؛ وكلّ مازيغية في مناطقها، ومن ثمّ اعتماد تعددية لغوية نفعية بتخطيط تربويّ مرحليّ؛ يستجيب لمقام لغات العلم ويكون حسب الطلب الوطنيّ والدوليّ، وحسب القطب الذي يُنتفع به من اللغات الأجنبية؛ يعني علوم البحار = الإسبانية. الصناعة الثقيلة = الروسية. الفلسفة = الألمانية. الطب = الفرنسية. الإعلام الآلي = الإنكليزية + التفتّح على اللوزوفونية + التفتّح على الصينية + التعامل مع اللغات الشرقية = التركية + الفارسية + العبرية.

- **المقدمة:** سيكون كلامي عن الفرنكفونية التي أصبح وهجها يأفل ويتقهر، ولم تعد من صيد اللؤلؤ، أو من لغة بلاد الجنّ والملائكة العاملة وتبحث فرنسا الآن عن الفردوس الأفريقيّ/ العربيّ/ ما وراء البحر؛ للبقاء محافظة على وهجها خارج موطنها. ويعلم الفرنسيّون التزيهون بأنّ اللغة الفرنسيّة مُهدّدة من أهلها، ومن غير أهلها، وبخاصّة عندما بدأ المؤرّخون الباحثون يكشفون عن تاريخ فرنسا الإجماعيّ الذي حصل في البلاد المستعمرة، واللغة الفرنسيّة ليست بريئة في حروبها في الهند الصّينيّة وفي شمال أفريقيا، وبخاصّة في الجزائر، التي أبادت ما يزيد عشرة (10) ملايين من السّاكنة، وأعملت المَسْخَ والمَسْحَ للذّاكرة الوطنيّة لإحداث القطيعة مع تاريخ المنطقة في ماضيها وفي خصوصياتها. ولقد دخلت سنة 1830 بوجود عشرة ملايين جزائريّ متعلّم، ونسبة الأميّة أقلّ من ثلاثة 3%، وخرجت بأقلّ من ذلك؛ يعني لم تحصل الزيادة البشريّة خلال قرن واثنتين وثلاثين (132) سنة ونسبة الجهل معكوسة 97%. دون الحديث عن جرائم أخرى لفرنسا الكولونياليّة التي ارتكبت في الهند الصّينيّة، وفي هايتي ومناطق التّفي في كايان وجزر الموت التي تسوّق فيها الأفارقة بالآلاف، وتستعبدهم لصالح مُعمّريها الذين غزوا هذه المناطق خدمة لفرنسا المغامرة والسّاعيّة للاستحواذ على ما وراء البحر. ويكفي أن نشير إلى المِحْرَقة التي أقامتها في (رواندا) أواخر القرن الماضي، وهي عبارة عن إبادة جماعيّة دامت ثلاثة (3) أشهر سنة 1994م أسفرت عن قتل قرابة مليون قتيل رواندي. ويقول (خالد سعد الله) ((... عبر ما صرّح به الطّبيب الفرنسيّ جون هرفي برادول/ (Bradol) المسؤول في منظرمة (أطباء بلا حدود) إنّ الأشخاص الذين يقومون بالاغتيالات اليوم

والذين ينفذون هذه السياسة المحكمة التخطيط والمنهجية التي تستهدف الإبادة الجماعية، يتم تمويلهم وتدريبهم وتسليحهم من قبل فرنسا!)). ... كانت (صقور الفرنكفونية) في الرئاسة الفرنسية سنة 1994 المحيطة بالرئيس (ميتران) ترى ضرورة الحد من توسع أرض التوتسي / (Tutsi land) والتوتسي قبائل منتشرة بوجه خاص في رواندا وبورندي وأوغندا والكونغو وتانزانيا وتتهمهم فرنسا ضمناً بأنهم مدفوعون من (بريطانيا وأمريكا) ضد (الربيع الفرنسي) في أفريقيا... ولذا كانت فرنسا تقدم الدعم بكرم كبير للجناح الفرانكفوني في (رواندا) خلال المرحلة التي سبقت المجزرة؛ لتكون له الغلبة على الجناح الأنكلوسكسوني. وقد أدى هذا الصراع إلى عملية الإبادة الجماعية التي تطاحن فيها الجناحان في قالب حرب أهلية عرقية... أما قائد ضحايا المجزرة آنذاك والذي درس بالولايات المتحدة، فهو (بول كاغامي Kagamé) رئيس (رواندا) منذ 2000 حتى هذه الساعة. وكان قبلها نائباً لرئيس البلاد من 1994 إلى 2000م ويُعتبر الروانديون (كاغامي) مُنقذ البلاد بعد عملية الإبادة، ومهندس المصالحة بين المتناحرين. وليس هذا فحسب؛ بل إنه يسوس البلاد بحكمة ليخرجها بخطة ثابتة من التخلف!! وما يثبت حنكته أنّ (رواندا) تُعتبر سابع دولة في العالم في باب جودة التسيير، وأنها توصف الآن بـ (سنغافورة أفريقية) وبـ (المعجزة الاقتصادية) إذ يبلغ مُعدّل نموها السنوي منذ بداية القرن 7؛ وقد انخفض معدّل الفقر خلال العقدين الماضيين بنسبة 25٪. وبماذا حصل لها كل ذلك؟ بخروجها من وهن المنظمة الفرنكفونية؛ ففي أقل من عشر (10) سنوات، تحوّلت (رواندا) بشكل كامل من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنكليزية، منذ أن أعلن الرئيس

الرّواندي قراره باعتماد الإنكليزية لغة أولى في البلاد بدلاً من الفرنسية وهذا قوله: "سنعطي الأولوية للغة التي تجعل أبناءنا أكثر كفاءة، وتخدم رؤيتنا لتنمية البلاد". وهكذا فرنسا تخسر مجدها اللغويّ في (رواندا) ومع ذلك تعمل (فرنسا الأمّ) على انتخاب (لويز موشيكويابو) وزيرة الخارجية الرواندية سابقاً على رأس المنظّمة الفرنكفونيّة؛ سعياً إلى إعادة (رواندا) إلى بيت الطّاعة الفرنسيّة. وتصرّح المعنيّة قائلة "... لا تناقض في هذا الوضع، وأنّ القرار اتُّخذ؛ لأنّ الأنكليزية هي لغة التكنولوجيا والبحث وشبكات التواصل الاجتماعيّ". هي معركة كبيرة يقودها المسؤولون الفرنسيّون لصالح انتشار الفرنسية خارج فرنسا التي لا تزال تلاحقها الكثير من المضايقات التي سبّبتها للدول التي استعمرتها، والآن تقطف آثار ذلك عن طريق المهاجرين، وتعيش إشكاليّة تسوية أوضاعهم/ تسفيرهم إلى بلدانهم الأصليّة، وتدرك تدهور نفوذها اللغويّ والحضاريّ والثّقافيّ والاقتصاديّ والسياسيّ لصالح أمريكا وللغة الإنكليزيّة. وهذا الأفرول في الحقيقة بدأ منذ الستينات في التراجع الذي مُنيت به تكنولوجياً، ولم تستطع التنافس في ميادين: التّفوق التكنولوجيّ + الصّناعة الإعلاميّة + التّفوذ الاقتصاديّ الذي كان لصالح الأنكلوساكسونيّ وحاولت أن تسترّ ضعفها بتأسيس قطب الفرنكفونيّة سنة 1970م.

وإنّنا اليوم نطرح هذه الإشكاليات: إلى أيّ مدى يمكن أن نقول: إنّ وهج الفرنسية باقٍ في داخل وخارج فرنسا؟ وهل الفرنسية الآن ما يزال يُطلب ودّها؟ ألا تعرفُ الفرنكونيّة الانحسارَ والانكفاءَ في بداية خروج/ انسحاب أعضاء المنظّمة تبعاً؟ وما هي (الكابون) تلحق (رواندا) أليس هذا معاناة ومضايقات للفرنسيّة في الخارج، بله الحديث عن مضايقات في بلدها فرنسا؟

ألا يُعنيها أمرُ المسؤولين الفرنسيين الذين يُرافعون لصالح الإنكليزيّة ويرون بأنّها لغة المستقبل، ولا بدّ أن تنال موقعاً في التربيّة والتعليم والبحث العلميّ والاستعمال العامّ في فرنسا؟ وهذا قول وزيره التربيّة الفرنسيّة (Vallaud Najat) "... يجب على الأستاذ الفرنسي أن يتقن الإنكليزيّة لأنّها لغة المستقبل". أليس البحث العلميّ المعاصر تتحكّم فيه لغة العولمة؟ ألا ننظر إلى تصنيف اللغات؛ فنجد الفرنسيّة في خاتمة عشر (10) لغات متقدّمة؟ وهل الجامعات الفرنسيّة لا تعاني صعوبة في البحوث العلميّة باللغة الفرنسيّة؟ وكيف السبيل لبقاء شعاع الفرنسيّة خارج بلدها؟ ولماذا يتّجه الفرنسيّون إلى الإنكليزيّة في إصدار مجلاتهم العلميّة على غرار (Science et Vie) بنسخة إنكليزيّة إلى جانب النسخة الفرنسيّة؟ ولماذا تحفّظ معهد باستور من إصدار مجلّته بالفرنسيّة، وبقيت لا تصدر مدداً حتى انقلب إصدارها لنسخة إنكليزيّة؟ لماذا تشترط الجامعات الفرنسيّة تدريس الإنكليزيّة، وفتح مشاريع الماستر والدكتوراه باللغة الإنكليزيّة فقط؟... تلكم قائمة أوليّة لمعاناة الفرنسيّة في أرضها وخارج موطنها وهي معاناة الفرنكفونيّة التي تعرف تراجعاً على كثير من الصُّعد ونرى العربيّة في مجال الاستعمال أكثر مقاماً منها، وأنّ تصنيفها في الانتشار أفضلُ منها بكثير، فلماذا نُهين لغتنا العربيّة ونبقى نمجّد لغة عفا عليها الزمن الحاضر، وهي ليست من ذاتنا، واللغة وسيلة تواصل ولكنها شخصيّة واعتزاز وانتماء وتنميّة وانسجام وتكامل وتطوير؟ أليس حرياً بنا -نحن المغاربة- الاهتمام باللغات الوطنيّة والعمل على تعميم استعمالها في العلوم وفي التّقانات المعاصرة؟... وفي كلّ هذه الإشكالات كان يجب أن نعلّم بأنّ العربيّة ليست مجرد واحدة من 7117 لغة

يتحدّث بها سكان الكوكب اليوم، فهي ضمن أعلى عشر (10) لغات انتشاراً واستعمالاً حول العالم، وهذا مكسب كان على النخبة الوطنية في كلّ البلاد العربيّة والإسلاميّة الوعيُ به، وكان على النخبة الوطنيّة العربيّة الوعيُ بتاريخها اللغويّ، فما حدث من مضايقات في البلاد العربيّة جاء بعد تبني لغة تدريس أجنبيّة غير العربيّة في الجامعات العربيّة، وذلك ما فتح الباب واسعاً أمام هجرة الأدمغة الشّابة التي تكوّنت لصالح البلاد الغربيّة وحصل القضاء على التّرجمة العلميّة إلى العربيّة، وغرس الفكرة الخاطئة بأنّ العربيّة عاجزة عن إنتاج العلم، بله نَقْلُه واستيعابه، وأدى ذلك إلى تقهقر سريع للغة العربيّة العلميّة؛ جرّاء عدم استعمالها في التدريس والتّأليف والتّرجمة. وفي الحقيقة إنّ الواقع غير هذا؛ لأنّ العربيّة من أغنى اللغات بتعابيرها وأساليبها وهو ما يضمن لها مقاماً علمياً مرموقاً في توصيل المعلومة العلميّة بشكل سليم وسلس، ويحلّ ذلك مشكل نقص المصطلح العلميّ الذي لا يزال عالقاً. ولهذا يفرض الوضع الحالي على الدّول العربيّة، وعلى النخبة الوطنيّة العمل على تسهيل التدريس بالعربيّة والتّمكن لها في البحث العلميّ، وأن تعمل الدّول العربيّة على الانفتاح الأوسع على العالم، بعدما تعمل على دعم العربيّة واللغات الوطنيّة في جميع المجالات وبكلّ الوسائل، وبخاصّة في: التدريس + الإعلام + الإدارة، وبالموازاة ينبغي التّركيز على تعلّم لغة العلم الأكثر انتشاراً (الإنكليزيّة) إذا ما أردنا التّواصل مع الغير وعدم التّفوق.

1- **أهميّة اللغة الفرنسيّة في الماضي:** لا ننكر أنّ الفرنسيّة كان لها الوهج العلميّ؛ وبخاصّة في القرن السّابع عشر الميلاديّ أيام مجدها كلغة آداب وفنون، وكان لها وقع كبير في ثورة البخار، وعرفت الانتشار الدّولي كلغة

عولمةً آنذاك، بما أبدع فيها أدباؤها الكبار والذين نقلوها إلى أدب رفيع ونشير إلى الشاعر فيلون/Villon وهو من أبرز الشعراء القدامى + رابليه/ Rabelais + مونتيني/ Montaigne + جماعة البليياد/ Pléiade بشاعرها الكبير رونسار/ Ronsard + كورنييه/ Corneille + راسين/ Racine + مولير/ Molière + لافونتين/ La Fontaine + پاسكال/ Pascal + بوالو/ Boileau + فينيلون/ Fénelon + فولتير/ Voltaire + روسو/ Rousseau + لامارتين/ Lamartine + هوغو/ Hugo + ألفرد دو موسيه/ de Musset + ستاندال/ Stendhal + بلزاك/ Balzac + أراغون/ Aragon + جيد/ Gide + كامو/ Camus + ساتر/ Sartre ... والقائمة كبيرة من الذين صنعوا مجد الفرنسية أيام إشعاعها وهل لا يزال عليها ذلك الإشعاع؟ هناك أدباء وشعراء أعطوا للفرنسية الأنوار أيام عصر النهضة، والآن لم يعد للأدب الفرنسي مقام فما مقامها في الثقافات المعاصرة؟ وماذا تقدّم من رصيد معرفيٍّ علميٍّ أمام لغات العلم؟ رغم ما لها من قيمة في مجال الطب والسياحة. وحقبة نقول ما يزال يقع الطلب على تدريسها وتعلّمها، فأصبحت تُدرّس عملةً قويّةً على فرنسا بعدد الدارسين والذين تستقطبهم سنوياً من مختلف الجنسيات، والتطوّر الجزئي الذي تعرفه في مجالات الصناعة والهندسة والفلاحة، وكلّ ذلك أكسبها نشاطاً وسياسةً دوليةً، وقوةً ضغطت لها مكانةً متقدّمةً بين لغات العلم. ولكن حالياً تعاني من حصار الإنكليزية، وتجد بعض المسؤولين الفرنسيين يرافعون من أجل بقاء نفوذها في الدّاخل وفي الخارج، بقوانين صارمة وردعٍ وتغريمٍ وسجنٍ، وهذا توبون/ Toubon بقانونه Loi du Toubon الصادر 4 أوت 1994م، الذي يهدف إلى حماية الفرنسية وتراثها، ويتركز على: إثراء الفرنسية + الالتزام باستخدام

الفرنسيّة + الدّفاع عن الفرنسيّة كلغة رسميّة للجمهورية كما نصّت عليها المادة الثّانية من دستور الجمهورية الخامسة 1958م. وهذا القانون ينصّ على أسبقية استعمال المصطلحات الفرنسيّة التّقليديّة عوض المصطلحات الإنكليزيّة؛ لضمان سيادة الفرنسيّة في فرنسا. واستجابة لتزايد استخدام اللغة الإنكليزيّة في فرنسا، ولا سيّما في الإعلانات التجاريّة، حيث يُلزم قانون (توبون) جميع الإعلانات والمصنّقات التّرويجيّة أن تكون مكتوبة باللغة الفرنسيّة. وهذا (Jack Lang / جاك لونغ) وزير الثقافة الفرنسي سابقاً يبذل ما وسعه الجهد لحماية اللغة الفرنسيّة؛ بإصدار قوانين وتشريعات تمنع استعمال الكلمات والمصطلحات الإنكليزيّة التي طغت على الشّارع الفرنسيّ إضافة إلى استصدار القوانين والتّشريعات التي تُلزم بثّ ما لا يقلّ عن 60% من الإنتاج الثقافيّ الفرنسيّ؛ سواء كان هذا الإنتاج أغانيّ أم أفلاماً أم دراما أم غير ذلك، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل تستطيع القوانين والتّشريعات أن تقف أمام العولمة والمدّ الثقافيّ الأميركي المتواصل؟

2_ نفقات فرنسا على الفرنسيّة ومنافع توسّعية: تنفق فرنسا سنوياً

مئات الملايين من الدّولارات لنشر الفرنسيّة تحت غطاء الفرنكوفونية في أكثر من 134 دولة عبر العالم، بشعار "من يتكلّم الفرنسيّة يفكّر فرنسياً ويأكل فرنسياً، ويلبس فرنسياً". وإنشائها مراكز ثقافيّة كبرى عبر العالم 1056 مركزاً في 134 دولة في العالم، وتزويد مكتبات العالم بكتب مثقفيها الفرنسيين وكبار الفرنكفونيين، مع ما يصحبها من الأفلام والأشرطة والأغاني والجرائد والمجلّات الفرنسيّة... إنفاق وتساوق في الإنفاق بينها وبين الإنكليز في من ينفق/ يدفع أكثر على اللغة، ويمكن أن نمثّل لذلك على أنّ ميزانيّة منظّمة

الفرنكفونية سنة 2008 وصلت إلى ستة ملايين (600000) يورو، بينما ميزانية المجلس البريطانيّ تعدّت مئة وخمسين (150) مليون يورو لتمويل نشر الإنكليزية. ومع ذلك فإنّ هناك إنفاقاً مادياً بأرمادة من العاملين على وزارة الفرنكفونية ذات وقت، والمهمّ فيها أن يبقى الوهج والإشعاع الثقافيّ للفرنسيّة، وتبقى في مواجهة الأنكلزة. وإنّ من يطلع عمّا تنفقه فرنسا في وكالة الحرّم الجامعي / Campus France يرى مدى مُرافقة وجلب الطّلاب الأجنبيّ - لا سيّما المتفوّقين منهم - والسّهر على دعمهم في تعليمهم الفرنسيّة، والعمل على دمجهم ثقافياً، وهذا ما نراه اليوم في صورته الحقيقيّة بأنّ بلاد المغرب عبر جامعاتها تُكوّن أطباء جاهزين وتعمل فرنسا على جلبهم إلى بلادها وإلى كندا بإغراءات ماديّة وتستغلّهم في بلادها دون أية نفقات مسبقة، وقد تكوّنوا في بلادهم. وفرنسا في تفكيرها البعيد تعرف بأنّ التّقدّم المنشود مصدره التّقدّم العلميّ، وأنّ التّقدّم العلميّ لا يتأتّى إلا بوجود نخبة علميّة تعمل وتبدع وتبتكر داخل البلاد. وبما أنّ كمّ النّخب العلميّة الموجودة داخل فرنسا غير كاف، فقد لجأت إلى جلبها من الخارج وهو جاهزون؛ تستجلبهم بوجهٍ خاصّ من مواهب شباب العالم الثّالث وبخاصّة الدّول المغاربيّة. وحسب إحصائيات هذه الوكالة؛ فإنّ عدد الطّلاب الأجنبيّ في فرنسا بلغ 343 ألف طالب خلال العامّ الدراسيّ 2017-2018 وأنّ ميزانيّة تمويل البحث والتّنميّة في فرنسا بلغت 50 مليار يورو، وأنّ هناك 74 ألف طالب دكتوراه في مؤسّساتها الجامعيّة. وأمّا نسبة طلبة الدّكتوراه الأجنبيّ فيقدّر بـ 42٪ (أي ما يقارب نصف مجمل طلبة الدّكتوراه بفرنسا. هذا العدد الكبير للأجنبيّ في صالح الفرنسيّة؛ حيث سيعودون لبلادهم

ويعملون على نشر الفرنسية ويدعون لها، وبخاصة سيكونون في مناصب التسيير والقرار. ويتعدّى الإنفاق إلى الحصول على مقرّ اليونسكو/ UNESCO في باريس ويعمل المقرّ على تشغيل 800 موظّف فرنسيّ، و200 موظّف من الدّول الكبرى و200 موظّف من باقي أنحاء العالم، علماً أنّ اليونسكو (المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم) منظمة دولية، ومصدر تمويلها يأتي من كلّ الدّول، وعليها إغداق من الدّول العربيّة بشكل كبير ولكن هل يستفيد العرب علمياً من هذه المنظمة؟ وهكذا نلاحظ بأنّ وجودها في قلب باريس يعمل لصالح الفرنسية، وأنّ نافذة الفرنسية في الرتبة الثّانية بعد الإنكليزيّة ولكن كلّ اللقاءات والاجتماعات الوطنيّة تتمّ بالفرنسيّة وبعض اللقاءات الدّوليّة تجد استعمال اللغات الأميّة الأخرى وبصورة محتشمة هذا وجه من أوجه الإنفاق الذي يقابله المردود الثقافيّ ويتبع ذلك ما يخرج من منظمات تابعة لليونسكو على غرار UNICEF/ أطباء بلا حدود... منظمات مجيشة بالفرنسيين الذين يخرجون إلى كلّ العالم مصحوبين بالكتاب الفرنسيّ وما يحمله الكتاب من احتواء ثقافيّ، ويقع الاستثمار في الشّباب الذين يجعلونهم تابعين لفرنسا، ويصبحون العبد المطيع، ويعملون من أجل الفرنسية بسلسلة غسل الدّماغ المؤدّي إلى احتقار الدّات الوطنيّة وما له علاقة بالهويّة الوطنيّة في أبعادها: الدّين + التّاريخ + اللّغة + الإنيّة + الاعتزاز. وينطلقون من التعريف الساذج للغة على أنّها وسيلة تواصل تُلبّي الاحتياجات الفرديّة والجماعيّة فقط، بإسقاط متعلّقات الدّات الوطنيّة التي لا يكون إلاّ باللّغة الأمّ، والتّنميّة لا تحصل إلاّ باللّغات الوطنيّة. وفي هذا المقام لا بدّ أن نشير بأنّ ما تنفقه فرنسا في سبيل المدّ الفرنكفوني ليس من

مالها، بل من التهب الذي أخذته من الدول الأفريقيّة وكتب التاريخ يشهد بأنّ (برج إيشل بُني من حديد جبل زكار من الجزائر وأنّ الأورانيوم تنهبه من نيجيريا، وبتزولها وغازها من الجزائر والتيجر وأثاثها الذي تفتخر به من ساحل العاج، وشيكولاتها المعروفة عالمياً من جزر القمر... وتُصنّف الآن في الرتبة الثالثة عالمياً من حيث امتلاكها المخزون العالمي من الذهب، والعجيب أنّه ليس في بلد فرنسا أي منجم للذهب، فمن أين لها هذا الذهب الذي يقدر الخبراء بأنّه تستطيع العيش دون عمل في أريحية لمدة 250 سنة، ولا يمسهما الضرر، فمن أين لها كلّ هذا المخزون؟ ونريد أن يعلم القارئ بأنّ فرنسا لها من الدّهاء ما لها، فهي جائمة على صدر أربع عشرة (14) دولة أفريقيّة تنهب في ثرواتها، وهذه الدول تابعة اقتصادياً وثقافياً لهذا القطب الخطير (الفرنكفونيّة) وهي عبارة عن تحذير خطير جعل هذه الدول تابعة منهزمة دوغما أيّ شعور، وترى فيها المخرج من التخلّف، وتنسى أنّ كلّ معلم ومبنى وإشعاع في فرنسا من خيرات أفريقيا، بل من عرق الأفارقة الذين استعبدتهم، ومجد الأفارقة في ضمور وخيراتهم تذهب لغيرهم.

3_ **قطب الفرنكفونيّة = هيمنة الفرنسيّة:** لا بدّ من الحديث عن مصطلح ومدلول كلمة (الفرنكفونيّة) الذي أبدعه واستعمله الجغرافي الفرنسيّ (أونسيم روكولو / Onésime Reclus) 1837 - 1916 ويعود إلى سنة 1880 عندما استعمله (روكولو) بغرض توسّع اقتصاد فرنسا خارج نطاقها، وكان المشروع الاقتصاديّ ناجحاً في هيمنة فرنسا على الكثير من ثروات الدول، وبخاصّة في دول أفريقيا التي تعيش الفقر والمجاعة وتستغلّ فرنسا الإمكانات البشريّة والماديّة والثرايبّة، ومحتويات أراضي أفريقيا

بالخصوص، وعالم ما وراء البحر من أجل دفعها وإلحاقها بمعمريها المغامرين الفرنسيين الذين استعمروا العالم، ووصلوا إلى الهند الصينية بما لهم من حسن التدبير الاقتصادي، والهيمنة القويّة على أفكار التابعين لهم. بقيت الفكرة الاقتصادية قائمة، وتوسّعت لتشكّل كياناً يتعاون في شتى الميادين، ويعمل على تقارب الشعوب، وبرز تيار من ذات المنظمة يركّز على الجانب اللغويّ ونشر الفرنسية عبر دول العالم ويدعو أصحابه إلى أولويّة اللغة الفرنسية والبعد الثقافيّ الذي لا يمكن فصله عن البعد الاقتصاديّ، ويرى أنّه إذا ما توسّع الفضاء الفرنكفونيّ بدون مراعاة البعد اللغويّ لا فائدة منه، وأنّه لا يذهب بعيداً، إضافة إلى السور اللغويّ الذي يصدّ تيار العولمة الإنكليزية.

وهكذا تعود فرنسا إلى توسّعها الجامع بين الاقتصاد واللغة، وإلى تنفيذ استراتيجية توسّع واستنزاف أموال وكسب قوة التأثير على الصعيد الدوليّ وحماية فرنسا من السوق الأمريكية وما يتبع ذلك من السلع الحاملة للغة. ولهذا لا بدّ من تبيّة فكرية ثقافية لغوية، وهذا ما جعل تأسيس المنظمة الفرنكفونية) يخرج من وكالة التعاون الثقافيّ والفنيّ للتبادل الثقافيّ مع الحكومات، الذي انعقد في 20 مارس 1970م، ويرتبط هذا التاريخ باليوم العالمي للفرنكفونية. وقد اجتمع لذلك رؤساء ثلاث دول تحت الرعاية الفرنسية، وهم: الرئيس التونسيّ الحبيب بورقيبة+ الرئيس السنغاليّ ليوبولد سنغور+ الرئيس النيجيريّ هماني ديوري. فضمت الوكالة الفرنكفونية يومها اثنتي عشرة (12) دولة، وتوالى الانضمام حتى أصبح العدد أربعة وخمسين (54) دولة تمثّل القارات الخمس. وهكذا كان المنطلق اقتصادياً، ولا بدّ أن يكون مدعماً ثقافياً ورمزياً، ولهذا كان البحث عن

مُروِّج ثقافيّ فُخبويّ، برعاية الانفتاح اللغويّ؛ والتّبادل الثقافيّ؛ وترويج قيمّ الحداثة، وهو بداية الاختراق الحقيقيّ للثقافة والهيمنة الفرنسيّة في مستعمرات فرنسا التّقليديّة أو التي لم تخرج منها بعد، أو التي يُخطّط لإلحاقها ثقافياً عن بعد، وحصل الامتداد بتدحرج كرهّ الفرنكفونيّة عبر العديد من القمم العالميّة حتى أصبح لها استعمار جديد وكان لغويّاً. والمهمّ وصل عدد المنظمين في هذا التّجمع اللغويّ إلى أربعة وثمانين (84) دولة؛ وفيها أعضاء دائمون وعددهم (54) عضواً، ونذكر بعضاً منهم: ألبانيا + إمارة أندورا + أرمينيا + بينين + بلجيكا + بلغاريا + بوركينا فاسو + بورندي + كمبودج + الكاميرون + كندا + كندا نيو برونزويك + كندا كيبيك + وسط أفريقيا + مصر + تونس + المغرب + الرّأس الأخضر + قبرص + جزر القمر + الكونغو + جمهوريّة الكونغو الديمقراطيّة + ساحل العاج + جيبوتي + الدّومينيك + مقدونيا + اليونان + غينيا + غانا + هايتي + لاوس + لوكسمبورغ + غينيا بيساو + غينيا الاستوائيّة + مدغشقر + لبنان + موريس + مالي + موريتانيا + مولدوفيا + إمارة موناكو + التّيجر + رومانيا + رواندا + السنّيغال + الكّابون + سيشل + ساو توميه وبرنسيب + سانت لوسيا + تشاد + سويسرا + طوكو + فيتنام + فانواتو + تونس. وهناك أعضاء مراقبون وهم: التّمسّا + المجر + صربيا + الموزمبيق + تايلاند + بولونيا + سلوفاكيا + ليتوانيا + كرواتيا + جورجيا + التّشيك. ومن هؤلاء الأعضاء هناك اثنتان وثلاثون (32) دولة تستعمل الفرنسيّة لغة رسميّة فقط، ووجود بعض الدّول عبارة عن حصول المنافع الماليّة السّخية التي تقدّمها فرنسا لصالح الفرنسيّة. وهذا العدد تتمثّل فيه قارة أفريقيا بـ 27 من الدّول الاعضاء الـ 54 المؤسّسة في المنظمة الدّوليّة للفرنكفونيّة، ونسبة

التّاطقين بالفرنسيّة - بما فيهم فرنسا- في حدود 274 مليوناً. ومع ذلك نشير بأنّ هذا القطب له أهدافه الكبرى في انتشار الفرنسيّة ضمن تفكير وسلوك حياة في نموذج سياسيّ، وكيان جغرافيّ، ولغة فرنسيّة؛ لتحقيق المرامي التي حدّتها مؤتمراتها تحت قفاز ثقافيّ/ القوّة التّاعمة بالتّعبير المعاصر وهذا لتحقيق توسّع الفرنسيّة، ولكن يحمل الكثير من المخاطر والهيمنات التي نجملها في ما يلي:

1- ضرورة الترويج للفرنسيّة كوسيلة للدّفاع عن مصالح فرنسا في العالم وترى فرنسا أنّها إن لم تفعل ذلك فستفقد وتخسر الكثير. وهذا يعني أنّ رأس الحربة في هذا الأمر هو الغزو الفكريّ والثّقافيّ والعبث بالهويّات؛ المحليّة واستبدالها بهويّة فرنسيّة فقط، ويعني ممارسة الغزو الفكريّ وعملية غسل المخ من خلال إنشاء مدارس وجمعيات وجامعات فرنكوفونيّة عالميّة.

2- السّعي لإحلال القوانين المستمدّة من الفكر العلماني محلّ القوانين المحليّة في الدّول الأعضاء التي معظمها دول إسلاميّة ذات صلة بتعاليم الإسلام.

3- نشر اللغة الفرنسيّة مع محاربة اللغات المحليّة؛ وبخاصّة العربيّة الفصحى في الدّول الأعضاء في الفرنكوفونيّة.

4- خلخلة القيم الدّينيّة والأخلاقيّة في البيئات الإسلاميّة وتوجيهها نحو الحياة الاجتماعيّة الغربيّة من خلال وسائل إعلام مختلفة.

5- تشتت شمل المسلمين، وبتّ الخلافات بين الدّول الإسلاميّة بسبب موالاة بعضها لمعسكر الفرنكوفونيّة ضد البعض الآخر الموالي لمعسكر الأنكلوساكسونيّ، مما يحول دون تحقيق وحدة حقيقيّة بين هذه الدّول. وأمام هذه المرامي المبيّنة؛ وهي هيمنة اللغة الفرنسيّة والتي لا تظهر في التّصوُّص، ولكنها تظهر في الممارسات، فنرى بأنّ المنظّمة عبارة عن استعمار جديد، وسبق له أن خرج من بعض الدّول من التّافذة، ويسعى أن يعود من الباب المشرّع تحت غطاء التّبادل الثّقافيّ في إطار هذه المنظّمة الفرنكوفونيّة.

4- **تراجع الفرنسيّة في الدّاخل والخارج:** لا يمكن نكران تراجع الفرنكوفونيّة على الصّعيد الفرنسيّ والعالميّ والذي يرجع إلى عدّة أسباب منها صعوبة المنافسة العلميّة والتّصديّ للغة الإنكليزيّة داخل فرنسا إضافة إلى خروج فرنسا من كثير من مستعمراتها، وعدم قدرتها على المحافظة على علاقات متكافئة تقوم على الاحترام المتبادل بين الطّرفين هذا من جهة ومن جهة أخرى، نلاحظ أنّ الاقتصاد العالميّ تسيطر عليه شركات الكارتل المتعدّدة الجنسيات، وقوى فاعلة تتعامل باللغة الإنكليزيّة في الأوساط التجاريّة العالميّة وفي البورصات والمحافل الدّولية. إنّها الإنكليزيّة التي تُهيمن بلغتها على سوق الاقتصاد والسياسة في العالم دون منازع، ومن يملك التّكنولوجيا والاقتصاد والتّفوذ السياسيّ يملك اللغة التي تفرض نفسها على العالم. وهكذا وجّدت فرنسا نفسها تتراجع لغويّاً سنة بعد سنة، وأصبح رئيسها (جاك شيراك / Jack Chirac) يحاور الصّحفيّ الأميركيّ المشهور (لاري كينغ) في برنامجه (لاري كينغ لايف) باللغة الإنكليزيّة بكلّ فخر واعتزاز وهو انهزام ظاهر واستسلام للغة شكسبير الشّيء الذي أثار استياء

وحفيظة الفرنسيين المتمسكين بكبريائهم الفرنكوفوني، وغضبهم على رئيسهم الذي فضّل الكلام بالإنكليزية على الفرنسية، وتساءلوا لو كان الأمر يتعلق بجوار الصحافيّ (جورج الكباش) مع الرئيس (جورج بوش الأب) لاختلف الوضع تماماً حيث إنّ الرئيس الأميركي يتشبّث بلغته ويعتزّ ويفتخر بها. وهناك تراجع علمي واضح في البحث العلمي، فهذه رئيسة تحرير مجلّة (Québec Science)، المختصة في نشر العلوم للعموم باللغة الفرنسية، ماري لومبير شان/ (M. L. Chan) تكتب مقالاً وسمته كيف نحافظ على ما تبقى من الفرنسية في عالم البحث؟ وتأسّفت عن وضع اللغة الفرنسية في مجال النّشر العلميّ وأشارت إلى تحلّي بعض الجامعات الفرنسية ومقاطعة الكيبك في كندا عن التدريس بالفرنسية كلغة تعليم العلوم في كثير من الاختصاصات... لقد لوحظ على مدى عقود في نظام البحث العلميّ الكندي، استمرار تراجع اللغة الفرنسية لصالح اللغة الإنكليزية التي تزداد نمواً؛ ففي سنة 2019، تمّ نشر ما يقارب نسبة 100٪ من المقالات الكندية في العلوم الطّبية والطّبيعية باللغة الإنكليزية، وكذلك 97٪ من المقالات في العلوم الاجتماعية، و90٪ من البحوث في الفنون والآداب... إنّ المتأمل في هذه المنصّة يجعلنا نصل إلى ملاحظة هي: في مقاطعة كيبك، تشكّل البحوث المؤلّفة باللغة الإنكليزية نحو 70٪ من إجمالي تلك المنشورة في العلوم الاجتماعية و30٪ في الفنون والآداب... ومن وراء هذه الأدلة الدامغة لتراجع الفرنسية يرون بأنّ أقصر الطّريق للعلم هو (طريق اللغة الإنكليزية). وهذا الباحث الطّبيب والكاتب ورجل الأعمال (لورنت ألكسندر/ Alexandre) يرى بأنّ المخرج المعاصر في الدّكاء الصّناعي لا يوجد في

الفرنسيّة، وعلينا نشدانه في الإنكليزيّة. ونقرأ لعالم الرياضيات (سدريك فيلاني / Villani) يقول: «إذا تمادى غيابنا في المجال الرقميّ فأفريقيا ستتكلّم اللغة الصّينية، وغدنا سيكون مُذهلاً».

5- حصار الفرنسيّة من الإنكليزيّة: لقد حاصرت لغة (شكسبير) لغة (قولتير) في عقر دارها، وأصبح العلماء والباحثون الفرنسيّون ينشرون في مجلات علميّة مُحكّمة تُصدّر بالإنكليزية لا لشيء إلاّ لأنّ النّشر في غير هذه المجلات الإنكليزيّة لا يعني شيئاً من الناحية العلميّة؛ حيث عدم الانتشار وعدم الإقبال على ما هو مكتوب بغير الإنكليزية، وكان منطلقهم في البداية وإلى الآن إجباريّة كلّ المجلات الفرنسيّة تقديم مختصر Abstract لكلّ مقال ينشر في المجلات الفرنسيّة المحكّمة. إنّها اللغة الإنكليزيّة لغة الكبتار والمعلوماتيّة والبحث العلميّ والاختراعات الحديثة ولغة العلم والجامعات والبحوث التي تحصّص مليارات الدّولارات للبحث العلميّ... وبكلّ ذلك أصبحت التّخب الثّقافيّة في العالم الثّالث -عدا التّخب المغاربيّة- تتسابق على الجامعات الأميركيّة لطلب العلم والمعرفة والاستفادة من مراكز الأبحاث العديدة والمختلفة، وكذلك استغلال إمكانيات تمويل البحوث والدّراسات من قبل أمريكا/ بريطانيا، الأمر الذي يتعدّر الحصول عليه في دولة فرنسا. إنّها الإنكليزيّة لغة العلم والمعرفة ولغة البحث العلميّ والدّراسات الاستشرافيّة والاستراتيجيّة على المستوى العالميّ؛ كما أصبحت لغة التّجارة الدّولية، ولغة الشّابكة. ولهذا أصبحت المراكز الثّقافيّة الفرنسيّة تُحفّأ للتّاريخ والمجد والتّعني بالأشعار المختلفة الأمر الذي جعلها مشلولة لا تستطيع أن توقّف الانهيار البطيء والمستمرّ لمعاقل الفرنكوفونيّة عبر العالم. ولهذا لا

يمكن للفرنسية أن تنافس الإنكليزية، ولا يمكن أن تنجح أو تتحدّى لغياب آليات التّحكّم في العلم والثّورة المعلوماتيّة إذا كان ميتر و باريسس يُدار بمنصّة أصلها وضعت باللغة الإنكليزيّة. وأنّ استخراج تذاكر الطّيران المدني باللغة الإنكليزيّة ولغة السيّاحة بالإنكليزيّة. الفرنسيّة لا تزال في شوارع فرنسا ممزوجة بالمصطلحات الإنكليزيّة، وفي كلّ المرافق العموميّة لا تخلو لافتة إنكليزيّة، وتنهار في معاقلها الأفريقيّة في: السنغال وساحل العاج والكونغو وباقي الدّول لغتها الرّسميّة الفرنسيّة، ولكن استعمالها محدود لا يخرج من أسوار المدارس. كما نرى ترتيبها العالميّ في ذيل اللغات العالميّة.

ترتيب اللغات الأكثر انتشارا في العالم.



وما يجب وعيه في الوقت الحاضر بأنّ فرنسا تُدرك أنّ وضع الفرنسيّة الحالي أصبح هشاً، وأنّ التّكوين بالإنكليزيّة ينتشر بنسبة تفوق في بعض الاختصاصات 50٪، وهناك تراجع كبير في فرنسا، ونسمع رئيس الوزراء

الفرنسيّ (Edward Filipe / إدوار فيليب) في سنة 2018 يقول: "إنّ الإنكليزية الآن هي اللغة المهيمنة للتفاهم بين الشعوب. عليك أن تتحدّث بالإنكليزية إذا أردت أن تتصرّف وتعامل في ظلّ العولمة". وتوالى انهزاماتها ومعاناتها وعزلتها كلّ يوم، وهذا ما دفع 100 مثقف وعالم إلى مناقشة الرئيس الفرنسيّ (Emanuel Macron / إيمانويل ماكرون) إلى التّحرّك لحماية اللغة الفرنسيّة من الاستعمار الأنكلو-أمريكي، كما وصفوه، وذلك في بيان رسميّ نشرته صحيفة *Le parisien* / لو باريزيان في الدّكرى 79 للجنرال الفرنسيّ (شارل دو غول / Charles De Gaulle).

6- **النخب الوطنيّة العربيّة التابعة**: أريد أن أقف وقفات كثيرات للحديث عن تشبّث النّخبة العربيّة بوجه عامّ في هذه اللغة التي لم تقدّم لنا التطوير العلمي المنشود، وبفضل هذه النّخبة وقع الاختراق / الغزو الثقافيّ ونال محلّه في بعض الأتباع. هي نخب عربيّة عملت على التّعطيل، بل هي التي زيّنت تعطيل قرار التّعريب للسلطة الحاكمة، بما لها من موقع في الحُكم وفي الإعلام الفرنكفونيّ، وبقيت الدّول العربيّة تعيش صراعاً ثقافياً وهمياً في الدّفاع عن لغة غير وطنيّة على أساس أنّها المخرج وهي باب نيل المقام والحضارة؛ فهذه الكاتبة (كاتيا حداد) تقول: "... وقد أتاحت لنا الدّراسة الاستقرايّة التي قمنا بها إبراز حقيقة أنّ الفرنكفونيّة المدرسيّة تقدّمت خلال العقد الأخير ولم تتأخّر. وكان من أسباب هذا التّطور المحسار تيار التّعريب من المناهج الدّراسيّة. فقد شهد العقد الأخير إعادة إدراج اللغة الفرنسيّة أو تقويتها في البرامج الدّراسيّة بدرجات متفاوتة، وذلك في البلدان الآتية: تونس والمغرب وسوريا ومصر. وفي لبنان، تمّ اعتماد مبدأ الازدواجيّة اللغويّة

المبكرة على مستوى الدولة، وهو مبدأ جاء ليزكيّ اختيارات السّكان اللغويّة ويُضفي طابعاً رسمياً على مكانة اللغات الأجنبيّة، وبخاصّة مكانة اللغة الفرنسيّة، وكان هذا الإجراء أوّل سابقة من نوعها في هذا البلد". وهذه الكاتبة سلسلة من النّخب العربيّة والأفريقيّة التي ساندت الفرنسيّة في بلادها، بما ادّعت أنّها لغة الثقافة والتّفنّح، وهي في ركاب أصحاب (غنيمة حرب) لا بديل لها، ولا يمكن للغات الوطنيّة أن تكون لغات علم. بالفعل هو نوع من غسيل المخّ الذي جاء عن طريق إجهاض محاولات التّعريب وتلك التّضالات من أجل مواصلة التّحرير الثّقافيّ. وهل تدرك النخبة العربيّة أنّ الفرنسيّة لم تعد لغة منافسة في اكتساب العلوم والتكنولوجيا عالمياً لكنّها بالمقابل تسعى كي لا تفقد مكانتها في مستعمراتها السّابقة. "نخبة وراء تعطيل حركات اللغات الوطنيّة من الدّاخل، ولا ندري كيف تنظر هذه النخبة التي تجد نفسها في منفى عن أوطانها، ولا تدري أنّها تُجهض مشاريع التّنميّة في بلادها. ولا تدري النخبة العربيّة أنّ هذه اللغة التي ينافحون من أجلها سبب البلاوي والخلافات الفكريّة الوطنيّة، وأنّها رديف الاستعمار الاقتصاديّ. وهل تدري هذه النخبة العربيّة القيمة الكبرى لتلك الحركات التي خاضتها الشّعوب بهدف التّحرّر من ربة الاستعمار الفرنسيّ؛ والذي حوّل الجزائر إلى مقاطعة تابعة لفرنسا؛ وحوّل المغرب إلى مستوطنة كبرى ومنجم لا ينضب من الموادّ الأوليّة، ونفس المصير كان في تونس، فهل حصل لها التّقدّم بالفرنسيّة، وهي تستعملها منذ ما ينيف عن سبعين (70) سنة. أمّا في المشرق العربيّ فقد دشنت حملة (ناپليون / Napoléon) لانتداب فرنسيّ وعمّ منطقة الشّام، وحوّلها إلى امتداد اقتصاديّ وسياسيّ وثقافيّ ولغويّ تابع

للمتروبول. وهل تُدرك هذه التّخبة بأنّ البلد الذي يحترم لغته ويعمل بها في كلّ المرافق بلد مستقلّ. وهل تُدرك التّخبة العربيّة أنّ نتائج الاستفتاء الإلكترونيّ الذي أطلقته وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ في الجزائر سنة 2019م حول استبدال لغة التدريس والمناهج الجامعيّة من اللغة الفرنسيّة إلى الإنكليزيّة، وصلت النّسبة أكثر من 80٪ من طلبة الجامعات يُطالبون الدّولة الجزائريّة اعتماد اللغة الإنكليزيّة في المناهج الجامعيّة، وأنّ نسبة الجزائريين الذين يتحدّثون اللغة الفرنسيّة انخفض من 28 ٪ إلى 11 ٪ فقط. وأنّ المغرب يشهد غلياناً وحملات شعبيّة لصالح تعميم استعمال العربيّة وتتنفّض جمعيات حماية العربيّة عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ؛ مطالبة تعويض الفرنسيّة بالإنكليزيّة في التّظام التعليميّ، وأنّ الفرنسيّة تتهاوى في (لبنان) ولا أثر لها في (مصر) إلّا في منافع مكتبة الإسكندرية، وبعض الجامعات التي ليس لها أثر في المحيط المصريّ. وهل تدرك التّخبة الأفريقيّة تراجع (رواندا) عن الفرنسيّة واستبدالها بالإنكليزيّة وقد طوّرتها أحسن من طوق الفرنكفونيّة في ما مضى من الزّمان، وذات الشّيء ينطبق على بلد (الكابون). وهل تعي التّخبة العربيّة بأنّ الموجة الجديدة للإقبال على الانكليزيّة كلغة أجنبيّة تتقوّى ولا يمكن توقيفها، وهي نتيجة منطقيّة للانفتاح على العالم الخارجيّ، وخاصّة مع مواقع التّواصل الاجتماعيّ... مئات من المدارس الإنكليزيّة الخاصّة تُفتح في كلّ البلاد العربيّة، فيا أيّتها التّخبة الدّاعيّة للفرنكفونيّة، عليكم الوعي بما يلي: إنّ وظيفة الفرنسيّة في البلدان المغاربيّة اليوم هي إعادة إنتاج الطّبقيّة الموروثة عن الاستعمار وعلّيكم الوعي بالعمولة التي هي قدرّ علينا، وعلينا العمل على إيجاد طريقة

الاندماج مع المحافظة على الخصوصيات، وكيف نخرط في السوق العالمية الحرة للغات الذي تُهيمن عليه الإنكليزية، والوعي يعمق القارة الأوروبية التي تتراجع فيها الفرنسية لغة وثقافة أمام الإنكليزية والألمانية. "وتُظهر بعض الاحصائيات الجديدة أنّ نسبة 41 % من الأوروبيين يتحدثون الإنكليزية، وأنّ نسبة 19 % منهم يتحدثون بالفرنسية." هل تُدرك النخبة المغاربية أنّ المسؤولين الفرنسيين يقرّون بضرورة الانتقال إلى الإنكليزية، فهذه الوزيرة السابقة للثقافة (فلور بيليرين / Fleur Pellerin) والتي تتقن الإنكليزية والألمانية تقول "إنّه ليس هناك جدوى من حماية الفرنسية من التأثيرات الخارجية مثل تأثير الإنكليزية."

7- **دعوة خاصة للنخبة المغاربية:** أعرف أنّ النخبة المغاربية تعرف أنّ البعد التعليمي للغة العربية بعد ثقافي وهوياتي، كان على النخبة أن تحلّه وتفصل في أمور اللغة، وهي علامة هوية المجتمع المغاربي الذي هو جزء من الأمة العربية. وأما المنهج يمكن أن يخضع للخلافات لأنّه يتبع للسياسات التعليمية في كلّ البلاد العربية، وهي التي تنظر في مسألة التفاعل بين الهوية ولغة التعليم في أفضل وأسهل المناهج. وكان على النخبة ألا تختلف إذا أجرت دراسات اجتماعية ونزلت إلى الميدان ونظرت إلى أثر اللغة المشتركة وعند ذلك تشخص أزمة الهوية التي تركتنا سهلاً. وفي تقديري إنّ المسألة كان على النخبة علاجها جمعياً لما للغة الوطنية من منزلة في التفكير في المحددات الشخصية، وما لها من علاقة في الرموز الوطنية والثقافة الجمعية. لذا كان علينا التخطيط لإصلاح تربويّ شامل يُراعي هوية المدرسة والجامعة والمدارس العليا ومراكز التكوين والتّمهين وأهل الحرف بمراعاة تحولات

العصر بالمحافظة على مجد العربيّة ودورها في تفاعلها الثقافيّ، والسّعي لتطويره وإصلاح برامجها بالجمع بين النّص التّراثي والنّص الجديد؛ لأنّه لا جديد يقوم إلّا على أساس قديم، وكما يقول (رولان بارث/ Roland Barthe) "النّص كائن لغويّ يشهد على حضور التّراث". وهذه المسألة لم تعالج من النّخبة، ولذا حصل الإخفاق في عدم التّفاعل بالخصوص بين التّعليم العالي ودوره في الهوية اللغويّة، وهذا ما أدّى إلى شرح في المشروع الحضاريّ لمستقبل الأجيال. والسّبب أنّ اللغة التي تنقل العلوم والمعارف إلى المتعلّمين لا تندمج اندماجاً كاملاً في بنية المجتمع، وهي ليست لسانه ولا تتفاعل بقوة مع الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وأصبحت لغة النّخبة فقط. وهذا إشكال كبير في موضوع غياب التّفاعل بين لغة التّعليم وهويّة المتعلّم وهذا ما يجب أن تستوعبه النّخبة الفرنكفونيّة العربيّة بصفة عامّة، والمغاريّة على الخصوص، وأن تأخذ في حساباتها تعلقها الخاطيء بلغة الامتياز. ولهذا أدعو النّخبة الفرنكفونيّة الدّخول في مشاريع التّقاش حول الأمّة + الهويّة + الهويّة الثقافيّة + آثار الاستعمار في الذاكرة الوطنيّة... وأن يكون التّقاش مفتوحاً وطبيعياً ودون تشجّج أو تخوين وشم وتصنيف، ودون الحدود الثقافيّة التي تفصلهم عن مواطنهم. وسوف يرون المسافة التي تفصل النّخبة الفرنكفونيّة عن مجتمعاتهم؛ لأنّهم بنخبوتهم استقالوا وانسحبوا من المشهد الاجتماعيّ، وهي عبارة سلبية تؤثّر على الهويّة اللغويّة؛ حيث الخضوع لنفوذ الثقافات وهيمنة المرجعيّات الأجنبيّات، ويدخل في باب الاستعمار الثقافيّ الجديد.

لم تحاول النخبة الفرنكوفونية المغاربية أخذ العبرة من القوّة الشاملة التي تقودها لغات العولمة؛ فاكسحت العقول، ومسحت الأفكار، وبنّت مسلمات على وهم لا يدوم. وهم يجعلك في صراع مع الذات، وهذا يؤدي إلى التشكيك في الهوية اللغوية، وتهميش فاعلية قوّة الهوية في المشيخة والقذوة... وإنّ هذه النخبة الفرنكوفونية لا تدري البعد الجديد لاستعمار جديد يخرق المجتمعات العربية، والذات الوطنية تبقى عاجزة عن المواجهة لأنّ الحرب تصبح داخلية، وأنّ الازدواج اللغويّ فعَلَ فعْله، وفكّ الرابطة اللغويّ الذي كان سبب الرابطة السياسيّ. وتضيع الأوطان بضياح اللغات الوطنية، ويصبح مصير العربية يتهاوى تحت خطر الهوية الثقافية العالمية الأجنبية، وهي الثقافة التي تنقل للأجيال الصاعدة وتزيدهم غربة على غربة. فيا أيتها النخبة المغاربية ألا تعلمون أنّ مصير اللغة العربية وتفاعلها في ظلّ الاستعمار الثقافي الجديد لا بدّ من تقديم علاج منكم والأمر لا يحتمل التأجيل. وإنّ أبواب الإصلاح التربويّ يمكن أن تُسهموا فيه، وباب تمّتين الهوية الثقافية يعمل على ضمان سيرورة الذات الحضارية، وإن لم تقوموا بما يقوّي الهوية اللغوية العربية فأنتم تهدّدون اللغة الأمّ، وسوف تصبح سلطتكم المعرفية عدماً. ولهذا ندعوكم للاندماج ضمن تشارك عربيّ موحد يرصد واقع اللغة العربية الذي خرّبته اللغات الأجنبية، وتعملوا على ترميمه، وعليكم رفع الغبن عن هذا الواقع بتقديم علاجات الخروج من أزمة الفكر الأجنبي والتبعية والانقياد. وكان عليكم إحداث التوازن المضيف في إثبات الذات الوطنية والاستفادة من ذات الآخر في ما يعمل على الاستقرار النفسيّ

والانسجام الجمعيّ، وهو الذي يسجّل لصالحكم كقوّة وقُدوة قادرة على العطاء للوطن الذي يُكسبُكم الاحترام.

هل تُدرك التّخبة المغاربيّة التي تدافع عن الفرنسيّة في بلاد المغرب ما للعربيّة من مكاسب في المنظّمات الدّوليّة، وفي المواقع الاجتماعيّة، وعند المجتمع المدنيّ، هل تعيش هذه التّخبة واقعها أو تعيش في فرنسا، وتدعو المغاربة لرفع المظلةّ حالة ما تُمطر في فرنسا. وأوجّه كلمتي للمتغربيين في لغتهم؛ للعودة إلى التّفنّح على اللغات الأخرى واللغة العربيّة، والنظر إلى الوضع اللغويّ من لغات غير الفرنسيّة، أو العيش ضمن محيطهم المغاربيّ ليروا مقام العربيّة بين أهلها، وفي الدّراسات الميدانيّة. أدعوهم إلى التّفنّح على لغاتهم، والاطلاع على أعمال جادة في هذا المجال². وسوف يجدون موقع العربيّة كلغة أميّة بامتياز، ويرون تلك المشاريع التي فتحتها (اليونسكو) لصالح العربيّة لموقعها كلغة حضارة إنسانيّة، وما قدّمت للعالم روائع الأدب العربيّ العالميّ. وهناك مشاريع ترجمة هذه الرّوائع إلى مختلف اللغات، إضافة إلى الفهرس العالميّ للكتب المترجمة... جهود كبيرة تحتاج إلى الاطلاع، وتثمينها، وتحتاج من التّخبة المغاربيّة النظر من خلالها إلى موقع العربيّة أمام الفرنسيّة، وآفاق التّنميّة والريادة التي ستكون للعربيّة من خلال مرافقة مختلف المشاريع الأميّة، وما تقوم به المنظّمات الأجنبيّة والوطنيّة في قضايا المصطلح، وما له علاقة بالدّكاء الصّناعي. وعلى التّخبة المغاربيّة أن تعلم بأنّ احترام العربيّة يعني استعمالها في متوجههم وإبداعهم، والعمل داخل حدودها الجغرافيّة في المقام الأوّل؛ وهو شرط احترامها في الخارج. فالأجدى بالتّخبة المغاربيّة التي تعيش خارج لغتها أن تقتنع بأنّ تعليم العلوم باللّغة

العربية، وتدرّس الطّب هو الضّمان الأكبر للتّميّة المستديمة، بل هي قاطرة العيش في انسجامٍ وطنيّ متآلف، وهو العيش ضمن احترامك للآخر واحترامك من قبل الآخر. وهل تُدرك النخبة المغاربيّة بأنّ اللغات دُول أم تكن العربيّة لغة عولميّة، وكانت لغت أمميّة، ولم تشتك ضعفاً؟ ألا تعلم النخبة المغاربيّة أنّ إمكانيّة العودة إلى الريّادة والعولمة قائمة؛ لتوفّرها في الوقت المعاصر في العربيّة. وعلى النخبة المغاربيّة قراءة ذلك التعميم الذي نالته العربيّة في كلّ لغات العالم، وانظروا في كتب التاريخ تقرؤون ذلك الاكتساح الذي نالته العربيّة في القارة الإفريقيّة حتى لُقبت (لغة إفريقيّة) ونالت مواقع في بلاد السّند والقوقاز وأروبا. وأدعوهم إلى استنطاق تراث أجدادهم بما كُتب. فعودوا إلى لغات تعلّقت بالعربيّة وأبدعت أحسن، واستنطقوا ذلك من لغات: السّولو+ السّوندا+ لغة السّوننكا+ لغة سيرير+ الشّاويّة+ القبائليّة+ التّوارقيّة+ الشّبكيّة+ الصّوصو+ الصّوماليّة+ الصّونغاي+ الصّينيّة+ الشّلحيّة+ الشّغنائيّة+ الشّحريّة+ الجباليّة+ الطّاجكيّة+ الكالاميّة+ القوميّة+ القشقائيّة+ القرغويّة+ القرئشاي/ بلقاريّة+ الفيليّة+ القبرديّة+ القولاينيّة+ القفسيّة+ العثمانيّة+ القيري- قيدرّيّة+ الفارسيّة+ لغة كانوري+ الكتشبيّة+ الكرديّة+ الكرواتيّة+ الكشميريّة+ الكهواريّة+ الكوجاريّة+ الكونكانيّة+ لغة اللانكو+ التّركيّة+ اللاتينيّة+ اللوريّة+ الماجداناويّة+ مارواري+ اللوكنديّة+ لغة مابا+ المازنرانيّة+ المالديفيّة+ لغة مدغشقر+ المهريّة+ الواخيّة+ الولوف+ النوبيّة+ مليالاميّة+ نوكاي+ الهوسا+ الهريّة+ المغوليّة+ ماننكا+ مرناو+ الهنّخيّة+ هندگو+ الواخيّة+ اليغنوبيّة+ اليوربا+ اليونانيّة³. وقد استعرضت هذه اللغات بقصد معرفة مقام العربيّة فيها

وكيف تَعَوَّلَمَ خَطُّهَا وَقَبْلَتَهُ مَخْتَلَفَ اللُّغَاتِ بِأَرْبِحِيَّةٍ مَعَ بَعْضِ التَّعْدِيلِ فِي قَلِيلٍ مِنَ الْحُرُوفِ، وَالَّذِي لَمْ يَخْرُجْ عَنِ الْحُرُوفِ الثَّلَاثَةِ وَالْعَشْرِينَ (29) حَرْفًا لِمَنْظُومَةِ الْخَطَاةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَاسْتِجَابَتِ الْعَرَبِيَّةُ لِكُلِّ الْأَصْوَاتِ لِلُّغَاتِ الْعَالَمِيَّةِ فَكَيْفَ تَعْجِزُ الْآنَ عَنِ اسْتِقْبَالِ الْمَصْطَلَحِ الْعِلْمِيِّ مِنْ آيَّةٍ لُغَةٍ؟ وَعَلَى النَّخْبَةِ الْمَغَارِبِيَّةِ -مَهْمَا كَانَ مَوْقِعُهَا- سِيَاسِيَّةً / عِلْمِيَّةً / إِعْلَامِيَّةً أَنْ تَسِيرَ فِي اتِّجَاهِ الْعُودَةِ إِلَى الرَّشْدِ، وَالنَّظَرِ فِي تَرْمِيمِ مَا يُمْكِنُ تَرْمِيمَهُ، وَالْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ سَدِّ النَّقَائِصِ الَّتِي تَعَانِيهَا فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَلَا يَعْنِي التَّنَكُّرُ لَهَا أَوْ نَفْيُهَا عَنْ مَحِيطِهَا وَالتَّخَلِّيَ عَنْهَا.

- **الخاتمة:** أيتها النخبة العربية عامّة، علينا الوعي بقيمة اللغة الأمّ وهي أساس التعليم والتعلّم، واكتساب الثقافة والعلم لا يكون إلاّ باللغة الأمّ وبها يستطيع المتعلّم مواكبة مراحل التّمو مواكبة مستمرة، وهذا ما يجعلها من مظاهر الشّخصيّة، وعاملاً أساساً من عوامل نموّها وبنائها. وإنّ اللغة الأمّ مفتاح المعرفة، وغذاء الدّماغ، وأنّ وعي النخبة بهذه المسلّمات من شأنها تسهيل عمليّة التّحبيب والتّلقّي عند أولادنا. ولهذا نجد الشّعوب المتقدّمة تعطي كلّ الأهميّة للمهارات اللغويّة الأربع: الاستماع+ التّكلّم+ القراءة+ الكتابة باللّغة الأمّ في المرحلة القاعدية حتى ترسّخ مبانيها ومعانيها في ذهن المتعلّم بصورة يحفظها وترسّخ بصورة طبيعيّة، ومن ثمّ يمكنه أن يتعلّم لغات أخرى، ولا مشكلة لغويّة تحدث له، ولا انفصام في الشّخصيّة، وذلك هو التّمو الطّبيعيّ لاكتساب اللغات، هذا في المقام الأوّل وفي المقام الثّاني من الضّروريّ الخروج من الإلتباع إلى الإبداع في ذات لغتنا وبلغاتنا، ليكون لنا موقع في البحوث العلميّة، وليكون لنا التّصنيف العالميّ لجامعاتنا بعد الخروج من نظام الفرنكفونيّة على الخصوص. ولهذا يستدعي الوضع اللغويّ العالميّ التّوقّف عن أساليب التّغريب في بلاد العرب، وضرورة استخدام وسائل التّحديث المتنوّعة؛ وبخاصّة التّقنية وحوسبة اللغة العربيّة، وإعادة برمجة وهندسة منظوماتها، واتّخاذ خطوات إجرائيّة حقيقية نحو إحياء المشروع اللغويّ الحضاريّ العربيّ مشروع المعجم التاريخيّ للغة العربيّة، ومشروع الدّخيرة اللغويّة، ولا بدّ من التّحذير من أن تتحوّل ثقافتنا الأصيلة إلى ثقافة استهلاكيّة / Consumer Culture، وعلى النخبة العربيّة قلب ميزان غربة العربيّة في بلدانها إلى نيل موقعها بالقوّة والفعل في الدّاخل وفي الخارج.

وعلى التّخبة العربيّة أن تُدرك بأنّ الدّراسات المستقبلية التي أجريناها حول (العربيّة وسوق اللغات) تُفيد بأنّه مع حلول سنة 2050م ستكون الإنكليزيّة لغة العولمة رقم واحد، وتليها العربيّة في الرّتبة الثّانية، ثمّ الإسبانيّة ثالثة والصّينيّة رابعة وأنّ الولايات المتّحدة تُصبح من أكبر الدّول النّاطقة بالإسبانيّة، وأنّ اللغات الشّرقية سيكون لها المقام العلميّ والاستعمال العالميّ، وهناك خريطة لغات جديدة تأتي على انقراض الكثير من اللغات بموضّة (كوليرا اللغات) وهذه الكوليرا سوف تقضي على بعض اللغات التي نراها اليوم لها الإشعاع العالميّ/ العلميّ، ومن بينها الفرنسيّة التي تنهزم وتتقهقر بشكل سريع، وأنّها سوف تنحصر بشكل قويّ في داخل فرنسا وسوف تتخلّى عنها معظم الدّول النّاطقة بها، فلمّ التّشبّث بهذه اللغة التي لا مستقبل لها، وما هي الحلول الممكنة لنا لتتال اللغات الوطنيّة موقعها؟

إنّ الحلّ في أيدينا، والعبرة من كلّ الشّعوب التي تملك القرار بالعمل على تطوير لغاتها، والاهتمام بها للخروج من أسئلة الماضي والحاضر ومن أسئلة الجدوى، وكان علينا الوعي بأنّه لا يمكن أن نذهب مذهب الحضارة بلغة غير لغتنا، ولا يمكن أن ننال موقع الرّيادة بغير لغاتنا. وعلينا الاستثمار في أربعة مجالات تُعمّم فيها العربيّة تعميماً أفقياً وعمودياً وهي: المدرسة في كلّ مراحل التّعليم + الإدارة + الإعلام + الاقتصاد. ومن ثمّ يمكن اعتماد لغة/ لغات أجنبيّة حسب قطبها في: الدّيبلوماسيّة + التّجارة الخارجيّة + البحث العلميّ الدّقيق (المخابر) + التّرجمة. ومن الضّروريّ بمكان أن يقع الاستثمار في التّرجمة فهي باب الانفتاح على المعرفة العلميّة، ولنا العبرة الأولى من العصر العباسيّ الذي ارتقت فيه كلّ العلوم العربيّة بفضل (بيت الحكمة)

وكان مؤسسة ترجمية أغدق على العربية بأمت المصادر والمراجع التي جعلت العربية لغة العالم، والعبرة الثانية من تطوّر أوروبا في القرن XVII الذي كان فتحاً لثورة البخار التي غيرت مجرى الحضارة إلى ما هو أحسن (صناعة البكرة). والحلّ كلّ الحلّ هو الاهتمام باللغات الوطنية فقط، وكفانا تعطيلاً لكلّ مشاريع التطوير العامّ والتماهي مع اللغات الأجنبية (الفرنسية) التي لم نقطف منها إلاّ التقليد والغباء.

الهوامش:

¹ - ينظر كتابي، الاهتمام بلغة الأمة - العبرة من الفرنسيين - الجزائر: 2016، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي-وزو.

² - ناصر عبد الله الغالي، اللغة العربية في المنظّمات الدوليّة. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض 2015م، مباحث لسانية 9.

³ - عبد الرزاق القوسي، عالميّة الأبجدية العربية وتعريف باللغات التي كتبت بها. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض: 2015، سلسلة الأدلّة والمعلومات رقم 7.

